

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
دراسات عليا

العلاقات الثقافية للمغرب العربي في الحجاز

للقرنين 7-9 هـ / 628-630م

اطروحة دكتوراه تقدمت بها الطالبة

ايمان مهدي لفتة كاظم الراجحي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء - وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

بإشراف

الاستاذ الدكتور ميثم مرتضى نصر الله

1444هـ 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة المجادلة

الآية(11)



قرار لجنة المناقشة

نشهد باننا اعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الاطروحة الموسومة ب (العلاقات الثقافية للمغرب العربي في الحجاز للقرنين ٧ - ٩ هـ / ٦٢٨ - ٦٣٠ م) وقد ناقشنا الطالبة (ايمان مهدي لفتة كاظم) في محتوياتها وفيما لها علاقة بها ونعتقد بانها جديرة بالقبول لنهيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي بتقدير (   ) .

التوقيع :
الاسم : أ.د هاشم ناصر حسين
الكلية : جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية
رئيساً
التاريخ : ١١/ ٤/ ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.د عباس خميس عبود
الكلية : جامعة القادسية – كلية التربية
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.م.د وسن سمين محمد
الكلية : جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.م.د علاء حسين ترف
الكلية : جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.م.د كوثر حسن هندي
الكلية : جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية
عضواً
التاريخ : ١١/ ٤/ ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ. د ميثم مرتضى مصطفى
الكلية : جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية
عضواً ومشرفاً
التاريخ : / / ٢٠٢٣

مصادقة مجلس الكلية :

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء على قرار لجنة المناقشة .

الاستاذ الدكتور حسن حبيب عزر الكريطي
عميد كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء
التاريخ : ٢٠/ ٤/ ٢٠٢٣

اقرار المشرف

أشهد انّ إعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ (**العلاقات الثقافية للمغرب العربي في الحجاز للقرنين ٧ – ٩ هـ / ٦٢٨ – ٦٣٠ م**) المقدمة من قبل طالبة الدكتوراه(**ايمان مهدي لفتة كاظم**) جرت تحت إشرافي في جامعة كربلاء ، كلية التربية – قسم التاريخ وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

المشرف : أ. د. ميثم مرتضى نصر الله

التاريخ :٢٩/ ١٢/ ٢٠٢٢ م

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة .



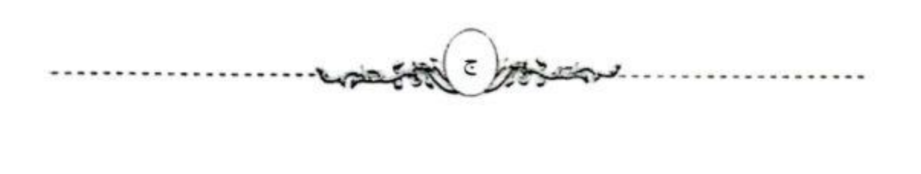
التوقيع :

أ.م. د. سلام فاضل حسون المسعودي

رئيس قسم التاريخ

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ :٢٩ /١٢ /٢٠٢٢م



الاهـــــــــــــــداء

حينما يكون العطاء فاعلاً والجهد مميزاً والثمرة ملموسة

عندما يكون

للإهداء معنى

وللثناء فائدة

وللتكريم مكرمة

الى من كلله الله تعالى بالهيبة والوقار ... الى من علمني

العطاء دون انتظار

الى من احمل اسمه بكل فخر والدي ارجو من الله تعالى ان يمد

في عمره ليرى ثماراً قد حان قطفها بعد طول الانتظار .

الى ملاكي في الحياة ... الى معنى الحب والتفاني وبسمة

الحياة

الى من كان دعاؤها سر نجاحي والدتي الحبيبة

الى من شاطرني الوقت وهيأ لي سبل راحتي من اجل العلم

وكان لي خير عون بعد الله تعالى زوجي الغالي

أهدي جهدي المتواضع

الباحثة

الشكر والامتنان

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، والصلاة والسلام على امين الله ورسوله الى الخلق اجمعين محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين .

يتطلب واجب الوفاء والعرفان ان اتقدم بأصدق الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الاستاذ الدكتور ميثم مرتضى مصطفى لما بذله من جهد علمي ، وصبر دؤوب طيلة مدة اشرافه على الدراسة والذي اتسع صدره لكل معلومة طرحتها فضلاً عن جهوده الكبيرة في قراءة فصول الاطروحة اكثر من مرة وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه وجزاه الله تعالى عني كل خير .

ولا بد ان اسجل شكري الجزيل الى عمادة كلية التربية ورئاسة قسم التاريخ جامعة كربلاء ورئيس القسم أ. د . سلام فاضل المسعودي لأتاحتهم لي فرصة اكمال دراستي، واخص منهم اساتذتي في المرحلة التحضيرية للدكتوراه أ .د . هاشم ناصر حسين أ. د . اياد عبد الحسين الخفاجي و أ .د. زمان عبيد وناس و أ. د . عمار محمد يونس و أ. د . عباس جبير و أ . م . د . نعيم عبد جودة لا بدائهم العون والمشورة ادامهم الله ذخراً لطلبة العلم .

وانحني احتراماً وتقديراً وامتناناً لأفراد اسرتي لما قدموه لي من مساعدة وعون وما هيأوه لي من ظروف لإكمال هذه الاطروحة .

كذلك اتقدم بالشكر الجزيل الى موظفي المكتبات الذين اسدوا لي فضل اعارة كتاب او مجلة او رسالة لها علاقة بالدراسة ، واخص بالذكر العاملين في مكتبتي

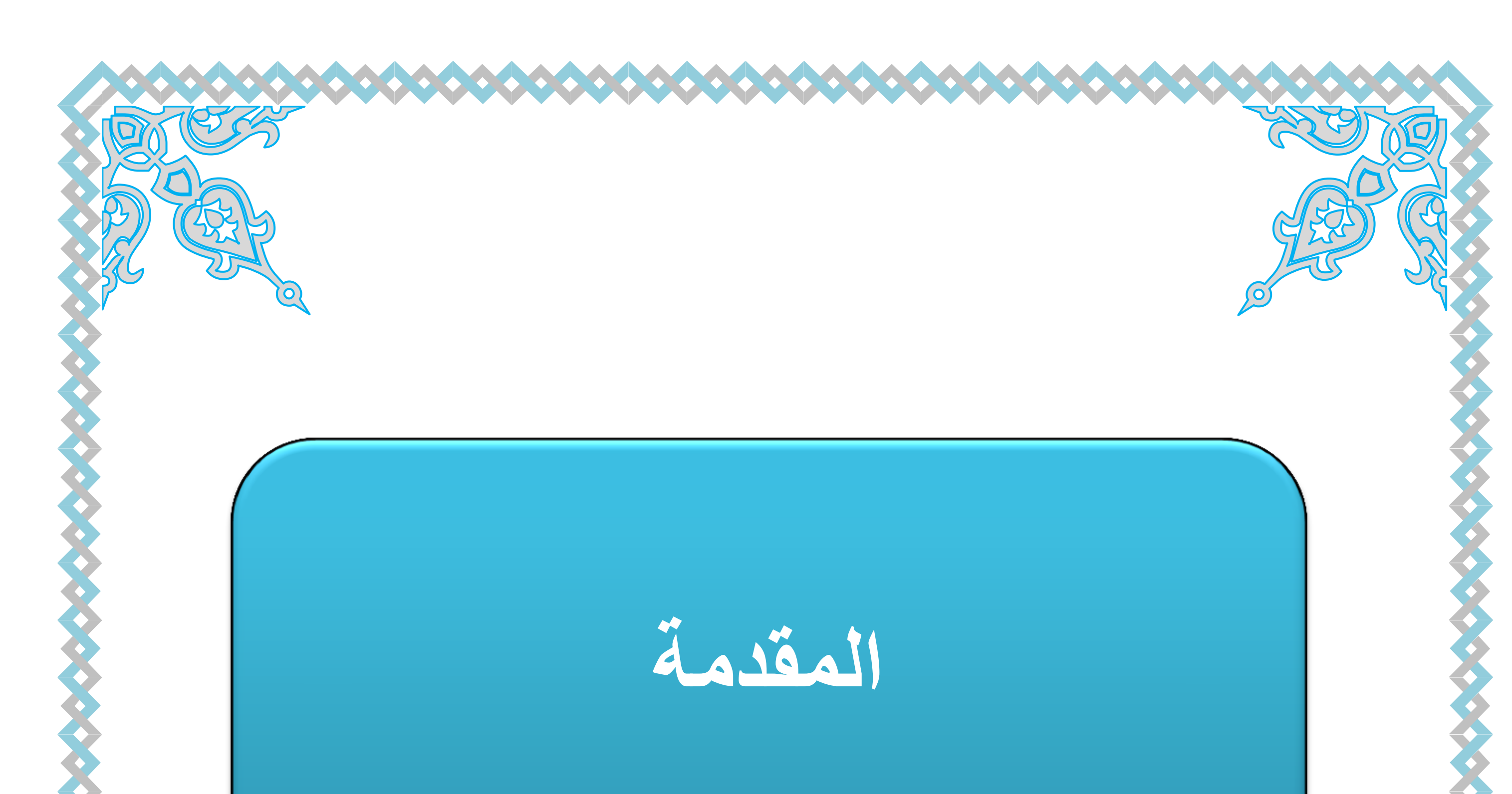
الروضة الحسينية والعباسية ، والمكتبة المركزية في محافظة كربلاء المقدسة ، ومكتبة قسم التاريخ والمكتبة المركزية في جامعة كربلاء .

اخيراً أرجو ان أكون قد اسديت بهذه الدراسة بعض النفع في اغناء المكتبة الاسلامية العربية ، وان اكون قد اعطيت الموضوع حقه ، وان تنال رضا قُرّائها .

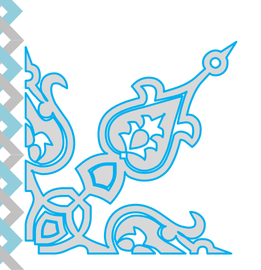
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الباحثة

فهرس المحتويات



المقدمة





المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد واله الطيبين الطاهرين .

ضمت الفتوحات الاسلامية كثيرا من البلدان في المغرب والمشرق الاسلامي واصبحت جزءاً من الدولة الاسلامية الواحدة ، مما سهل هذا عملية انتقال العلماء وطلبهم للعلم أصبح التبادل الثقافي بين المغرب الاسلامي وبقية الدول الاسلامية ومنها الحجاز وهذا موضوع بحثنا . وهذا ما يعرف بالرحلة ، حيث كانت لها اهداف سامية في الاسلام و تعددت اسبابها ، فمن العلماء من رحل طلباً للعلم ومن اراد اداء فريضة الحج ، وكان بعضهم للتجارة او في مهمات رسمية بتكلفة من امرائهم والرحلات العلمية هي التي قام بها علماء اجلاء طلباً للعلم والمعرفة ، فتنقلوا من بلاد الى اخرى ولاقوا صعوبات ومشاق متعددة .

من خلال ذلك اصبح هناك تواصل معرفي وتبادل ثقافي بين ارجاء الدول الاسلامية، وقد جاء جمع كثير من علماء المغرب الاسلامي ومدنه المتعددة الى الحجاز فالتقوا بمشاهير الشيوخ وعلمائهم وتتلمذوا على ايديهم ، ومنهم من استقر في الحجاز ومنهم من رحل الى بلاده لينشر ما اكتسبه من علم ومعرفة فيها وبفضلهم دخلت مؤلفات عدة في العلوم العقلية والنقلية الى البلاد . كما مارست مراكز الاستقطاب في الحجاز دوراً مهماً في استقطاب العلماء واحتضانهم لا سيما مكة .

لقد تجلى لنا بوضوح مدى العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والحجاز ، ولكن يجب ان نؤكد انه من خلال البحث يتبين لنا مدى اهتمام المغاربة ولهفتهم في التوجه الى الحجاز اذ كانت الكفة اربح بكثير ، إذ إنَّ هذه المنطقة (الحجاز) بالنظر الى مكانتها الدينية التي كان لها وقع كبير في نفوس المسلمين.

لقد ظلت كفة العلاقات الثقافية بين المغرب العربي والحجاز في جانب الحجاز على طول التاريخ الاسلامي ومنها مدة الدراسة ، فكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة قبلة للعلماء ، ومع ذلك يمكن ان نعثر على بعض الزيارات المعاكسة لعلماء من الحجاز توجهوا الى المغرب الاسلامي ، ألا انّ مجموعهم كان بشكل لا يتناسب مع الاعداد من العلماء المغاربة الذين توجهوا الى الحجاز .

لقد كان اشراف الدولة على معاهد العلم الدينية في منطقتي الدراسة بشكل خاص وتشجيعها لها ؛ ادى ذلك الى ارتباط النشاط الثقافي ارتباطاً قوياً بالحكم ومنهجه .

إنَّ قوة الاحتكاك بين رجال العلم المسلمين ضمن مدة الدراسة وبشكل لافت للنظر كانت لأمور عديدة ؛ فمنهم مثلاً الفقهاء وعلماء الدين لنشر علومهم وافكارهم او التزود بالعلوم عن طريق الرحلات . ومنهم ايضاً من كان يجمع الروايات ونصوص الشعر والنثر فقد انتشروا في اقطار عديدة لجمع مادتهم . ومنهم من تعرضت مدنهم للغزو او الاحتلال فرحلوا الى مراكز ثقافية اخرى . كما كان للرحالة الدور المميز والبارز في تعريف الناس ببلدانهم مجيدين لهم الرحلة وقد ساعد ذلك في تقوية التواصل الثقافي بين الدول الاسلامية .

ومن الملاحظ ان العلماء الذين كان لهم الدور المهم للتبادل الثقافي ، ان معظمهم كان له اثر في الاخذ من العلوم المختلفة في انحاء اخرى من العالم الاسلامي لكن رحلتهم الى الحجاز كانت احد المراكز المهمة التي كان التواجد فيها ضرورياً جداً ، بالنظر لما تمثله من اهمية دينية وعلمية مرموقة .

لقد كان للعلماء المغاربة الذين رحلوا الى الحجاز ومدن اسلامية اخرى ، نقلوا الى بلدانهم صورة عن المجتمع وثقافته ، فقد كان العالم ابن سعيد في مقدمة علماء المغرب في حدود منتصف القرن السابع الهجري.

إنَّ دراسة العلاقات الثقافية لأي بيئة او مجتمع في العالم يمكن ان يعكس بصورة واضحة مدى نهضة هذه البيئة او هذا المجتمع في العصر الذي يخضع الى الدراسة

بين المجتمعات والحواضر الاخرى ، وكذلك دراسة الحياة الفكرية والثقافية لمدينة ما تبين مدى التقدم الحضاري والثقافي الذي حصل من خلال دراسة النتاجات الفكرية لرجالها في العلوم الانسانية والعلمية ، وان دراستنا الحالية تسلط الضوء على العلاقات الثقافية للمغرب العربي في الحجاز للقرنين 7-9 هـ

قد قسمت الاطروحة على مقدمة وتمهيد واربعة فصول وخاتمة تحدثنا في التمهيد عن محاور عدة ، المحور الاول جاء الكلام فيه عن حدود المغرب الاسلامي والحجاز للقرنين 7-9 هـ ، اما المحور الآخر فقد تضمن تطور مدن المغرب الاسلامي والحجاز اذ ذكر فيه بعض مدن المغرب الاسلامي المنصورة وتلمسان وفاس اما مدن الحجاز المدينة المنورة وكذالك الطائف .

الفصل الاول قد عالج العوامل التي اسهمت في رحلة علماء بلاد المغرب الى الحجاز حيث قسم على اربعة مباحث : المبحث الاول ذكرنا فيه العامل الديني ، اما المبحث الثاني يشمل العامل الفكري ، والمبحث الثالث يتضمن العامل الاجتماعي ، اما المبحث الرابع فهو طلب العلم والسعي وراء المعرفة .

وكانت الدراسة في الفصل الثاني عن اثر التبادل الثقافي لعلماء المغرب الاسلامي والحجاز ونظامهم التعليمي وقسم على ثلاثة مباحث ، المبحث الاول تناول الاثر العلمي في الكتاتيب والمساجد والاسواق والطرقات والتكايا والاربطة ، اما المبحث الثاني تضمن الاثر العلمي لعلماء المغرب الاسلامي والحجاز في المدارس، وقد ذكرنا في المبحث الثالث النظام التعليمي لعلماء المغرب الاسلامي والحجاز الذي يشمل مراحل التعليم وآداب التعليم وكذلك طرق واساليب التعليم .

وقد اختص الفصل الثالث بأثر التبادل الثقافي بين المغرب الاسلامي والحجاز في علوم القران الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وقسم على ثلاثة مباحث،

المبحث الاول تطرق الكلام فيه عن علوم القرآن الكريم، اما المبحث الثاني فقد جاء الكلام فيه عن علم الحديث النبوي الشريف ، والمبحث الثالث اختص بعلم الفقه .

اما الفصل الرابع فتناول اثر التبادل الثقافي بين المغرب الاسلامي والحجاز في العلوم الاخرى ، حيث شمل ثلاثة مباحث المبحث : الاول تناول اسهامات العلماء في علم المواريث والحساب وعلوم اللغة العربية وكذلك النحو ، في حين جاء المبحث الثاني عن اسهامات العلماء في العلوم العقلية (المنطق والفلسفة) وعلم التصوف ، والمبحث الثالث اختص في إسهامات العلماء بعلم التاريخ والانساب وكذلك الجغرافيا.

وجاءت الخاتمة لتتضمن النتائج التي تم التوصل اليها ، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة.

عرض المصادر:

لم يعد تدوين التاريخ مقتصراً على نوع محدد من المصادر فكلما اتسعت وتنوعت موارد البحث كلما ازداد ثراء ، وامتلك صاحبه آليات الفهم العميق والصحيح للحدث التاريخي ، ونظرا لطول مدة البحث وتنوع وتشعب علومه وتماشياً مع ذلك ، فأن هذه الدراسة تحتاج الى اصناف متنوعة من المؤلفات تأخذ ترتيبها انطلاقاً من اهميتها في الموضوع ، وعليه تم الاستعانة بالعديد من المصادر والمراجع التي افادت الدراسة وهي ضمن اختصاصات مختلفة فكانت كتب التراجم والطبقات من اهمها ، رغم ان البحث مدين لا كثر من ذلك وكلها اسهمت في ثراء هذا الموضوع وتنويعه على هذا النحو .

اولاً :. كتب التراجم والطبقات :

لقد شغل التبادل الثقافي حيزً كبيراً في تاريخ الاسلام وكان الاعتماد في دراسته بشكل اساس على كتب التراجم والطبقات اذا انها تضم ثروة علمية واسعة ؛ فهي تعطي الباحثين مادة تاريخية ممتازة وتحيط بجوانب عديدة من الحركة الثقافية ، وانّ اهتمام اصحاب هذه المصنفات تتركز اساساً حول السيرة العلمية لعدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين وكان لها دور كبير بالإلمام بتراجم علماء المغرب والحجاز ، ودورهم في الحركة الفكرية واسهاماتهم في مختلف العلوم خلال مدة البحث ، وتعد من اهم المصادر التي تم الاعتماد عليها في استقاء المعلومات وتفصيل الجزئيات ، كانت هي المرتبة الاولى في المصادر وهي كثيرة ابرزها واهمها كتاب :

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ/ 1496م) وهو كتاب تراجم يقع في اثنتي عشرة جزءاً ويعد من

المصادر التي تم الاعتماد عليها اذ ترجم في كتابه جميع فئات المجتمع على حروف المعجم وقد تم الاستفادة منه كثيراً في كتابة فصول البحث فهو احتوى على تراجم شاملة اذ ذكر كل ما يتعلق بالشخصيات من حيث الولادة والنشأة وذكر مؤلفاتهم ومكانتهم في المجتمع الذي عاشوا فيه ويعد من اهم كتب التراجم المشرقية في الكشف عن العلوم في المغرب الاسلامي ومستوى علمائها .

- ❖ كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ /1448م) وهو في اربعة اجزاء وقد تحدث المؤلف فيه عن تراجم لشخصيات من القرن الثامن الهجري ، من علماء ومحدثين وفقهاء ومؤرخين وسلاطين ، وقد اخذ العسقلاني شطراً كبيراً من التراجم من مؤلفات المؤرخين الذين كانوا قبله وجد في هذا الكتاب معلومات عن العلوم والمؤلفات والاجازات العلمية وكذلك ترجمة بعض السلاطين والامراء خلال مدة الدراسة .
- ❖ كتاب انباء الغمر بأبناء العمر ايضاً لابن حجر وقد خصصه للحوادث والوفيات التي وقعت في عصرة منذ ولادته في سنة 733هـ /1371م حتى سنة 850 هـ/ 1446م ، اي قبل وفاته بسنتين ولقد ذكر مؤلف هذا الكتاب كل ما وقع خلال تلك المدة من الحوادث المهمة في العالم الاسلامي مع التوسع في اخبار مصر والشام ، واخبار سائر الدول الاسلامية .
- ❖ كتاب شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ /1676م) ، وهو في ثمانية اجزاء ، وقد رتبه على السنين من هجرة الرسول (ﷺ) حتى سنة الف هجرية ، وذكر فيه ما وقع من الحوادث ، وقد تضمن تراجم الملوك والعلماء والاعيان والامراء والشخصيات البارزة من اهل الدين والسياسة والعلم والادب وقد تم الاستفادة من هذا الكتاب في المعلومات المتعلقة بالعلماء والسلاطين وغيرهم .

❖ كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لابي العباس احمد ابن احمد التنبكتي (963هـ/1055م) ، يعد هذا الكتاب مكملاً لكتاب ابن فرحون الديباج المذهب ، على ان خصوصية هذا المؤلف مغربيته وسعة معارفه جعلته يترجم لعدد ضخم من علماء المغرب والاندلس ، خاصة ان المعلومات التي قدمها حولهم كانت غزيرة ، وتميزت تراجمه بدقة الوصف والاسهاب في تفاصيل بعض التراجم ، تم الاستفادة منه كثيراً في ترجمة العلماء وفي النصوص التي اوردها حول مؤسسات التعليم كالمدارس ، وابراز اسهامات علماء المغرب في الحركة العلمية العامة وحركة التأليف خاصة .

ثانياً :. كتب الرحلات:

اهم كتب الرحلات التي تضمنتها الاطروحة رحلة ابن جبير (ت614هـ/ 1217م) ورحلة ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م) ، اذ ان هاتين الرحلتين تعدان من المصادر الاساسية التي تم الاعتماد عليها في دراسة الجوانب العلمية والاجتماعية والثقافية في مكة المكرمة و استقاء المعلومات عن المجاورين ، وخزائن الكتب بالمسجد الحرام والاربطة التي كانت معروفة .

❖ كتاب ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة لابي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد (ت721هـ/ 1321م) ، والرحلة المغربية لابي عبد الله محمد بن محمد العبدري ، وقد استقينا منها معلومات قيمة عن العادات الاجتماعية والحياة العلمية في الحرمين الشريفين .

ثالثاً :. كتب المعاجم اللغوية والجغرافية :

هذا بالإضافة الى كثير من المعاجم الجغرافية ، مثل معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م) ، وتقويم البلدان لابي الفداء (ت732هـ/1331م) ، والروض المعطار للحميري(ت 900هـ/1494م) ، وغيرها من المصادر الجغرافية التي افادت البحث في توضيح بعض الاماكن والمواقع الحجازية ، والبلدان الاخرى التي ينتسب اليها العلماء المجاورون في الحرمين الشريفين وكذلك التعريف بالمدن والبلدان التي مرت خلال البحث.

وكذلك كتاب لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ/1311م) ، وايضاً المعاجم المعرفية مثل كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة (ت 1067هـ/ 1657م) ، تم الاستفادة منها في تعريف للمدارس والاربطة وغيرها في ثنايا البحث وكذلك افادتنا في دراسة الانتاج العلمي بوجه عام .

رابعاً :. كتب التاريخ العام :

من اهم الكتب التي تم الاعتماد عليها في هذا المجال كان كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي وكان حياً سنة (712هـ /1312م) يعد من المصادر والاصول الاساسية في دراسة تاريخ المغرب والاندلس ، وهو تاريخ عام لهذه المنطقة منذ الفتح حتى بداية عصر بني مرين ، ويقع في خمسة اجزاء ، وكذلك كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، وهو موسوعة تاريخية خصص الجزء الاول منه وهو معروف بالمقدمة التي اشتهر بها لدراسة المجتمعات البشرية ، والعلوم المختلفة واسباب قيام الدولة وانهيارها وباقي الاجزاء تناولت اخبار العرب واجيالهم منذ بدء الخلق الى عصره .

وهناك مصادر مكية مثل كتاب اتحاف الورى بأخبار ام القرى للنجم عمر بن فهد (ت885هـ/ 1480م) ويقع في اربعة اجزاء وهي موسوعة تاريخية للأحداث التي مرت بها مكة المكرمة منذ عهد الرسول (ﷺ) حتى عصر المؤلف، مرتبة ترتياً زمنياً ، وقد اورد فيها كثيراً من المعلومات مع التركيز على اخبار الحج ، ومن قدم مكة المكرمة حاجاً من الاعيان والعلماء واخبار امراء الحج ، وتوجد فيه اشارات عن تاريخ انشاء المدارس والاربطة بمكة وعن خزائن الكتب بالمسجد الحرام .

التمهيد

- اولاً ـ حدود المغرب العربي والحجاز للقرنين 7 – 9هـ.
- ثانياً ـ تطور مدن المغرب العربي والحجاز

التمهيد:

أولاً :. حدود المغرب العربي والحجاز للقرنين 7-9هـ

حدود بلاد المغرب :

يذكر لنا ابو الفداء " يحد بلاد المغرب من جهة الشرق حدود ديار مصر ظهر الواحات الى بحر الروم عند العقبة ...، ومن الشمال بحر الروم من العقبة المذكورة فم بحر الزقاق عند سلا وطنجة ، ومن الغرب البحر المحيط من طنجة الى صحراء لمتونة ، ومن الجنوب المفازة الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب " [1]

اطلقت تسمية كلمة المغرب على ارض تقع بعد ارض مصر وتمتد الى سواحل المحيط الاطلسي، وفي القرن 4هـ / 10م نجد ارض المغرب تتسع لتشمل أيضاً ارض الاندلس[2].

---

(1) ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732 هـ / 1331م) ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ص123.

(2)اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292 هـ / 904م) ، البلدان ، ط3 ، مط : الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1957م ، ص180؛ ابن خرداذبة ، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 912م) ، المسالك والممالك ، ط لندن ، 1889م ، ص91.

* برقة ، مدينة في مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهي مدينة عليها سور وابواب وخندق ، امر ببناء السور المتوكل على الله ، وشرب اهلها ماء الامطار ياتي من الجبل في اودية الى برك عظام قد عملتها الخلفاء والامراء لشرب اهل مدينة برقة ، وحوالي المدينة ارباظ لها يسكنها الجند وغير الجند ، وفي دور المدينة والارباظ اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب ، وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال . اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص181

* تاهرت ، مدينة كبيرة آهلة بين جبال واودية ليس لها فضاء بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات في مستوى من الارض وفي بعضها سباخ ووادي يقال له وادي شلف وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب

وجاء أيضاً عنها ما نصه الاصطخري : " واما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غربيه ، فأما الشرقي فهو برقة وتاهرت والسوس وزويلة ، وما في اضعاف هذا الاقليم ، واما الغربي فهو الاندلس " [1] .

، وشرب اهل مدينة تاهرت من انهار وعيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي . اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص197

* السوس ، كورة بأقصى المغرب ومدينة بأوله واخرى بهيطل وكورة بخوزستان ، وهي قصبة عامرة طيبة ولهم في الخير رغبة بها اسواق بهية واخباز حسنة ومياه جارية تدير في البلد الارحية ولها حمامات جيدة وحلاوات رخيصة وضياع نزيهة ونعم كثيرة . المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص24 ، ص407 والسوس بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونيا وقيل السوس كورة بالمغرب مدينتها طنجة وهناك السوس الاقصى كورة اخرى مدينتها طرقلة ، ومن السوس الادنى الى السوس الاقصى مسيرة شهرين وبعده بحر الرمل وليس وراء ذلك شيء يعرف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص281

* زويلة ، فأنها من حد المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة هي متاخمة لأرض السودان وبلدان السودان بلدان عريضة الا انها قفرة قشفة جداً ولهم في جبال لهم فيها عامة ما يكون في بلاد الاسلام من الفواكه الا انهم لا يطعمونه ولهم اطعمة يتغذون بها من فواكه ونبات غير ذلك مما لا يعرف في بلدان الاسلام . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص40 ، وهي مدينة كبيرة قديمة ازلية في الصحراء ، تقرب من بلاد كاتم وهي من السودان ، وهي مجتمع الرفاق واليها يجلب الرقيق ، ومنها يخرج الى بلاد افريقيا وغيرها من البلاد ، ولما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعثة عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ج1 ، ص146

(1) الاصطخري ، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ / 957م) ، مسالك الممالك ، دار صادر، بيروت ، ط ليدن ، 1927م ، ص36 ؛ ابن حوقل ، ابي القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت368هـ /978م) ، صورة الارض ، نشر مكتبة دار الحياة ، بيروت ، 1979م ، ص60.

وقد اهتم مؤرخي القرن الرابع الهجري بوصف بلاد المغرب من الناحية الادارية من دون جعل الاندلس جزءاً منها حيث قال : " فاول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية ثم تاهرت ثم سلجماسة ثم فاس ثم السوس الاقصى" [(1)].

* سلجماسة ،مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة ايام تلقاء الجنوب ، وهي في منقطع جبل درن ، وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شماليها جدد من الارض ، يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مد البصر ، وعلى اربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري فيه من الاعناب الشديدة الحلاوة مالا يحد وفيه ستة عشر صنفا من التمر مابين عجوة ودقل ، واكثر اقوات اهل سلجماسة من التمر وغلتهم قليلة ، ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف ، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الازر تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينار واكثر ما يكون من القصب الذي بمصر ، ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بانواع الاصباغ ، وبين سلجماسة ودرعة اربعة ايام ، واهل هذه المدينة من اغنى الناس واكثرهم مالا لانها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ، ولاهلها جراة على دخولها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص192

* فاس ، مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر واجل مدنه قبل ان تختط مراكش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من راسه وقد تفجرت كلها عيونا تسيل الى قرارة واديها الى نهر متوسط مستنبط على الارض منبجس من عيون في غربيها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوي ، وبفاس يصبغ الارجوان والاكسية القرمزية ، وقلعتها في ارفع موضع فيها يشقها نهر يسمى الماء المفروش اذا تجاوز القلعة ادار رحى هناك ، وفيها ثلاثة جوامع يخطب يوم الجمعة في جميعها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص230

(1)المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر المعروف بالبشاري (385هـ /995م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ليدن ، دار صادر ، بيروت ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ط3 ص216 ؛ البكري ، ابي عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت487هـ/ 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، الجزائر ، مط : الحكومة ، 1857م ، ص21.

اما ياقوت الحموي فقد وصف المغرب بانها " بلاد واسعة كثيرة وعثاء شاسعة " [1] وان اصل الكلمة من اهل مصر " فانهم يسمون ما على ايمانهم اذا استقبلوا الجنوب مغرباً وما عن شمائلهم مشرقاً " [2]. ومن ذلك نفهم ان تسمية المغرب واسعة لكل المنطقة التي تقع ما بعد مصر .

حاول البلدانيون تحديد موقع بلاد المغرب ، فهذا ابن خرداذبة(في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) يجعلها في القسم الثاني من ارض المعمورة التي هي عنده اربعة اقسام[3].

وذكر الادريسي وابن سعيد ان بلاد المغرب هي القسم الاول من الاقليم الرابع ضمن تقسيمها لأرض المعمورة الى سبعة اقاليم ولكل اقليم عدد من الاقسام[4].

وان حدود بلاد المغرب تبدأ من حدود مصر الغربية حيث مقاطعة برقة شرقا وتنتهي عند سواحل المحيط الاطلسي غرباً ، اما من الشمال فهي تمتد من مياه البحر المتوسط الى رمال الصحراء الافريقية[5].

---

(1) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ /1228م) ، معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م ، ج5 ، ص 161.

(2)ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص184.

(3)ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص155.

(4) الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (ت 560هـ /1164م) ، وصف افريقيا ، دار العلم لطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م ، ص105 ؛ ابن سعيد المغربي ، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المقري (ت 685هـ / 1286م) ، الجغرافيا ، تحقيق : اسماعيل العربي ، بيروت ، 1970م ، ج1 ، ص 33.

(5)اليعقوبي ، البلدان ، ص100.

وايدهم في ذلك المؤرخ ابن عذاري المراكشي[1]. ولم يكتفِ البلدانيون والمؤرخون بتحديد بلاد المغرب بل قسموا هذه البلاد على اقسام عدة هي برقة وافريقية ثم المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، وهناك بعض الاختلاف بينهم حيث نجد منهم من اخرج مقاطعة برقة من ارض المغرب[2].

وجاء في نص آخر بأن حدود بلاد المغرب " يبدأ من مليانة[3] وهي اخر حدود افريقية الى اخر حدود السوس التي ورائها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الاندلس وان كانت الى الشمال اقرب وطول هذا البر مسيرة شهرين "[4].

حدود بلاد الحجاز:

يقع الحجاز في الجزء الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية وفي الغرب منها سلسلة من الجبال تمتد بموازاة ساحل البحر الاحمر على امتداده الطويل ، ويمتد

(1) ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت647هـ/1257م) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، ج1 ، دار الثقافة ، بيروت ، ص5.

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 30 ؛ مؤنس ، حسين ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص3،4 ؛ الحسن الوزان ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ج1، ص27.

(3) مليانة هي مدينة كبيرة بالمغرب من اعمال بجاية مستندة الى جبل زكار ، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات ، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الاشجار وتدفق المياه . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص318؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ /1283م) ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ص273 ؛ الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، ص34 .

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ص12

الحجاز من جنوب مدينة الباجة لتصل الى مدينة تبوك وجبال مدين قرب بلاد الشام شمالاً ، الحجاز ما يحجز بين تهامة والعروض ، وما بين اليمن ونجد [1] .

وسمي هذا الاقليم حجازاً ، لأنه يقع حاجزاً بين اليمن والشام [2]، ومنها ما قيل انه سمي بالحجاز من الحجز ، لما احتجز من الجبال ويمنع كل واحد ان يختلط بالأخر [3]. وقد عد الحجاز جبل السراة ، او سلسلة جبال السروات ، وهي اعظم جبال العرب تقبل من اقاصي اليمن وتمضي عبر بلاد الشام [4].

والحجاز منطقة جبلية تقع في الجانب الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية وتمتد رقعتها من تخوم الشام عند العقبة الى الليث وهو وادٍ بأسفل السراة يدفع في البحر فتبدأ عندئذ ارض تهامة [5].

وقد ذكر البكري حدود الحجاز بقوله" ان حد الحجاز الاول [6] "بطن نخل [7]، واعلى رمة [8]

(1)ابن الفقيه الهمداني ، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني (ت 365هـ /975م) ، مختصر كتاب البلدان ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1416هـ / 1996م ، ص84.

(2)القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص84 .

(3)النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (ت1143 هـ) ، الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم احمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ، 1986 م ، ص442 .

(4)ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311م) ، لسان العرب ، ط3، دار صادر ، بيروت ، 1956م ، ج15 ، ص490 .

(5)المصدر نفسة ، ج7 ، ص314 .

(6) البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الاندلسي (ت 487هـ /1094م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، بيروت ، عالم الكتب ، ج4 ، ص1401.

(7) بطن نخل : جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص449 .

(8) رمة : واد يقع بين الحجاز ونجد فيه منطقة منخفضة تدخل ضمن الحجاز وما ارتفع فهو في نجد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص72 .

وظهر حرة ليلى[1] ". والحد الثاني "مما يلي الشام شغب[2] وبدا [3]"، والحد الثالث" الثالث" مما يلي تهامة بدر[4] والسقيا[5] ورهاط[6] وعكاظ " [7]

اما الحد الرابع" سايه [8] و ودان[9] " ثم ينحدر الى الحد الاول من بطن نخل، اما القلقشندي فقد عد اليمامة ومخالفيها من ضمن حدود الحجاز[10].

---

(1) حرة ليلى : ارض بركانية وجمعها احرار تكونت بفعل البراكين عن حرار المدينة المنورة ، السمهودي ، نور الدين علي بن احمد المصري (ت 911 هـ / 1505م) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، 1955م ، ج4 ، ص1185 ـ 1190 .

(2) شغب : ضيعة تقع خلف وادي القرى باتجاه الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج3، ص352.

(3) بدا : موقع بين طريق مصر . الشام . البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص10 .

(4) بدر: تبعد عن المدينة 28 فرسخاً وعن الجار على ساحل البحر الاحمر 16 ميلاً وفيها عيون . البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص231 .

(5) السقيا : قرية جامعة من عمل الفرع وهي قريبة من البحر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص328 .

(6) رهاط : موضع على بعد ثلاث ليال من مكة يعد من مخاليف مكة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص131 .

(7)عكاظ : واد قرب الطائف وبه كانت تقوم سوق العرب قبل الاسلام ، ياقوت الحموي ، معجم معجم البلدان ، ص142 .

(8) ساية : واد من اعمال المدينة كثير الزرع والنخيل . الاصطخري ، مسالك الممالك، ص20. ص20.

(9)ودان: قرية من نواحي الفرع في المدينة قرب الجحفة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج5، ج5، ص365.

(10)القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت 821هـ / 1418م) ، صبح الاعشى الاعشى في صناعة الأنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1922م ،ج4، ص250.

ومن جانب آخر عد الحجاز اعظم جبال العرب من اليمن حتى بلغ اطراف بوادي الشام[1].

اما في تحديد الحجاز " يحد الحجاز شمالاً البادية وشمر وشرقاً البادية ونجد وجنوباً اليمن وغرباً البحر الاحمر" [2] . وجاء ايضاً بأن الحجاز يمتد بوجه عام من رأس خليج العقبة الى حدود اليمن اذا عددنا عسيراً داخله فيه[3]. وعرف ايضاً بانه اقليم الجبال الممتد من رأس خليج العقبة شمالاً حتى منطقة عسير جنوباً ، وهي السلسلة الاكبر في بلاد العرب ويحده من الغرب تهامة والبحر الاحمر ومن الشرق نجد[4].

ويعزى السبب في تباين حدود الحجاز بين التوسع والانكماش الى ما يناط بوالي الحجاز من بلدان واماكن متأثرين بالتقسيمات الادارية متجاوزين الحدود الجغرافية[5]. الجغرافية[5]. وبذلك يشغل الحجاز النصف الغربي من الاراضي الواقعة في غربي شبه جزيرة العرب[6].

---

(1)السوداني ، صلاح عباس ، الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الاسلام ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، 2002م ، ص2.

(2)البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، بيروت ، ج6 ، ص691 ؛ البكري ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد المواضع ، ج4 ، ص141.

(3) باشا ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1925م ، ج1، ص146 .

(4) كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مراجعة وتعليق : احمد علي ، ط2 ، مط مط : فجالة ، الطائف ، 1964م ، ص130 .

(5)كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص133.

(6)الشريف ، احمد ابراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنيين الاول والثاني للهجرة ، ط 1 ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، 1968م ، ص3 .

ثانياً : تطور المدن في المغرب العربي والحجاز للقرنين 7– 9 هـ :

ازدهرت مظاهر العمران والحضارة في عهد بني مرين ، بعد ان اصبحوا اقوى ملوك المغرب ، إذ إنَّهم ورثوا تقاليد الحضارة الاندلسية والفن ونقلوها وطبقوها في مدنهم وقصباتهم وقلاعهم وقصورهم ، فامتاز الفن المريني باستعمال الحجر غير المنقوش والطابية والاجر والنقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشمسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج وايضا شمل زخرفة الثريات والمصنوعات الخزفية والجلدية[1] وكذلك ترجع روعة العمران الى جودة الذوق المغربي والحس الفني والدقة والتنوع[2].

وسنتحدث عن مدينتي المنصورة و تلمسان وفاس انموذجاً للمدن المغربية مدينة المنصورة هي المدينة لتي بناها السلطان يوسف بن يعقوب المريني في سنة (698 هـ /1299م)، وهي تقع على بعد 2 فرسخ غربي تلمسان[3].

---

(1) حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، 1985م ،ج2 ، ص152 .

(2)حركات ، العمارة وفن المرينين ، مجلة دعوة الحق ، العدد 6 ، سنة 7 ، الرباط ، 1964م ، ص41.

(3)ابن ابي زرع : علي بن محمد بن احمد بن عمر الفاسي (ت 726هـ / 1325م) ، الانيس المطرب وروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب واخبار مدينة فاس ، تعليق : محمد الهاشمي ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972م ، ص 284، 388 . ؛ الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ص388.

* تلمسان ، وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ، ولها خمسة ابواب ثلاثة منها في القبلة : باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة ، وفي الشرق باب العقبة ، وفي الغرب باب ابي قرة ، وفيها اثار للاول قديمة ، وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة ، وكثيرا مايوجد الركاز في تلك الاثار ، وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة اميال ، ومدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط لها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين ، وهو نهر سطفسيف ، وهي دار مملكة زناتة وموسطة

وكان اقدامه عن بنائها بمثابة منشأة عسكرية وتجمع سكني اقيمت امام مدينة تلمسان[1].

وعدت مدينة المنصورة عاصمة ثانوية للسلطان يوسف[2]، يبلغ طولها (1305م)، وعرضها (750 م) وتوجد بأركانها ابراج لا منفذ لها وعرض جدراها اكثر من متر، وفي شمال المدينة ستة ابواب يقابلها ستة اخر في جنوب المدينة[3]،

ومن المدن ذات الاهمية الحضارية مدينة تلمسان التي حظيت في عهد بني زيان بعز وسلطان اذ تبوأت مكانة مرموقة ، واصبحت حاضرت المغرب الاوسط ، وارتقت الى مصاف حواضر التطور والازدهار، مستفيدة في ذلك من رصيدها الحضاري الادريسي، والمرابطي، والموحدي[4].

قبائل البربر ومقصد لتجار الافاق ، ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ، ومن ولده عيسى ابو العيش بن ادريس بن محمد بن سليمان الذي بنى جراوة ، وكان اميرها وبها توفي ، ولم تزل تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الراي على مذهب مالك . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص745. 746

(1) حركات ، الجيش المغربي في العهد المريني ، ص 28.

(2)ابن خلدون ، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/ 1405م) ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1981م ج7 ، ص221 .

(3)الاعرجي ، نظال مؤيد مال الله عزيز ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685ـ 706هـ / 1286ـ 1306م دراسة سياسية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة الموصل ، 2004م . ص121 .

(4) بالعربي ، خالد ، تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية ، دار الالمعية للنشر والتوزيع ، قسطنطينة ، ط1 ، 2011 م ، ص149، 177.

لقد كانت لهذه المدينة الدور السياسي والعسكري في تحديد معالم المغرب الاوسط ونمائه الاقتصادي وازدهاره الثقافي والعلمي[1] حيث اسهم ملوكها بدور كبير في شهرتها وتطويرها في مختلف المجالات ، فعملوا على تخليد مأثرها وتوسيع عمرانها ، الذي عكس نمو الفنون والعلوم والآداب وازدهارها[2]، كما تباروا في تعميرها واعادة اصلاح ما تهدم منها ، وترميم ما كان آيلا للسقوط فيها ، بالإضافة الى تشييد مؤسساتها ومرافقها العامة والخاصة ، فأمتد نطاقها العمراني واتسعت خطتها وضاقت بسكانها حتى بلغ عدد منازلها في عهد السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن 16 الف منزل اي ما بين 90- 120الف نسمة [3] وقد شكل موقعها دوراً اساسياً فلم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تسع ورحل اليها الناس من القاصية لحسن موقعها وعذوبة مائها وطيب هواها واختطت بها القصور والمنازل العالية وغرست

---

(1) ابن داود ، نصر الدين ، بيوت العلماء بتلمسان من القرن 7هـ /13م الى القرن 10هـ/ 16م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الوسيط ، جامعة ابي بكر بالقايد ، تلمسان ، 2010/2009م ، ص 32.

(2) فيلالي ، عبد العزيز ، تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ، مجلة الوعي ، دار الوعي ، الجزائر ، العدد المزدوج (3،4) ، 2011م ، ص9.

* ابي تاشفين ، يكنى ابا زيان فعقد له تلمسان واعطاه الالة وجمع له جيشاً من مغراوة وبني توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى فاس فأجفل ابو حمو والعرب امامه ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها وثبتة قدم ابي حمو بها وعادة ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم قبله وعقد المهادنة مع ابي حمو واستقر الامر على ذلك . السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ/ 1897م) ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م ، ج4 ، ص34

(3) لعرج ، عبد العزيز محمود ، مدينة المنصورة بتلمسان دراسة تاريخيه واثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها ، مكتبة زهراء المشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2006م ، ص 26 .

بها الرياض والبساتين وفاحت برحابها الازهار والرياحين [1]؛ هذا ما جعلها احد المراكز العلمية على عهد الحكام الذين تعاقبوا عليها ، ويؤكد ذلك جل الكتاب الذين وصفوا هذه المدينة في كتاباتهم حيث قال عنها البكري : " ولم تزل تلمسان داراً للعلم والعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن انس رحمه الله " [2]، كما وصفها صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الامصار بأنها " مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين "[3]، ليكون القرن (8هـ / 14م) المدة التي بلغت فيها تلمسان اوج قوتها حيث وصفت بأنها اعظم امصار المغرب سواء في العلم والحضارة ام في العمران والتجارة حيث اصبحت مركزاً تجارياً مهماً وسوقاً عالمية[4] وعن ذلك يقول ابن خلدون " نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم وكرسياً لسلطانهم فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها الماء ، فأصبحت اعظم امصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ، ونفقت بها اسواق العلوم والصنائع ، فنشأ بها العلماء واشتهر بها الاعلام ، وضاهت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية " [5]، كما وصفها القلصادي سنة 840 هـ /1437م اي خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي موضحاً صورتها العلمية في قوله : " تلمسان يا لها من شأن ... ادركت فيها كثيراً من

---

(1) رزيوي ، زينب ، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الاوسط ما بين القرنيين 7هـ و9هـ/ 13م . 15م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الوسيط الاسلامي ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس ، 1437هـ / 2016 م ، ص 34.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، ص77.

(3) مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، ص177.

(4) بالعربي ، " ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8هـ/14م) " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة سيدي بلعباس ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ع2 ، 2002/ 2003م ، ص255.

(5)العبر ، ج7 ، ص161-162.

العلماء والصلحاء والعباد والزهاد ، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة ، والهمم الى تحصيله مشرفة ، والى الجد والاجتهاد فيه مرتقيه ، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على اكثر الاعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان " [1] ، ونفس الصورة اكدها احد الرحالة من اجل الاستفادة من علمائها خاصة في مجال الطب وقد لقي بها علماء كبار دَوَّنهم في كتابه المسمى الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم[2]. وقال عنها لسان الدين ابن الخطيب : " تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ، ووضعت في موضع شريف ، كأنها ملك على رأسه تاج ، وحواليه من الدوحات حشمه واعلاجه عبادها يدها ، وكهفها كفها ، وزينتها زيانها ، وعينها اعيانها ، هواء المقصور بها فريد وهوائها الممدود بها صحيح عتيد " [3].

كل هذا يبرز المكانة التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان التي اهلتها بأن تكون عاصمة علمية ممتازة ذات صيت وشهرة ضاهت عواصم العلم المشهورة آنذاك غرناطة وتونس وفاس[4].

لقد كانت للمنشأة المدنية الدور المهم في حياة اهل المشرق والمغرب الاسلامي فمن المظاهر العمرانية التي تدل على مدى الرفاهية التي وصل اليها اهل المغرب والتي اهتم بها السلطان يوسف ، اذ امر ببناء قصر مدينة فاس الجديدة سنة (686

---

(1)القلصادي ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي (ت 891هـ/ 1486م) ، رحلة القلصادي المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى اعلى المنازل والمناقب ، تحقيق : محمد ابو الاجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978م ، ص94.

(2)كريم ، عبد الكريم ، تلمسان من خلال كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، مجلة عصور الجديدة ، ع 2 ، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2011م ، ص66.

(3)معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002م ، ص 183، 184

(4)البوعبدلي ، المهدي ، اهم الاحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ بعض اعلامها ، مجلة الاصالة ، الجزائر ، السنة 4 ، ع 26 ، 1975م ، ص124.

هـ / 1287م) ، واصبح هذا القصر مقرا للسلطان وابنائه من بعده[1] ، وايضاً بنى وداراً كبيرة للضيافة في بلدة الزاوية ، وايضا بنى قصورا بمدينة المنصورة وجدة [2].
ويمكن القول بأن هناك العديد من الدور العامة التي اغفلت المصادر عنها.

وفي المغرب وفي القرن الثاني الهجري ، توافد الفكر العمراني العربي ابداعاً وتواصلاً من خال ميلاد مدينة عربية اسلامية جديدة هي مدينة فاس ، ويبدوا ان الادارسة قد اعتمدوا على الاسس نفسها التي بنيت فيها مدن القيروان وبغداد ، وقد اجمع ابن ابي زرع تلك الاسس بقوله : " قالت الحكماء احسن مواضع المدن ان تجمع خمسة اشياء وهي النهر الجاري ، والمحرث الطيب ، والمحطب القريب ، والسور الحصين ، والسلطان اذا به صلاح حالها وامن سلبها وكف جبابرتها ، وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال " [3] وقد تمكن ادريس بن عبد الله من الوصول الى المغرب في ربيع الاول من سنة 172هـ ، واستطاع ان يؤسس ملكاً وامامة اسست على تقوى الله ورضوان [4] اذ نجح في تاسيس اول دولة علوية قوية بالمغرب ، ونجح بالتالي في فصل المغرب الاقصى عن تبعية الخلافة العباسية في المشرق ، وقد وجد تربة المغرب خصبة والجوا مناسبا ملائما ولذا عقب العزم على الاستقرار والتاسيس والتشييد وتوطيد اركان الاسلام في المغرب [5]

(1)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص407. ؛ الاعرجي ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685ـ 706هـ / 1286ـ 1306م دراسة سياسية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة الموصل ، 2004م . ص117 .

(2)ابن خلدون ، العبر ، ج3 ، ص266 .

(3) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص24

(4)العمراني ، عبد الله ، فاس وجامعتها ، مجلة البحث العلمي ، الرباط ، العدد 8 ، 1966م ، ص171

(5) العمراني ، فاس وجامعتها ، ص172

اذ تقع مدينة فاس ضمن الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة ، اذ الطول عشر درجات وستون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة [1] حيث تتمتع فاس بموقع جغرافي مميز في بلاد المغرب ، وذلك بحكم سيطرنها على الطرق التجارية التي تمر بأرضيها وذلك لوقوعها عند ملتقى طريقين رئيسين [2] حددتهما طبيعة الارض ، الطريق الاول يبدا عند شواطئ البحر المتوسط في طنجة [3] وسبتة ويمتد الى الصحراء وما وراءها الى القارة الافريقية مجتازاً سهل سايس [4] اما الطريق الثاني يبدا من المحيط الاطلسي الى المغرب الاوسط [5] ومن ثم الى الشرق عن طريق ممر تازا [6]

---

(1) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ط1 ، ص140

(2) ذنون ، تاريخ المغرب ، ص212

(3)طنجة ، مدينة ازلية قديمة تقع على ساحل البحر المحيط على راس المجاز الى بلاد الاندلس وهي محط للسفن افتتحها القائد العربي عقبة بن نافع . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص291 .

(4)سهل سايس ، سهل يقع بين فاس ومكناس يمتد هذا السهل على مسافة ثمانية عشر ميلا نحو الغرب وعشرون ميلا نحو الجنوب وارضه خصبة ممتازة . ليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ج1 ، ص299 .

(5)زينب ، نجيب ، الموسوعه العامة لتاريخ المغرب والاندلس ، ط1 ، بيروت ، دار الامير ، 1995م ، ج2 ، ص133 .

(6)ممر تازا ، هو الحد الفاصل مابين المغرب الاوسط والمغرب الاقصى وهي فسحة من نحو ستة اميال مابين الجبال ، تنصب اليها في تلك الجبال مياه كثيرة تسقى اراضيها تبعد عن فاس 60 ميلا وهو طريق للقوافل التجارية مابين فاس وتلمسان . واصف بك ، امين ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ، تحقيق : احمد ذكي باشا ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت ، ص40 .

ومدينة فاس متوسطة بين مدن المغرب الاقصى [1] اذ تقع في غربها مدينة مكناسة الزيتون ، ولكثرة الزيتون فيها نسبت اليها ، وهي عبارة عن مدينتين صغيرتين على ثنية بيضاء بينهما شوط فرس ، وفي شرقيها نهر صغير عليه ارحاء يسمى نهر فلفل [2] وهذه المدينة كثيرة الخيرات لها جنات وزرع وارضها طيبة للزراعات ولها مكاسب واحوال طائلة [3] ومن المدن المعمورة بشمال فاس مدينة البصرة وهي مدينة كبيرة على ربوة مشرفة على بسائط واسعة كثيرة الزرع ولكثرة البانها كانت تعرف ببصرة الذبان وتعرف ايضا ببصرة الكتان وتعرف ايضا بالحمراء لانها حمراء التربة [4] ومن ومن المدن التي تقع في شمال فاس مدينة قصر صنهاجة وهي مدينة تقع على تل تحته نهر تدخله المراكب وتعرف بقصر عبد الكريم [5] وفي شرقها تقع بلاد تازا وهي وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والاعناب وجميع الفواكه واكثرها شجر الجوز ويسكنها قبائل من البربر يعرفون بغياته [6] اما في جنوبها فتقع مدينة صفروي وهي مدينة صغيرة ذات انهار ومياه جارية وهي كثيرة الفواكه والاعناب واكثر شجرها اللوز ومنه يحمل الى فاس [7] اما تسمية مدينة فاس فهي مدينة مشهورة كبيرة على بحر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر واجمل مدنه قبل ان تختط مراكش [8]

(1)ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص123
(2)الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص244
(3)المصدر نفسه ، ج1 ، ص 244
(4)البكري ، المساللك والممالك ، ج2 ، ص293
(5)الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص246
(6)مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص186
(7)الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص243
(8) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص230

اختلف الجغرافيون والمؤرخون العرب اختلافاً كبيراً في سبب تسمية فاس وقد اوردوا عدة روايات حول اصل التسمية ، قيل انما سميت بفاس لانهم لما شرعوا في حفر اساسها وجدوا فاساً في موضع الحفر (1) وهذا التعليل على حد قول احد الباحثين غير مقتنع للدارس لان الفاس لم يكن شيئاً مقدساً او حدث تاريخي مشهور او شخصية بارزة لكي يقترن اسم المدينة بها (2) وهناك رواية تقول : ان راهباً بربرياً يدعى المنتصر ، قد عمر خمسين ومائة سنة وانه اخبر ادريس بن عبد الله بأن راهباً كان قد انبأه منذ مائة سنة بأنه وجد في كتاب علمه انه كانت بموضع فاس مدينة تسمى ساف خربت منذ سبعمائة والف سنة وان رجلا من ال بيت النبوة ، يسمى ادريس سوف يجددها ويحي اثرها ، فقال ادريس : الحمدلله ، انا ادريس ، وانا من بيت ال الرسول وانا بانيها ان شاء الله (3) وفي القرن 7 هـ /13م ذكر ابن سعيد سعيد المغربي معلومة مهمة عن تاريخ تاسيس فاس في الجزء الخاص ببلاد المغرب والمفقود من كتابه المغرب في حلى المغرب والتي اوردها كل من صاحب كتاب مسالك الابصار وصاحب كتاب صبح الاعشى حيث قال : " وان فاساً القديمة هي ايضاً مدينتان اقدمها المعروفة بمدينة الاندلسيين بنيت في زمن ادريس بن عبد الله الحسنى احد خلفاء المغرب ثم المعروفة بعدوة القرويين بنيت بعدها " (4)

---

(1)القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص230

(2)عبد العباس الجبوري ، الحركة الفكرية في مدينة فاس في عهد الدولة الموحدية ، اطروحة دكتورا غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الاداب ، 1986م ، ص57

(3)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 46

(4)القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5 ، ص154

اما لسان الدين بن الخطيب في القرن 8هـ /14م فعندما ذكر بناء ادريس بن ادريس مدينة فاس قال : " بنى داره المعروفة اليوم بدار القيطون ومسجدها بجواره وعظم شأنها بالعمارة بعده وسكنها الملوك والاشراف " [1] حيث يكون ادريس الاول هو المؤسس الاول لمدينة فاس وواضع حجر الاساس للجزء الذي عرف فيما بعد بعدوة الاندلس على الضفة الشرقية لنهر فاس ، وان ادريس الثاني جاء فأكمل بنائها بعد ان نزل في فاس سنة 192هـ /807م وشرع في بناء سورها مبتدا من جهة القبلة " فادار سورها على جميعها وبنى بها الجامع الذي برحبة البير المعروف بجامع الاشياخ واقام فيه الخطبة ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة فبقي يقطع الشجر والخشب ويبني في موضعه واعجبه ما رأى كثرة العيون فيها وتدفق الانهار فأنتقل عن عدوة الاندلس اليها " [2]

ثم شرع ادريس بن ادريس بعد سنة من اكمال بناء عدوة الاندلس في فاس في بناء عدوة جديدة مواجهة للاولى على الضفة المقابلة لنهر فاس وهذه العدوة عرفت فيما بعد بعدوة القرويين حيث " كانت عدوة القرويين غياضا في اطرافها ابيات من زواغة فأرسلوا الى ادريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين وذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة " [3]

---

(1)اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط1 ، بيروت ، دار المكنون ، 1956م ، ج3 ، ص209

(2)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص47

(3)البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص307

اماء يناء فاس الجديدة تم توسيع مدينة فاس في عهد الدولة المرينية في القرن 7 هـ/ 13م ، حيث بنيت فيها عدوة اخرى سميت بالبيضاء ، فبعد ان تمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني [1] واستفحل امره وكثرت حاشيته وكثر وافده عزم على ان يتخذ بلداً ينسب اليه يتميز بسكناه وينزل فيه وتكون دار ملكه وملك ابنائه من بعده فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديها المخترق وسطها من اعلاه [2] وتقع هذه المدينة في سهل جميل بجوار النهر على بعد نحو ميل غربي المدينة القديمة بأنحراف يسير نحو الجنوب ، فشرع في بناء اساسها في سنة 674هـ/ 1275م [3] وبنيت في المدينة الاسواق والدور والقصور واجريت فيها المياه الى القصور [4]

(1)يعقوب بن عبد الحق بن يوسف المريني سلطان المغرب وسيد بني مرين ولد سنة 609هـ/1212م ، بويع له بالخلافة بعد وفاة اخيه ابي بكر في سنة 656هـ/1258م ، استولى على ملك الموحدين وورث سلطانهم ، وكان دخوله الى مراكش في يوم عاشورا سنة 668هـ/ 1269م ولما اتته البيعة من اهلها تحول عنها الى فاس وصيرها دار الخلافة ومقر الامارة ، ملك الاندلس واتسعت ممالكه توفي بالجزيره سنة 686هـ/ 1289م . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج28 ، ص63

(2)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص161

(3)ليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ج1 ، ص 284

(4)ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص258

والى جانب المدينة البيضاء بنيت مدينتان على الضفة الغربية لنهر فاس احداهما تعرف بمدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح بناها ابو سعيد عثمان بن ابي يوسف المريني الى جانب المدينة البيضاء ، والثانية مايعرف بربض النصارى وهي تستخدم لسكن النصارى من الفرنج المستخدمين بخدمة السلطان وتقع على قبالة فاس القديمة من ضفة النهر ويطلق على هذه المدن الثلاث اسم فاس الجديدة [1] وقال فيها ابن خلدون بأنها اعظم اثار هذه الدول وابقاها على الايام [2] اما لسان الدين بن الخطيب فقد قال فيها : " اما مدينة المللك فبيضاء كالصباح افق للغررالصباح يحتقر لايوانها ايوان كسرى وترجع العين حسرى ، ومقاعد الحرس ، وملاعب الليث المفترس ، ومنابت الدوح لمغترس ، ومدرس من درس ، ومجالس الحكم الفصل وسقائف الترس والنصل ، واهداف الناشبة اولى الخصل ، واوايين الكناب ، وخزان محمولات الاقتاب ، وكراسي الحجاب وعنصر الامر العجاب .... " [3] وهكذا توسعت عمارة مدينة فاس بعد ان اصبحت حاضرة للمرينيين .

---

(1)العمري ، مسالك الابصار ، ج4 ، ص89

(2)العبر ، ج2 ، ص258

(3)خطرة الطيف رحلات في الغرب والاندلس ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ، ط3 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2003م ، ص108

اما مدن الحجاز فهي المدينة المنورة تاتي المدينة المنورة او (يثرب) من حيث اهميتها بالنسبة لبلاد الحجاز بعد مكة المكرمة (1) ، فهي تقع على بعد ثلاثمائة ميل شمال مكة (2)، ويحدها جبل احد شمالا ، وحرة واقم شرقاً ، وحرة الوبرة غرباً ، وجبل عير جنوباً ، وتتميز انها ارض بركانية ، وتعد عبارة عن واحة كثيرة الخصوبة والمياة (3)، يخترق المدينة المنورة وادي بطحان الذي يجري من الجنوب الى الشمال الغربي ثم يصب في وادي العقيق * ، والمدينة المنورة محاطة بالبساتين والنخيل ، ولاهلها مزارع ومياه عذبة (4)، يقدر حجم يثرب بمقدار النصف من مكة (5)تميزت ايضاً يثرب بسهولتها ، حيث استفاد اهل يثرب من هذه الظاهرة الايجابية اذ تميزت بالخصوبة ، فكثرت المزارع فيها (6)

---

(1)الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية ، ط2 ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ص18

(2)اليعقوبي ، البلدان ، ص152

(3)الحموي ، العقيق ، تطلق على كل مسيل ماء شقه السيل في الارض ، والعقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخيل . الحموي ، ج4 ، ص 137 – 138 معجم البلدان ، ج 5 ، ص82

(4)المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص 80

(5)ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 36

(6)علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1972 م ، ص 96

وتوجد في يثرب المياه الجوفية بما يكفي حاجة السكان والزراعة فيها ، فالنخيل والمزارع تسقى من الابار وكانت هذه مهمة العبيد على الاكثر [1] فعلى الرغم من ازدهار الزراعة في يثرب ، الا انها ارتبطت بعلاقات تجارية مع بلاد الشام واليمن والحبشة [2] ، يتصف مناخ المدينة المنورة بأنه حار صيفاً ، بارد شتاءً [3] ويعد افضل من مناخ مكة المكرمة بسبب توفر المياه التي ساعدت على قيام الزراعة وبذلك ادت الى ظهور البساتين والحدائق ، هذا ترك اثراً واضحاً في طباع اهل يثرب ، اذ اتصفت اطباعهم باللين [4] وتتميز المدينة المنورة بتصاقط الامطار بغزارة ، مما قد يحدث سيول قوية في كثير من الاحيان ، ويسود المدينة مناخ صحراوي متطرف [5]

---

(1)زين عوض صالح احمد ، الدولة العربية الاسلامية الاولى في المدينة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الموصل ، 2006 م ، ص67

(2)ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 370

(3)الانصاري ، كعب بن مالك (ت50هـ /670م) ، ديوان كعب بن مالك الانصاري ، تحقيق : سامي بكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1966م ، ص17 – 18

(4)الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص82

(5)سالم ، عبد العزيز ، تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، دار النهضة العربية ، 1997م ، ، ص390

ومن مدن الحجاز الهامة ايضاً مدينة الطائف ، اذ تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة المكرمة [1]، على ظهر جبل غزوان الذي هو من سلسلة جبال السراة [2]، وهي مرتفعة اكثر من خمسة الاف قدم عن مستوى سطح البحر [3] ، وتحيط بها الوديان الكثيرة ، ومن اهم الاودية في مدينة الطائف هو وادي وهط يوجد في قرية الوهط بالطائف على بعد ثلاثة اميال من وج ، اما الى الشرق من وادي الوهط يوجد وادي ليه وهو وادي في الطائف يعود الى ثقيف [4] ، ويقع بالقرب منه وادي ركية ، اما من الغرب يحيط بها وادي وج سمي بوج نسبة الى وج بن عبد الحي بن خزاعة [5] ومدينة الطائف عبارة عن قسمين يفصل بينهما وادي وادي وج ، يعد من اشهر اودية الطائف ، القسم الاول يسمى طائف ثقيف والقسم الاخر يسمى الوهط [6] اماتسمية الطائف فكانت قديماً تسمى وج نسبة الى وادي وج وج الذي ينسب الى وج بن عبد الحي ذكرناه سابقاً [7]

---

(1)الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص9

(2)المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص79

(3)الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص49

(4)الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص9

(5)علي بن احمد بن عراق الكناني ، نشر الطائف في قطر الطائف ، تحقيق: علي محمد عمر عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ، ص29

(6)الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص121

(7)لطفي عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، تحقيق : علي البجاوي ، دار دار المعرفة ، بيروت ، 1954م ، ج2 ، ص877

اما سبب تسميتها بالطائف فقد قيل لانها طافت على الماء في الطوفان وقيل ان جبريل طاف بها على البيت [1] وايضاً سميت بالطائف نسبة الى الحائط الذي بنى حولها [2] ويمتاز مناخ الطائف بأنه معتدل ، نظراً لارتفاعها[3] ووصفت ايضاً بأنها شمالية باردة الماء وطيبة الهواء [4] ، وان سبب هذا الجو الذي تتمتع به الطائف فأنه يعود الى هبوب الرياح الشمالية عليها ، مما ساعد على جعلها مصيفاً لاهل مكة ، في فصل الصيف ، اما في فصل الشتاء فيسود البرد حيث تصل البرودة الى حد تتجمد فيه المياه [5] وقد ساعد هذا المناخ على الاستيطان في مدينة الطائف ، حيث كونها منطقة ذات ارض خصبة ، تكثر فيها المياه ، ادى ذلك الى نمو الزرع والنخيل فيها [6]

---

(1)حسن بن علي بن يحيى العجيمي ، اهداء اللطاف في اخبار الطائف ، تحقيق ، علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ، ص21

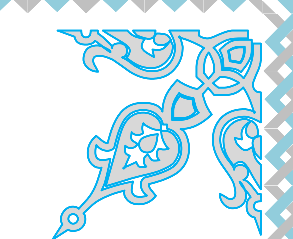
(2)الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص9

(3)نادية حسني صقر ، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، ط1 ، دار الشروق ، السعودية ، 1981م ، ص19

(4)المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص79

(5)ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص95

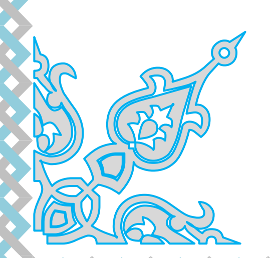
(6)يعرب ياسين ابراهيم ، ابار الحجاز دراسة في اهميتها قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، 2009م ، ص26





العوامل التي اسهمت في رحلة علماء بلاد المغرب الى الحجاز .

- المبحث الاول : العامل الديني
- المبحث الثاني : العامل الفكري
- المبحث الثالث : العامل الاجتماعي
- المبحث الرابع : طلب العلم والسعي وراء المعرفة



المبحث الاول : العامل الديني

يعد من العوامل التي دفعت علماء المغرب للسفر الى الحجاز، لأداء فريضة الحج فالحج فريضة على كل مسلم اذا توفرت له شروط القدرة والاستطاعة[1]، كما في قوله تعالى

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [2].

لذلك يعد الجانب الديني محط اهتمام الرحالة وخاصة بما يتعلق بمكة والمدينة وذلك لما تتمتع به هاتان المدينتان من مكانة روحية خاصة لدى المسلمين كافة حيث اصبحت الرحلة مطلباً للجميع كون الحج فريضة على كل مسلم حيث نالت مكة والمدينة اهتماما خاصا في مشاهدات الرحالة والجغرافيين المسلمين وكانت الرحلة اليها مطلباً ومراداً للجميع .

وقد تحدث بعض الرحالة عن توجههم الى عرفة والمبيت بها وتركهم سنة المبيت بمنى ، وقد ذكر الرحالة ابو بكر العربي ان هذا بخلاف السنة النبوية ، اذ ينبغي ان يكون مبيت الحاج في تلك الليلة بمنى لا عرفة .[3] وأيضاً ذكر الرحالة ابن رشيد بانه يتم التوجه في تلك الليلة الى عرفات والمبيت بها ، وتركهم سنة المبيت بمنى " وبتنا تلك الليلة بعرفات . ورأينا في تلك الليلة عجباً فيما ابتدعه العامة من الاستعداد والاحتفال بوقد الشمع بطول تلك الليلة بالجبل القائم في وسط عرفات المعروف عند العرب القدماء بالإل " [4].

وقد اسهب بعض الرحالة بوصف تأدية مناسك الحج المعظمة كابن جبير، حيث انّه يشرح في رحلته " صعدنا الى منى لمشاهدة المناسك المعظمة بها ولمعاينة منزل اكثر لنا

---

(1)الشاهدي ، حسن ، ادب الرحلة في العصر المريني ، منشورات عكاظ ، ص63، 65.

(2) سورة الحج ، اية 27 .

(3)الفهري ، محمد بن عمر بن رشيد (ت 721هـ/ 1321م) ، ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة ، تحقيق : د. محمد الحبيب ابن الخواجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1982م ، ج5 ، ص88 .

(4)المصدر نفسه ، ج5 ، ص 90.

فيها اعداداً لمقام بها ايام التشريق فألفيناها تملأ النفوس بهجة وانشراحاً مدينة عظيمه الاثار واسعة الاختطاط عتيقة الوضع " [1].

يتطرق العبدري الى المناسك ومنها العمرة فيقول " وبعض عمل الحج وهو الاحرام وشرطه فيها ان يكون من الحل والطواف والسعي والحلاق او التقصير والعمل فيها كالعمل في الحج " [2]، ويستطرد قائلاً عن الحج " واركان الحج التي لابد من الاتيان بها اربعة وهي الاحرام والسعي والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والحق بها جمرة العقبة زيادة الوقوف بالمشعر الحرام " [3].

ويذكر ابن جبير شعائر اقامة صلاة التراويح في رمضان من الصلوات وقراءة القران وختمه في الليلة السابع والعشرين او ما دونها حسب المذاهب كما ذكرها ابن جبير ،وايضا يضيف الليلة الغراء في النص وهي ليلة القدر ليلة نزول القران كما ذكر في القران الكريم﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [4].

اما عن المشعر الحرام فيذكر العبدري " ومزدلفة اوسع واوطأ في منى والمشعر الحرام في ما يلي منى والنزول بالمزدلفة بعد الرجوع من عرفة ، وحدّ مزدلفة مما يلي منى محسر وهو وادٍ هناك وحدها مما يلي عرفة ، ومن مسجد مزدلفة الى مسجد عرفة اربعة اميال ،

---

(1) ابن جبير : محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت 614هـ/ 1217م) ، رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام ، تحقيق : د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، مصر ، 1955م ، ص120ـ 121.

(2)العبدري : محمد العبدرى البلنسى (ت 725هـ/1325م) ، رحلة العبدري ، تحقيق : سعد بوفلاقة ، الجزائر ، ط1 ، 1428هـ / 2007م ، ص188.

(3)العبدري ، ص189.

(4) سورة القدر، اية 4ـ5

وفي عرفة القبلة ويعرف بمسجد ابراهيم (عليه السلام) وهو اول عرفة وقل من يعرفه من الحجاج لان الموقف وراءه بميل وهو على وادي عرفة ، وتوقف مالك .... فيمن وقف به " [1].

إنَّ الملاحظ على الجانب الديني انَّ الرحالة قد ركزوا اهتمامهم على ما يتعلق بالحج والعمرة ومراسيم تأديتها بشكل مباشر .

أمَّا فيما يتعلق بالمجتمع المكي فقد ركز ابن جبير على الجانب الديني اذ تناول مكة المكرمة بالوصف لما يجري من احتفالات في المناسبات الدينية بإسهاب ، وتفصيل فوصف احتفالات الليلة الاولى للعمرة الرجبية قائلاً " احتفال لم يسمع بمثله يحضرون اهل مكة على بكرة ابيهم ، فأجتمع منهم عدد لا يحصى كثرة ، على ترتيب عجيب ، فالفرسان منهم يخرجون بخيلهم ويلعبون بالأسلحة عليها ، والرجالة يتواثبون ويتثاقفون بالأسلحة في ايديهم حراباً وسيوفاً وحجفاً وهم يظهرون التطاعن بعضهم لبعض والتضارب بالسيوف والمدافعة بالحجف التي يستجنون بها "[2].

وان ما يميز المجتمع المكي هو سيرتهم الحسنة في استقبال شهور السنة الهجرية ، " إذ عند مستهل كل شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضاً ويتغافرون ويدعوا بعضهم لبعض ، كفعلهم في الاعياد ، وهكذا دائماً ، وتلك طريقة من الخير واقعة في النفوس ، تجدد الاخلاص وتستمد الرحمة من الله (عز وجل)، بمصافحة المؤمنين بعضهم بعضاً وبركة ما يتهادون من الدعاء والجماعة رحمة، ودعاؤهم من الله بمكان"[3].

لقد كانت الغالبية العظمى من اهل المغرب الذين يشدون الرحال الى مدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ليس فقط هو لأجل اشباع رغباتهم الدينية من الزيارة سواءً للحج ام زيارة قبر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) ، بل كان يحيط بهم حبهم للعلم والتزود منه قدر المستطاع وكثيراً

---

(1) رحلة العبدري ، ص189.

(2) رحلة ابن جبير ، ص96 .

(3) حسن ، محمد عبد الغني ، غرائب من الرحلات ، دار المعارف ، مصر ، ص22.

ما يتبين هذا الامر من خلال نصوص بعض المؤرخين اذ كثيراً ما يذكر بأن فلاناً من العلماء قد " حج وجاور وسمع بمكة " [1].

ومن جهة اخرى فأن التبادل الثقافي وضمن جانبه الديني قد تميز بأنه في احيان معينة لم يجمع الحج مع الجانب المعرفي بل تميز طابعه بالجانب الديني فقط فهذا ابن خلدون يشير الى هذا المعنى وبكل وضوح عن احد المغاربة " حج ولقي اعلامنا ولم يأخذ عنهم "[2].

ومن خلال تتبعنا للروايات التاريخية التي تضمنتها كتب التاريخ والتراجم فأنه قلما نجد مثل هذا الامر إذ نلاحظ ان الجانب الديني قد اختلط اختلاطاً كبيراً فكان للحج مكانته المميزة والعلم مكانة مرموقة أيضاً .

وما يهمنا في هذا المجال ، هو مدى ما تركه الاثر الثقافي عند زيارة العلماء لمدن الحجاز ، وما هو التفاعل الذي تولد عند زيارتهم المتبادلة وخاصة للمدن المقدسة في الحجاز ، لقد انبهر معظم العلماء المغاربة بالجو العلمي الذي كان يحيط مكة المكرمة والمدينة المنورة .

(1) الداودي ، شمس الدين محمد بن علي (ت945هـ/ 1538م) ، طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م ، ج2 ، ص376.

(2)ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، تعليق : محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2004م ، ص41.

المبحث الثاني: العامل الفكري

كانت المراكز الفكرية الكبرى مقصد الرحالة قبيل ادائهم لفريضة الحج وبعدها وهذا الامر ينعكس على كافة الرحالة المغاربة ، فكان يتوجهون الى مصر وبلاد الشام والحجاز، وكانت محطات استراحتهم هي بيوت وحلقات العلماء المتواجدين في تلك الامصار [1].

وقد ابدى ابن جبير اهتمامه بالجانب الثقافي والعلمي ولا سيما التعليم الديني وكان يبادر في كل بلد يحل فيه الى تفقد المشاهد الدينية والى لقاء العلماء والوعاظ وتقصي اخبارهم ومجاسهم ، وايضاً اهتم العبدري في رحلته بالناحية العلمية للبلدان التي مرَّ بها وترجم لعدد من الشيوخ الذين لقيهم ودون ما اخذ عن كل واحد منهم من حديث وفقه وادب وغير ذلك مما جعل الرحلة اقرب ما تكون الى فهرس لشيوخه[2].

حيث افاد العبدري من كثرة مشايخه وتنوع ثقافتهم ، فجاءت ثقافته منوعة شاملة وهذا ما ظهر جلياً في رحلاته ، اما في مدينة مكة فهو يذكر انه لم يلتقِ بها بمن يأخذون عنه علماً فهو يقول " وفي مكة انشغل بمناسك الحج واهمل البحث حقه "[3].

وقيد ابن رشيد الفهري رحلته الحافلة التي اسماها (ملئ العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجه الوجيهة ، الى الحرمين مكة وطيبة) التي كان يسجل فيها ما يُؤخذ عن العلماء ويأخذون عنه، ويحظر مجالس علمهم، فكانت رحلته تعريفاً بالرجال من المشرق والمغرب[4].

---

(1) ذنون : عبد الواحد ، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2005م ، ص10.
(2) العبدري ، رحلة العبدري ، ص198
(3) ، رحلة العبدري ، ص200.
(4)الفهري، ملئ العيبة، ج5، ص3.

فهي رحلة علمية اكثر من اي جانب اخر ، التقى ابن رشيد القهري بالعديد من الشيوخ والعلماء في طريق ذهابه وايابه ، فالتقى في المدينة زادها الله تعالى تشريفاً بالشيخ الاديب الصوفي ابي يعقوب يوسف بن ابي الحسن علي البكري المهدوي المعروف بابن السماط [1]، حيث التقى بالشيخة الصالحة الكاتبة ام الخير ام محمد فاطمة بنت ابراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطائحي، التي قدمت في ركب الشام زائرة حاجة ، لقيها بمسجد المصطفى (ﷺ) وقرأ عليها وكتبت له خطها بالإجازة هناك في جميع مروياتها[2].

والحديث عن مشاهدات الرحالة العلمية في العالم العربي وخاصة في الحقبة التي عاشوا فيها لا ينفصل عن المسيرة العلمية للمشرق وهذا يرتبط بالمؤسسات العلمية كالمكتبات التي كانت تحتوي على المجموعات الفنية ، والمستشفيات التي كانت تستخدم عدداً كبيراً من اهل الاختصاص ، والمراصد التي كانت تسمح بتحقيق اعمال فلكية بارزة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسيرة الحكام الذين أنشؤوها وبالعلماء الذين احيوها [3].

ولقد كان عدد الحجازيين الراحلين الى بلاد المغرب يكاد يكون محدود جداً اذ لم تطالعنا النصوص الكتابية للمؤرخين العرب من برز في هذا الامر وافضل دليل على ذلك هو وجود دوافع عديدة لمثل هذه الهجرة " ويعود ذلك الى امرين يتعلق الامر الاول بسياسة الحذر والمتابعة التي تبنتها دول المغرب الاسلامي ازاء الوافدين المشارقة الذين كان بعضهم ينتحل التصوف من خلال المرقعة والطيلسان او طلب العلم والتجارة وينطوي على اهداف سياسية

---

(1)الفهري ، ملئ العيبة ، ج5 ، ص 5 ، 10 ، 26 ، 37

* ابن السماط ، ابو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك البكري المهدوي (613ـ 690 /1216ــ1291م) شاعر من اهل المهدية بافريقية ، مولداً ووفاة قال التجاني شعره مدون مشهور ، قصره على المدائح النبوية الا القليل مما قاله في صباه . الزركلي ، الاعلام ، ج8 ، ص242 .

(2)الفهري ، ملئ العيبة ، ص18، 21.

(3)ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ / 1448م) ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، يطلب من دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني ، ج4 ، ص 230.

والتي ازدادت تطلعاً منذ سقوط الخلافة العباسية ببغداد سنة (656هـ / 1258م) والفاطمية بالقاهرة سنة (567هـ/1268م) " [1].

اما الامر الثاني" فيعزى الى كون التواصل العلمي بين الحجاز والمغرب قد تم جله في الاراضي الحجازية والبلدان المجاورة لها حسب ما ورد في كتب التراجم والرحلة والفهارس التي اكدت لنا ان الرحلات العلمية في هذا العصر ، كان كثيراً من علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة يعتمد على العلماء الوافدين وخصوصاً الذين يأتون في موسم الحج فيأخذون عنهم العلم ، ويكتفون بذلك ، ومنهم من لا يقتنع بهذا فيرحل في طلب العلم ، وقد كانت مصر والشام وبيت المقدس واليمن هي البلدان الرئيسة التي رحل اليها طلاب العلم في ذلك العصر وقلما ان يرحل طالب العلم الى غير هذه البلدان لطلب العلم "[2].

وانَّ من ابرز علماء الحجاز الذين دخلوا بلاد المغرب الاسلامي كان منهم ابو العباس احمد بن محمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد الانصاري المخزومي المالك النحوي عالم

---

(1) زواري ، احمد عبد الرؤوف ، العلاقات العلمية بين المغرب الاوسط والحجاز خلال القرنين 7-9 ه /13-15 م ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الشهيد ،2021م ، ص75.

(2) زواري ، العلاقات العلمية بين المغرب الاوسط والحجاز ، ص76.

*احمد بن عبد المعطي ، احمد بن محمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد بن حسين بن مخلوف بن ابي الفوارس ابن سيف الاسلام بن قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ، المكي المالكي شهاب الدين ابو العباس ، نحوي الحجاز ولد سنة 709 بمصر ، وسافر منها الى بلاد المغرب مع والده ، واجتمع فيها على جماعة من الصالحين والعلماء ، منهم الفقيه ابو زيد عبد الرحمن الجزولي ، وحضر دروسه ، واخذ الفقه بمصر عن الشيخ عبد الله المنوفي وكان حسن التعليم .مهر في العربية . الفاسي ، العقد الثمين ، ص96 .

الحجاز ، ووالده اللذان سافرا الى بلاد المغرب والتقوا بمجموعة من العلماء لحضور دروسهم ومواعظهم وعلى ما يبدوا انهما قد طافا بلدان المغرب الاسلامي(1).

المبحث الثالث : العامل الاجتماعي

لقي الجانب الاجتماعي اهتماما كبيرا إذ سجل حول هذا الجانب الكثير من المظاهر الاجتماعية الموجودة في دول المشرق والمغرب ، حيث اشار ابن رشيد الفهري الى تقليد اجتماعي لمجتمع المدينة في كون اهاليها يقدمون التمر الذي اشتهرت به الى الحجاج القادمين عليهم ما يخففون عليهم رفدهم قائلاً " وجالبين من تمر المدينة ما يتحفون به القادمين ملتمسين رفدهم ، وقد صنعوا عصياً في اطرافها اوعية صغار ، فيجعلون فيها شيئاً من التمر ويناولونه اهل القباب المسترة من بين ستورها فيعطي كل احد ما تيسر له من الرفد ويدفعون الى الركبان والمشيان ايضاً من ذلك على حكم التحفة والهدية فيحسم كل على قدر وجده ، ويقسمه الناس بينهم متبركين مستبشرين " (2).

والملاحظ على هذا النص انها ظاهرة اجتماعية شملت معظم اهالي المدينة الغني منهم والفقير والصغير والكبير ، في حين وجه العبدري نقداً لطباع اهل مكة في تعاملهم مع الحجاج بقوله : " وفي اصحابها بعض الجفاء " (3).

إنَّ الملاحظ على رصد الظواهر الاجتماعية عن الرحالة هي ذكر ما تميز بها حيث انّ ابن جبير كان ميالاً الى ذكر الظواهر الايجابية على عكس العبدري الذي رصد ما هو ليس

---

(1) لعرج ، عبد الرحمن ، علاقات دول المغرب الاسلامي بدولة المماليك سياسياً وثقافياً بين القرنين السابع والتاسع الهجري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2013م ، ص260

(2) ملئ العيبة ، ج5 ، ص16 .

(3)رحلة العبدري ، ص172 .

بظاهرة حين وصف بعض اهالي مكة المكرمة ببعض الجفاء مما يدل على انه دقيق الملاحظة مما دفعه الى رصد كل ما يخص المجتمع.

وعند حديثنا عن الروابط التي كانت تربط بين الحجاز والمغرب هي الدين والنسب واللغة ، اما نظرة المغاربة لأهل الحرمين الشريفين قد اتسمت بالأجلال والتوقير ، بالرغم من انتقاداتهم لبعض تصرفات الحجازيين احياناً [1].

كانت اخبار المغرب ترد الى الحجاز عبر ميناء جدة بواسطة المسافرين ، فالعياشي عندما زار جدة حرص على الذهاب لمينائها ليتحسس اخبار موطنه عند ورود السفن منها ، وارتبط عدد من المغاربة بالمصاهرة مع اهل الحجاز [2].

كما شملت المصاهرة بعضاً من الشعب الحجازي والمغربي ، اذ شملت جزءاً من اسرة الاشراف الحاكمة بالمغرب [3] فتأكدت روابطهما وتواصلهما مرة ثانية بالمصاهرة . وامتد الترابط الى حد الاستقرار بالحجاز وامتلاك الاراضي واستصلاحها وفلاحتها، وتطالعنا بعض كتب التراجم الحجازية بأسماء عائلات ذات اصول مغربية ممن استقروا بها ، وظهر في بعضهم نبوغ في بعض النواحي ، فاستحقوا ان تسطر تراجمهم على قدم المساواة مع نظائرهم

(1)ابن مليح ، ابو عبدالله محمد بن احمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بأبن مليح ، انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمارب سيد الاعاجم والأعراب ، تحقيق: محمد الفاسي ، فاس ، 1388هـ/ 1968م ، ص125 .

(2)العياشي ، ابو سالم عبد الله العياشي (ت 1090 هـ / 1699 م) ، الرحلة العياشية ، تحقيق : سعيد الفاضلي سليمان القرشي ، ط1 ، الامارات العربية ، 2006م ، ص33.

(3)الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ / 1897م) ، الاستقصاء في اخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصر ومحمد الناصري ، دار الفكر (الدار البيضاء) ، 1956م ، ج 8، ص34.

ممن نبغ من اهل الحجاز [1]. فلم يكن في ذلك الوقت حواجز تحول دون الانصهار والاندماج ، فما دام الانسان مسلماً يحق له العيش في أي بقعة شاء من ارض المسلمين . وفي مقابل تسطير مؤرخي الحجاز تراجم لبعض اعلام اسر ذات اصول مغربية استقرت به، وجدنا ان بعض مؤرخي المغرب دونوا تراجم بعض علماء مشارقة ، وخاصة علماء الحجاز ضمن ما دونوه لعلمائهم[2].

وعملهم هذا كان نتيجة عمق العلاقات بينهما ، ونظرتهم الاسلامية الشاملة والتي فحواها، ان ارض الاسلام واحدة بصرف النظر عن تعدد الدول الاسلامية وتباعدها ، ساعد على هذا التواصل الرحالة المغاربة ، اذ اعتمد المؤرخون المغاربة في معظم تراجمهم ، على كتب الرحلات ، فقد نقلوا منها نصوص ترجمات كاملة توضح هذه الحقيقة ، واحياناً اخرى مختصرة[3].

ولنا ان نشير الى ان علاقة المغاربة بالحجاز لا تنقطع بعودتهم الى موطنهم ، فقد كان هناك تواصل مستمر بينهم ، فمن فاته اجازة او خبر ، كتب بشأنه لمن عرفه بالحجاز ليكون على اطلاع ، بل وصل حرصهم على تبادل الرسائل لأعلامهم ممن توفي من مشايخ الحرمين الشريفين ، وظل البعض ممن لم يسعفهم البقاء في الحجاز في تواصل علمي مع شيوخهم ، حيث بعد عودتهم الى المغرب ، تصلهم الاجازات التي حصلوا عليها . [4].

(1)الانصاري ، عبد الرحمن الانصاري ، تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تحقيق : محمد العروسي المطوي ، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1970م ، ص70.

(2)القادري ، محمد بن الطيب ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق : محمد حجي واحمد التوفيق ، الرباط ، نشر وتوزيع مكتبة الطالب ، ط1 ، 1402 هـ /1982 م، ص119.

(3)القادري ، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر في اخبار واعيان المائة الحادية والثانية عشر ، تحقيق : العلوي القاسمي ، بيروت ، منشورات دار الافاق الجديدة ، ط1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص120.

(4)العياشي ، ماء الموائد ، ص494 .

ومما ساعد على هذا التواصل المستمر ، مجيء ركب الحجاج المغربي سنوياً بدون انقطاع حتى أشد الظروف حرجاً ، فقد كان مجيء الركب المغربي الى الحجاز في نظر المغاربة لغاية سامية لا بد من ادائها سنوياً ، ألاَ وهي حج بيت الله الحرام ، مضافاً اليه الاعلان عن المغرب واظهارها بمظهر الدولة القوية [1] اذ كثيرا ما يرغب الركب المصري في المسير معه للتقوي والاستظهار به على قطاع الطرق ، وكان بعض الحجاج المصريين يفضلون السير مع الركب المغربي ، لما كان ينعم به في كنفه من الامن والطمأنينة[2].

وليس ادل على أهمية اداء فريضة الحج بالنسبة للمغاربة ، حرصهم على وجود جالية مغربية بالمشرق مهمتها الاساسية تسهيل اداء المغاربة لمناسكهم ، ومد يد العون لهم اذا ما احتاجوا اليه ، علاوة على دعم حكام المغرب المادي والمعنوي للركب المغربي والمتمثل في بذل الاموال ، وحفر الابار ، وايقاف الاوقاف على الابل المخصصة لهذا الركب ، وتزويد امراء الركب برسائل تسلم الى امراء الحجاز لتقديم المساعدة لهم[3].

وكان المغرب يستعد لمناسبة الحج ، وذلك باستنفار كافة خطباء المساجد للحث على الحج في خطبهم ، وعند خروج الركب المغربي يخرج الجميع لتشييعهم بمن فيهم السلطان احياناً [4].

ويبدو ان مظاهر الاستقبال والتشييع كانت تقابل الركب حتى في الحجاز ، فمثلاً عند نزول الركب المغربي في ينبع يخرج اشرافها لاستقبالهم وتهنئتهم بسلامة الوصول[5]. وكان ملوك المغرب يخرجون الاموال الطائلة التي تحمل سنوياً برسم توزيعها على اهل الحرمين

---

(1)المنوني ، محمد ، من حديث الركب المغربي ، تطوان ، مطبعة المخزن ، 1953م ، ص8،7.

(2)العياشي ، ماء الموائد ، ص135.

(3)الناصري ، الاستقصاء ، ج5 ، ص150 ، 151.

(4)المنوني ، من حديث الركب المغربي ، ص14 – 15.

(5)الوزير الاسحاقي ، رحلة الاسحاقي ، مجلة العرب ، ج12 ، 1405هـ/ 1985م ، ص744، 746.

الشريفيين واشرافه[1] ، اضافة الى الهدايا العينية الثمينة التي كانت تخصص للمسجد النبوي الشريف وكذلك ما كانت ترسله المغرب للحجاز من كتب علمية برسم الوقف على طلبة العلم ، علاوة على ما يحمله الركب المغربي من كتب علمية ترافق العلماء ، وقد يترك بعضها ويستبدل بها غيرها عند الحاجة[2].

وكان الرحالة المغاربة يشيرون الى كبار علمائهم بالحجاز عند عودتهم الى المغرب ، كما كانوا يذكرون علمائهم ومكانتهم عند مجيئهم للحجاز، فكان من يَقْدم منهم للحج يقابل بالحفاوة والاكرام والتقدير ، بل وينشدون القصائد الشعرية لمدحهم وبيان مقامهم [3]. ونتج عن ذلك معرفة علماء الحجاز للكثير من علماء المغرب فكان لذلك الاثر الكبير في التواصل الثقافي بين المغرب والحجاز.

ونجد انه عندما كان يصل مؤلف لاحد علماء الحجاز الى المغرب ، يبادر العلماء هناك لنقده وتقريضه وتقويمه ، واذا وجدت اغلاطاً نبهوا عليها، وخاصة فيما يتعارض مع العقيدة [4] فهم بذلك على اطلاع دائم بما ألف في الحجاز ، فكانوا بذلك مواكبين لإخوانهم الحجازيين في العلوم التي وصلوا اليها .

وربما يكون مما ساعد على ازدهار الحركة الثقافية بين الحجاز والمغرب العربي فيما يخص الجانب الاجتماعي هو ما تمتع به رجال العلم من مكانة مرموقة في مجتمعاته فعلماء مكة المكرمة مثلاً كان من اشهر لباسهم هو الطيلسان والعمامة[5]، والطيلسان هو الفرجية ذات الاكمام الواسعة لا يرتديها اّلا رجال العلم ، ومن البسة اهل مكة المكرمة ايضاً وهو ما

---

(1)الوزير الاسحاقي ، رحلة الاسحاقي ، ص 744-745.

(2)المنوني ، من حديث الركب المغربي ، ص27 .

(3)السملالي ، العباس بن ابراهيم ، الاعلام بن حل مراكش واغمات من الاعلام ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية ، ج2 ، ص 357، 359 .

(4)القادري ، التقاط الدرر ، ص256.

(5) الديوه جي ، سعيد ، التربية والتعليم في الاسلام ، ص84.

تميز به العلماء ورجال الدين وهو ما لا يجوز لبسه لغيرهم هو المدرج والذي هو عبارة عن عمامة ذات عذبة طويلة تنزل على الضهر ما بين الاكتاف بما يقارب الذراع او ازيد(1). لقد بين احد الباحثين انه كانت تشاهد ابناء الاسر العلمية في مكة كأسرة الطبري في يوم عيد الفطر يخرج منهم من الزقاق المعروف باسمهم زقاق الطبري اربعون طيلساناً (2).

ومن ذلك تتبين المكانة الاجتماعية العالية التي كان يتمتع بها رجال العلم في مكة المكرمة وكيف كان لهم مكانة مرموقة في مجتمعهم ، وينعكس هذا الامر على مقدار التبادل الثقافي بين الامم والشعوب المختلفة .

لقد كان المجتمع الحجازي خليطاً الاّ انّه متجانس تجمعهم عقيدة واحدة ورابطة واحدة ، وقد تألف المجتمع من طبقات عدة منها طبقة الاشراف وهم امراء مكة ، وكذلك طبقة القواد والعبيد وهي تمثل القوة العسكرية التي تساند الامراء في اثناء خلافاتهم ، وكذلك نجد السكان الاصليين في بطون قريش وغيرهم ، وايضاً طلاب العلم واغلبهم من المجاورين واصبحوا يشكلون الجزء الاساس من المجتمع المكي ومنها ظهرت الاسر العلمية ، وقد توافد هؤلاء من مختلف انصار العالم الاسلامي ، واختلفت مدة اقامتهم فكانت المدة تطول وتقصر حسب رغبة المجاور فمنهم من جاور عاماً وامتدت بالنسبة للبعض الاخر لسنوات عديدة (3).

---

(1) النزاوي ، احمد ابراهيم ، زقاق الطبري بمكة ، مجلة المنهل ، م26 ، ج1 ، 1965م ، ص767.
(2)النزاوي ، ص767.
(3)البدنة ، خلود عبد الباقي ابراهيم ، الاسر العلمية في مكة المكرمة واثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الاسلامي ، جامعة ام القرى ، 1425هـ/ 2004م ، ص32.

كان للشبه الكبير في طبيعة اهل المغرب وطبيعة اهل الحجاز من حيث البساطة سبباً لانتشار المذاهب لاسيما المذهب المالكي في المغرب والعالم الاسلامي ، فالبداوة الغالبة على اهل المغرب هي اميل لطبيعة اهل الحجاز ، ولهذا فان عقلية اهل المغرب غلبت عليها نزعت اهل الحديث والامام مالك بن انس يلتزم بالوقوف عند النصوص ولا يميل الى الجدل والقياس ، وكذلك ان رحلات علماء المغرب كانت غالباً للحجاز ، واقتصروا في الاخذ من علماء اهل المدينة فكانت مركز العلوم الدينية ووجود الامام مالك بن انس (ت 179هـ) واقبل اهل المغرب الى اعتناق مذهبه [1]

وان لفقهاء الحجاز دور بارز في اشاعة مبادى الدين الحنيف من اجل ان يسود التكافل الاجتماعي وتحقيق المساواة بين الناس ، وهذا التوجه يعد جوهر الرسالة الاسلامية التي تؤكد عن اشاعة روح التكافل ، منطلقة من قوله تعالى : { ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتمامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب}[2]، وفي ضوء ذلك اصبح المسلمون متمسكين ومسترشدين بقول الرسول (ﷺ) : " ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه "[3]

---

(1)ابن خلدون ، المقدمة ، ص568

(2)سورة الحشر ، اية 7 ينظر تفسيرها : ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، مج 8 ، ص65

(3)البيهقي ، السنن الكبرى ، ج10 ، ص3

ومن الوسائل التي لجأ اليها الفقهاء ومنهم فقهاء الحجاز ، في منهجهم الاصلاحي لبناء مجتمع فاضل وايضاً التركيز على العلاقات الاجتماعية بين الناس وذلك بتوجيههم الى الانفتاح على الناس وعدم الانغلاق على انفسهم [1] ، والحث على التقرب من ضعفاء الناس وفقرائهم ، ففي هذا الصدد ذكر ان الامام الحسين بن علي (عليه السلام) ، مر بمساكين يأكلون فدعوه الى الغداء فنزل وقال : ان الله لا يحب المتكبرين ، فتغدى ثم قال لهم : قد اجبتكم فاجيبوني ، قالوا : نعم ، فمضى به الى منزله ، وقال لزوجته الرباب : اخرجي ما كنتِ تدخرين فقسمه بينهم [2] ، وبهذا دعاهم الامام الحسين (عليه السلام) الى اجود ما لديه ، وهو المدخر من طعامه .

ومن النواحي الانسانية التي ارساها الاسلام واكد عليها الرسول (ﷺ) المعاملة الحسن مع العبيد والخدم والجواري ويمكن ان نرمز ذلك مما ورد في القران الكريم من قوله تعالى : { انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل } [3]

(1)الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ، (ت505هـ/ 1111م) ، احياء علوم الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1939م ، ج2 ، ص214

(2)ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ، ص413

(3)سورة التوبة ، اية 60

ودعا الرسول (ﷺ) الى مسامحة الخادم اذا ما اخطأ وعن عبد الله بن عمر قال : " جاء رجل الى النبي (ﷺ) فقال يا رسول الله كم اعفوا عن الخادم فقال : كل يوم سبعين مرة " [1] ، ودعى الرسول (ﷺ) ايضاً الى عتق العبيد وبين الاجر العظيم للذي يفعل ذلك ، فعن ابي هريرة قال : " قال رسول الله (ﷺ) ايما امرء مسلم اعتق امرءاً مسلماً استنقذه ، الله بكل عضو منه ، عظوا من النار " [2]

من خلال ذلك يتبين ان الاسلام قد وضع الحل المناسب للقضاء على الرق والعبودية ، وبأسلوب تدريجي من خلال تبين الاجر العظيم للذي يعتق رقبه في سبيل الله .

ونخلص مما سبق الى ان العلاقات المغربية وصلاتها مع الحجاز ، قامت على اساس المساواة في المكانة ، وليس كتابع ومتبوع ، فقد سار الجميع وفق مصدر واحد ، انّهم امة واحدة لها تاريخها المشترك وحضارتها ولغتها ودينها ، علاوة على ذلك جميع ارضها دار الاسلام بحيث لا يمكن الغاء احدها ، ولا يسعنا هنا الا القول ان الرحلات عبرت التاريخ والارض واضاءت جوانب لم تكن معرفة الّا من خلالها .

(1)البخاري ، صحيح البخاري ، ج3 ، ص226

(2)الترمذي ، محمد بن يحيى بن سور (ت 279هـ/ 892م) ، سنن الترمذي ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1981م ، مج3 ، ص49

المبحث الرابع : طلب العلم والسعي وراء المعرفة

كان المغاربة يتميزون في السفر والرحلة الاماكن المقدسة لأداء الحج وطلب العلم وكان ذلك من المتعارف عليه في بلاد المغرب الاسلامي ، حيث ذكرت كتب الرحلات المغربية مشاهداتهم اثناء الرحلة الى الاماكن المقدسة [(1)]وعن طريق الرحلات العلمية اصبح للعلماء المغاربة وطلاب العلم فرصه الالتقاء بنظائرهم في حواضر العالم الاسلامي ، فمن خلال ذلك اصبح التواصل مستمراً بين فاس وتلمسان ومراكش وغرناطة[(2)]. والشام ومصر والعراق ، والمجاورة [(3)]

(1) اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامش عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة الازهر ، ص154.

*غرناطة: هي مدينة كورة البيرة والبيرة اعظم كور الاندلس ، وهي مدينة رومانية قديمة ، ولما فتح المسلمون الاندلس ، كانت البيرة مدينة كبيرة عامرة وعلى جانبها محلة غرناطة الصغيرة ثم تطور الزمن وخربت البيرة ونمت غرناطة واصبحت منذ القرن الخامس قاعدة الولاية ثم غدت عاصمة لمملكة غرناطة ، وكانت غرناطة من نصيب بني زيري من البربر عندما استولى ملوك الطوائف على بلاد الاندلس . ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله السلماني (ت776هـ /1374م) ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ط1 ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975م ج1 ، ص91 .

(2) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص177 ؛ الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1348 م) ، الامصار ذوات الاثار ، تحقيق : قاسم علي سعد ، ط1 ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م ، ص185 .

(3) جاوره ، اي جاور المسجد اي اعتكف فيه ، ويقال جاور مكة والمدينة . الرازي ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ / 1267م) ، مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، لبنان ، 1986 م ، ص49.

في الحرمين الشريفين سواء للتدريس ام طلباً العلم والاجازة [1] او دراسة الفقه واصوله ، وسائر العلوم الاخرى[2].

وكانت رغبة المغاربة بالاخذ عن العلماء ومشاهير الشيوخ وزيارة الاماكن المقدسة في بلاد الحجاز ، من اجل الاطلاع والبحث[3] وكان طلب العلم من العوامل التي دفعت المغاربة للسفر ، وذلك عملاً بتعاليم الاسلام التي تدعو الى طلب العلم ، وهو من الاعمال التي يؤجر عليها المسلم ، وهناك الكثير من الاحاديث الواردة في فضل العلم والعلماء ، ونذكر منها على سبيل المثال كقول النبي (ﷺ) قال : " اذا مات ابن ادم انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له "[4].

---

(1)الاجازة : مصدر من اجاز يجيز وهو التعدي وكأنه عدى روايته حتى اوصلها للراوي عنه ، ويقال استجزت فلان فأجازني اذا سقاك ماء لا رضك او ماشيتك كذلك طلب العلم ان يجيزه علمه فيجيره اياه ، والإجازة هي احدى مراتب الرواية . الاشبيلي ، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الاموي الاشبيلي (ت575هـ/ 1179م) ، فهرست ابن خير الاشبيلي ، تحقيق : بشار عواد معروف واخرون ، ط1 ، تونس ، 2009م ، ص 146، 147.

(2)الزواوي ، رشيد ، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الاسلامي ، مجلة الحضارة الاسلامية ، العدد1 ، 1993م ، ص32، 33.

(3)الشاهدي ، ادب الرحلة في العصر المريني ، ص47 .

(4)النيسابوري ، ابو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ /874 م) ، المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته ، حديث رقم (1631) ، ج3 ، ص1255.

ان خروج المغاربة الى بلاد الحجاز ، وملاقاة العلماء للاستزادة من العلوم الفقهية ، او للاجازة والتدريس ، فلم تكن الرغبة الدينية المتمثلة في اداء الفريضة فحسب بل كان يراودهم تحقيق طلب العلم والسماع من العلماء[1].

لم تقف مانعاً الحدود السياسية والجغرافية امام طلبة العلوم المختلفة من المسلمين في اختيار مراكز العلم التي يرغبون الالتحاق بها ، فكانوا يسافرون الى اهم المراكز العلمية ، ويلتحقون بحلقات ابرز العلماء واقدرهم ، وبعد ذلك كانوا يذهبون الى مواطن سكناهم ، او انهم في احيان اخرى يفضلون في المدن التي شدوا الرحال اليها وذلك لميزتها ومكانتها المميزة في انتشار العلوم فيها ، ومن البديهي ان تكون مكة المكرمة والمدينة المنورة موقعاً مميزاً لتوجه العلماء لهذا توجه العلماء المغاربة اليها ، وقد سجل المغاربة نسبة عالية جداً من هؤلاء العلماء ولاسيما ضمن مدة الدراسة . لقد ظلت كفة العلاقات بين بلدان المغرب الاسلامي والحجاز في صالح الحجاز دائماً لأنها كانت ولا تزال قبلة المسلمين .

---

(1)ابن معمر ، رحلات الحج من المغرب الاوسط الى مكة المكرمة ، ص286.

الفصل الثاني

أثر العلاقات الثقافية لعلماء المغرب العربي والحجاز ونظامهم التعليمي .

- المبحث الاول: الاثر العلمي في الكتاتيب والمساجد والاسواق والطرقات والتكايا والاربطة
  - اولاً : الكتاتيب
  - ثانياً : المساجد
  - ثالثاً: الاسواق والطرقات
  - رابعاً : التكايا والاربطة
- المبحث الثاني: الاثر العلمي لعلماء المغرب العربي والحجاز في المدارس.
- المبحث الثالث : النظام التعليمي لعلماء المغرب العربي والحجاز .
  - اولاً : مراحل التعليم
  - ثانياً : آداب التعليم
  - ثالثاً : طرق واساليب التعليم

المبحث الاول: الاثر العلمي في الكتاتيب والمساجد والاربطة وغيرها .

اولاً: الكتاتيب[1]

وبعد صدر الاسلام بقليل انتشرت الكتاتيب في ارجاء الدولة الاسلامية ، واصبحت هذه الكتاتيب من اهم مراكز تعليم الصغار على مستوى العامة ، وعلى الرغم من الاختلاف الذي نجده في تعليم الاطفال في الكتاتيب بين المشرق والمغرب ألّا انّ السمة العامة لذلك التعليم تبدوا واحدة على الرغم من الاختلاف في الطريقة [2].

ان الغاية من اقامة هذه الكتاتيب هي تحفيظ وكتابة السور القصار من القران الكريم ، فضلاً عن معرفة الخط [3]، والفهم للمسائل ،وبعض متون الاحاديث ، وعقائد السنن ، واصول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات ، والاشعار وقد انتشرت هذه الكتاتيب في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، على الرغم من كراهية اتخاذ الكتاب في المسجد[4]

---

(1)الكتاتيب : مفردها كتاب ، والمكتب : المعلم ، وقال اللحياني : هو المكتب الذي يعلم الكتابة ، قال الحسن : كان الحجاج مكتباً بالطائف ، يعني معلماً، والمكتب : موضع الكتاب ، والمكتب والكتاب : موضع تعليم الكتاب . ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، ص699.

(2)ابن خلدون ، المقدمة ، ص537 ، 540.

(3) يشير ابن خلدون الى ان المكتب كان يتعلم فيه الصبيان الخط دون تجويد ، لان تلك وظيفة مفردة في غيره قائلاً : " واهل المشرق ... لا يخلطون بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد ، كما تتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان ، وا1ذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة ، ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما ينسخ له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من اهل صنعته . ابن خلدون ، المقدمة ، ص537.

(4) ابن مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد ، تهذيب الاخلاق ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1401هـ/ 1981م ، ص51 ، 55 ؛ الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر(ت589هـ) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، ط2 ، بيروت ، دار الثقافة ، 1401هـ/

وتعليمهم الخط ، لان النبي (ﷺ) امر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين [1].

لذلك نرى كثيراً من المعلمين بالحرمين الشريفين يتخذون من زوايا واطراف المسجد الحرام والمسجد النبوي مكاناً لمكاتبهم خوفاً من ذلك ، كما كانت هذه الكتاتيب ملحقاً بالمدارس وقد انتشرت الكتاتيب في الحرمين الشريفين على نطاق واسع .

1. المكاتب الخاصة :

كان يقيمها من وجدوا في انفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها ، ويتعلم فيها الصبيان بأجر معلوم يدفع لأصحابها ، ونلاحظ ان هذا النوع من المكاتب لا يتقيد بعدد معين من الطلاب ، وعرفت في المصادر بأنها مكاتب لتعليم وتأديب الاطفال في المسجد الحرام والمسجد النبوي منها : مكتب يوسف بن علي بن سليمان القروي (ت764هـ/1362م) ، الذي كان يقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام ، وكان يؤدب به الاطفال[2] ، كما قام زوج ابنته عبد المؤمن بن عبد الدائم بن علي السمنودي(ت 807هـ/1404م) بتأديب الاطفال في هذا المكتب[3] ومكتب محمد بن احمد بن علي ناصر الدين القدسي نزيل مكة (ت840هـ/1436م) ، ويعرف بالسخاوي ، الذي كان يعلم الاطفال بالمسجد الحرام

1981م ، ص103 ؛ ابن الاخوة ، ضياء الدين محمد ، معالم القربة في احكام الحسبة ، نشر روبن ليفي ، كمبردج ، 1938م ، ص170.

(1) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص103؛ ابن الاخوة ، معالم القربة في احكام الحسبة ، ص170.

(2)الفاسي ، تقي الدين محمد (ت 832هـ/ 1428م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق : فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، 1406هـ /1987م ، ج7 ، ص488 .

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص519 ـ520 ؛ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/ 1495م) ، الضوء الامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت ، ج8 ، ص89.

، كما كان له إلمام بالقراءات ، وهو الذي ادب نور الدين علي بن الشحنة ، وجود عليه القران واقرأه في العربية (1) .

ومن تلاميذ هذا المكتب : ابراهيم بن محمد بن مصلح ابن ابراهيم العراقي الاصل المكي المولد (ت874هـ/1469م) الذي قرأ القران بهذا المكتب ، ثم جوده بعد ذلك على الشيخ نجم الدين السكاكيني والشهاب الشوايطي(2) ومكتب الشيخ محمد بن عمر بن علي السحولي (ت807هـ/ 1404م) ، الذي كان من البارزين في علم الفقه ، وكان حسن الخط جيد الشعر(3)، والظاهر انه كان يعلم التلاميذ في المكتب القران الكريم والكتابة ، حيث تتلمذ على يده ابراهيم العراقي وقرأ عليه القران الكريم(4) ، ويذكر ابن حجر : ان محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن خلف بن عبد الكريم القرشي العمري المؤدب (ت716هـ/ 1316م) ، كان له مكتب بمكة انتفع عليه جمع كبير من التلاميذ(5).

والجدير بالذكر ان النجم ابن فهد ذكر : " ان محمد بن يوسف بن احمد بن صالح (ت777هـ/ 1375م) قد سمع الحديث من الرضى الطبري وهو صغير في المكتب مع جملة الاولاد الذين كانوا معه في المكتب " (6).

---

(1)ابن فهد ، النجم عمر بن محمد (ت885هـ/ 1480م) ، الدرر الكمين ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، ص5 ؛ السخاوي ، الضوء الامع ، ج7 ، ص23.

(2)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص96ـ 97 ؛ السخاوي ، الضوء الامع ، ج7 ، ص23.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص228 ؛ ابن العماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ / 1676م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، 1979م ، ج7 ، ص72

(4)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ،ص97.

(5)الدرر الكامنة ، ج3 ، ص493.

(6)الدرر الكمين ، ص 68.

وهناك كثير من المعلمين كانت لهم اماكن خاصة في المسجد الحرام ولكنها لم تكتسب الصفة الرسمية كمكاتب لتعليم الاطفال ، بل ان المعلم كان يجلس في مكان معين ويحضر إليه الاطفال ليقرأوا عليه ويعلمهم القران والخط ، ويبدوا ان عدد هؤلاء الاطفال كان اقل من عدد الاطفال في الكتاتيب الرسمية ، ومن هؤلاء موسى بن مسعود الموصلي (كان حياً سنة 751هـ /1350م) وهو مقرئ القران الكريم ومؤدب الاطفال بباب الندوة بالمسجد الحرام [(1)]، ومحمد بن علي بن ضرغام البكري ، ويعرف بابن سكر (ت801هـ/ 1398م) ، المؤدب ، نزيل مكة ، حيث انتصب للأقراء بالحرم المكي [(2)]، واحمد بن ابي الخير محمد بن حسين القسطلاني (ت803هـ/ 1400م) الذي كان يتولى تأديب الاطفال بالمسجد الحرام تحت مأذنة باب علي[(3)]، وعلي بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمن الذي كان يؤدب الاطفال تحت مأذنة باب السلام من المسجد الحرام [(4)]، ومحمد بن عبد الله الشمس الصعيدي الصعيدي نزيل الحرمين (ت891 هـ / 1486 م) ، مؤدب الاطفال بمكة باب حزورة

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج7 ، ص307ـ 308.

*ابن سكر ، هو المسند الكبير شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام البكري الحنفي المعروف بأبن سكر قال ابن العماد الحنبلي : سمع ما لا يحصى ممن لا يحصى وجمع شيئاً كثيراً بحيث كان لا يذكر له جزء حديثي الا ويخرج سنده من ثبته عالياً او نازلاً وذكر ان سبب كثرة مروياته وشيوخه انه كان اذا قدم الركب مكة طاف على الناس في رحالهم ومنازلهم يسال من له رواية او خط من علم فيأخذ عنه مهما استطاع ، وكتب بخطه مالا يحصى من كتب الحديث والفقه والاصول والنحوا توفي سنة 801 عن ثلاث وثمانين سنة ، وهو من شيوخ الحافظ ابن حجر . الاصفوني ، محمد بن محمد ابو الفضل تقي الدين بن فهد الهاشمي العلوي الاصفوني ثم المكي الشافعي (ت871هـ) ، لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1998م ، ج1 ، ص174.

(2)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج9 ، ص19ـ 20.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص136.

(4)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص156.

، وكان يقرئ الابناء طبقة بعد اخرى ، وجود الخط [1] ، ومحمد الحبشي (ت898هـ / 1492م) ، الذي جلس بمكة لأقراء الابناء على المصطبة المجاورة لباب الزيادة ، وممن قرأ عنده العز السخاوي[2].

ومن المؤدبين بالمسجد الحرام الذين فمنهم محمد بن ثابت الانصاري المراكشي ، ويوسف بن محمد الطنجي (ت775 هـ / 1373 م) ، ومؤمن بن محمد الكازروني والحسن بن عبد الاحد بن عبد الرحمن الحراني (ت826 هـ / 1422م) [3]. هذا بالنسبة للكتاتيب الموجودة بالمسجد الحرام ، اما المسجد النبوي الشريف ، فقد كان به مكتب الشيخ محمد السبتي (ت720هـ/ 1320م) ، الذي بلغ عدد الطلاب به فوق مئة متعلم[4]. حيث كان يقوم بتعليم ابناء العامة من الناس ، ويذكر السخاوي ان محمد بن صالح مؤرخ المدينة (ت785هـ/ 1383م) ، وهو احد ابناء العاملين بالتبييض في المسجد النبوي قد سمع على صاحب هذا المكتب ثلاثة ارباع القران [5] ، وهناك ايضاً يوجد مكتب محمد بن غصن ابي عبد الله الانصاري القصري (ت728هـ/ 1323م) ، الذي قدم من تونس وقام بتعليم الاطفال القرآن الكريم

---

(1)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج8 ، ص118.

* محمد الحبشي : محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي العلوي ، فاضل من شيوخ حضرموت وادابها ، ولد في مدينة الحوطة ورحل الى الحجاز حاجاً ، والى الهند وسنقفورة وجاوة تاجراً ومرشداً ، وانشأ عدة مدارس وجمع مكتبة كبيرة ، وتوفي في سورابايا (بجاوة) ، له نظم كثير ، منه المعرب والحميني (الشيبة بالزجل) جمعه في ديوان ومجموعة مكاتبات واجازات . الزركلي ، الاعلام ، ج6 ، ص322

(2)المصدر نفسه ، ج10 ، ص120.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج4 ، ص85.

(4)ابن فرحون ،عبد الله بن محمد (ت769هـ/ 1367م) ، نصيحة المشاور وتسلية المجاور ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ص144.

(5) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عني بطبعه ونشره اسعد طرابزوني الحسيني ، 1399هـ / 1979م ، ج3 ، ص583.

بالمسجد النبوي وممن تعلم عنده القران ايضاً محمد بن صالح مؤرخ المدينة الذي لازم الشيخ القصري حتى ظن الناس انه ولده ، وكان يقرأ له مواعيده ، ومن تلاميذ هذا المكتب عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن فرحون (ت769هـ/ 1367م) الذي قرأ القران كذلك عند هذا الكتاب المقرئ ، وفي المسجد النبوي ذكر السخاوي بعض المؤدبين والمعلمين منهم عبد الحميد بن علي الموغاني (ت727 هـ / 1326م) [(1)] ، وكذلك عمر بن سالم بن بدر السراج المغربي نزيل المسجد النبوي والمؤدب بها وصالح بن سعود بن محمد التميمي العثمي ، الذي وصف بالفقيه ، وعبد الهادي بن محمد الازهري (ت 852هـ / 1448) ، ورضوان المغربي الذي كان يعلم الابناء القرآن الكريم[(2)].

كما اختص كثير من هؤلاء المؤدبين بأبناء العلماء والاعيان ، وبلا شك فأنهم كانوا يتقاضون عطاءً جيداً مقابل عملهم هذا ، حيث ، حيث لم تذكر لنا المصادر الاجر الذي كانوا يتقاضونه ومن هؤلاء يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الاندلسي المالكي (ت794هـ/1391م) ، الذي كان يؤم بمقام المالكية ويؤدب اولاده مع جماعة من اولاد اعيان الحرم[(3)] ، وراجح بن حسين بن محمد الحجازي ، مؤدب يحيى بن ابي البركات بن ظهيرة ، ومحمد بن حسن ين احمد الكردي المقدسي ، نزيل مكة الشهير بابن الكردية (ت843هـ/1439م) ، الذي جاور بالحرمين[(4)].

---

(1)التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص457ـ 458

(2)المصدر نفسه ، ج3 ، ص33، 97

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج7 ، ص489ـ 490.

(4)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص23.

ويبدو ان الحجاز قد انفرد عن غيره من بلدان العالم الاسلامي ، فالمعروف عن المؤدب هو الذي يقوم بتأديب اطفال الخلفاء والامراء والوزراء والعلماء والاعيان في منازلهم وبقوم بمتابعتهم وتعينهم[1].

ولكن الوضع يختلف هنا إذ إنَّ شرف التعليم في الحرميين الشريفين جعل اكثر هؤلاء المؤدبين يقومون بتعليم الاطفال بهما ، خاصة وان هؤلاء المؤدبين كانوا في مجملهم من العلماء المشاهير المجاورين بالحرمين الشريفين ، وعليه نلاحظ ان اغلب مصادر البحث سمتهم بالمؤدبين لا المعلمين ، وفي الحالتين كلتيهما نجد ان هؤلاء المؤدبين سواء للعامة او الخاصة كانوا يتقاضون اجراً مقابل ذلك [2].

2. مكتب الايتام

وهي التي يؤسسها المحسنون من السلاطين ، والامراء والاعيان ، والعلماء والاغنياء يتحمل المنشأ كافة نفقات تعليم التلاميذ من الايتام منذ دخولهم المكتب الى ان يتخرجوا بحفظ القران الكريم ، وكان دافع المنشئين الى ذلك هو التقرب الى الله تعالى قبل اي اعتبار آخر وكانت مكاتب الايتام اكثر دقة في اختيار افضل المؤدبين العاملين بها ، وتنفيذ النظام والانضباط [3].

واشترط في معلم الكتاب " ان يكون من اهل الصلاح والعفة والامانة ، حافظاً لكتاب الله العزيز ، حسن الخط ، يدري الحساب ، مشتهر بالدين والخير "[4].

---

(1)البيهقي ، ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوي ، تحقيق : محمد سويد ، ط1 ، بيروت ، دار احياء العلوم ، 1408هـ/ 1988م ، ص638، 642.

(2)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص23.

(3)ابن حجر ، تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال ، تحقيق : سليمان اسحاق عطية ، القاهرة ، 1978م ، ص70،60.

(4)ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص170.

كما اشترطت احدى وثائق الوقف المملوكية على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين الاطفال ، اذ عليه ان " يعلمهم ما يطيقون تعليمه ، ويحتملون قراءته من كتاب الله العظيم ، وما يحتملون تعلمه من الخط العربي" (1).

ومن هذه المكاتب مكتب السلطان الاشرف شعبان الذي كان ملحقاً بدرسه في المسجد الحرام ففي حجة الوقف الخاصة بالسلطان اوصى الناظر على المسجد الحرام بأن يرتب في الحرم المكي الشريف مؤدباً من اهل الخير والديانة حافظاً لكتاب الله تعالى العظيم ، وعشرة من ايتام المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ، يجلس هو والايتام المذكورون في الايام التي جرت العادة بالحضور فيها للتعليم بالحرم ، وان يعلمهم ما يطيقون تعليمه ويحتلمون قراءته من كتاب الله ، وما يحتملون تعلمه من الخط العربي وهجائه واستخراجه ، ويصحح لهم ، واشترط على انه من بلغ من الايتام يستبدل به غيره ،إلاّ إذا كان قد بقي عليه اليسير من القران الكريم فيبقى بالمكتب حتى يستكمل حفظ كتاب الله ، فاذا استكمل ذلك استبدل ، وامر السلطان الاشرف بصرف اربعة الاف وثلاثمائة وعشرين درهماً ، للمؤدب في كل سنة (720) درهماً ، والباقي وهو ثلاثة الاف وستمائة درهم لكل يتيم منهم في كل سنة (360) درهماً ، غير نفقته وكسوته ولوازمه الشرعية (2).

وهكذا نرى من خلال هذه الحجة انَّ مدة الدراسة في المكتب كانت مرهونة بمدى استعداد الصبي وميوله وقابليته للتعليم، أو وصوله الى سن المراهقة وحد البلوغ مع

(1) هي حجة وقف مآثر السلطان الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون بالحرمين الشريفين ، وما ابطله من مكوس المؤرخة في الثالث من جماد الاخرة سنة 777هـ /1375م . الفعر، محمد ، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر الهجري ، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 1406هـ/1407هـ ، ص518، 533.

(2) الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز،ج1، ص518 .

مراعاة الاخذ بالتدرج والتلطف في تعليم الاطفال ، مع الاخذ بعين الاهتمام قدراتهم الخاصة ومدى استعدادهم لما يتقبلونه من العلوم والمعارف .

كما نصت هذه الحجة على تهيئة ما يحتاجه الايتام اثناء دراستهم في المكتب من الواح ومحابر واقلام ومواد ، فضلاً عن الكساء والفرش، والنفقة السنوية[1]. وكان في المسجد الحرام مكتب بشير الجمدار الذي كان ملحقاً بدرسه الذي درس فيه مشاهير العلماء بالحرمين الشريفين ، وكان يؤدب الاطفال بهذا المكتب محمد بن محمد بن عبد المؤمن الدكالي المكي (ت 823 هـ / 1420 م) ، وكان يشتهر بالغلظة والشدة في المعاملة[2].

بالإضافة الى الكتاتيب الملحقة في المدارس ، مثل الكتاتيب التي انشأها السلطان قايتباي بمدرستيه في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واوقف على مأثره بالحرمين الشريفين اوقافاً ضخمة ، من ضمنها اوقافه على تلك الكتاتيب[3] .

ولم تذكر المصادر المؤدبين بتلك الكتاتيب ، إلّا ما ذكره السخاوي عن موسى بن عبد الله بن اسماعيل الازهري الشافعي نزيل مكة ، بأنه فقيه الايتام بمكتب السلطان بها[4].

وتتبين من خلال ذلك ان الايتام كانوا يتمتعون بعطف ومتابعة المسؤولين عن الحرمين الشريفين، ولكن يؤخذ على الواقف اشتراطه مؤدباً معيناً من قبله ، مما يجعل المسؤول مجبراً على رده مرة اخرى الى عمله.

---

(1)الفعر ، الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص520، 532.
(2) الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص314.
(3) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3 ، ص410.
(4) الضوء اللامع ، ج3 ، ص183، 184.



واشار الرحالة ابن بطوطة عن مقرئ كان حسن الصوت ويسكن برباط السدرة ، ويدعى برهان الدين ابراهيم المصري (ت 815 هـ / 1412 م) كان يقوم بتعليم الايتام كتاب الله ، كما كان يقدم لهم المؤونة والمساعدة [1].

وهكذا نرى ان الكتاتيب أدت دوراً كبيراً ومهماً في تثقيف ابناء الحجاز ومجاوريه، كما ان التشجيع الذي لاقاه الطلاب من ابائهم واقامتهم الاحتفالات والاعياد بمناسبة ختمهم للقران الكريم ، جعل اهل الحجاز يحرصون على التحاق ابنائهم بهذه الكتاتيب .

وعلى الرغم من ان بعض العلماء حذروا من اتخاذ المسجد مكاناً للكتاب ، خوفاً من لعب الاطفال ، فأن المسجد الحرام والمسجد النبوي كان يضم كثيراً من هذه الكتاتيب .

ولاشك ان بعض العلماء في ذلك الوقت كانوا يحرصون على لقاءاتهم بالعلماء في الحرمين الشريفين ، فيصطحبون معهم ابناءهم ، حيث يتركونهم لدى المؤدبين اثناء لقائهم بالعلماء الاخرين والسماع عليهم .

اتضح ان معظم المؤدبين في الحرمين الشريفين كانوا من حفظة القران الكريم ، وكان لهم المام كبير بعلم القراءات ، واشتهر بعضهم الى جانب ذلك بجودة الخط وحسنه.

كما تصدى بعض العلماء لإقراء المبتدئين ، وهم الذين تجاوزوا مرحلة الكتاب ، وتعدوا مرحلة البلوغ ، مثل احمد بن محمد بن ابي بكر الزبيدي الذي تصدى لإقراء المبتدئين وانتفعوا به في القراءات والعربية ، وعلي بن نور الله بن عبد الله الزين المدعو ملا علي البخاري نزيل مكة الذي اقرأ المبتدئين في النحو الصرف وغيرهما

(1)الرحلة ، ص153.



وكذلك محمد بن محمد بن محمد الرضي الطبري الذي درس كثيراً من المبتدئين بالحرم المكي الشريف(1).

ثانياً : المساجد

يعد النشاط التعليمي من اهم وظائف المسجد بعد الشعائر التعبدية ، وكان من اعظم مهماته بوصفه مكاناً يعلم الرسول (ﷺ) فيها اصحابه ، حيث كان يقيم حلقات العلم ، ويشجع من يقيمها ويجلس اليهم فيها ، ورغب في تعهدها والحضور اليها وحذر من التقصير فيها ، ذلك لما لهذه الحلقات من مكانة ، ولما لها من اهمية وضرورة للامة والمجتمع (2).

واوردت كتب السيرة الكثير من الاحاديث تؤكد ذلك منها ما رواه البخاري ومسلم بسندهما ، عن ابي واقد الليثي (ﷺ) قال : " بينما رسول الله (ﷺ) جالس في المسجد والناس معه ، اذ اقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان الى رسول الله (ﷺ) وذهب واحد فوقفا على رسول الله (ﷺ) ، فأما احدهما : فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، واما الاخر فجلس خلفهم ، واما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) ، قال : الا اخبركم عن النفر الثلاثة : اما احدهم فأوى الى الله (ﷻ) فأواه الله ، واما الاخر فأستحى ، فاستحيا الله منه ، واما الاخر ، فأعرض فاعرض الله عنه " (3).

---

(1)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج2 ، ص108.

(2)الوشلي ، عبد الله قاسم ، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ط1 ، بيروت ،مؤسسة الكتب الثقافية ، 1410هـ / 1990م ، ص48.

(3)ابن الاثير ، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد (ت606هـ/ 1210م) ، جامع الاصول في احاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، مط : الملاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ج1 ، ص11.

هكذا كان الرسول (ﷺ) يجلس في المسجد ، فيعلم الجاهل ، و يفتي السائل ، ويبين الاحكام ، وسار على نهجه الصحابة والتابعين في اقامة حلقات العلم ، حيث كانوا يتنافسون على الحضور اليها ويوصي بعضهم بعضاً بها [1].

ويعد المسجد الحرام من اكبر دور العلم التي يتلقى فيها العديد من الناس على اختلاف الوانهم ومشاربهم مختلف العلوم خاصة العلوم الشرعية ، ذلك ان المسجد الحرام لا يخلوا من الرواد على مدار العام ، حيث الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التي يحج اليها الاف مؤلفة من المسلمين كل عام ليؤدوا فريضتهم التي كتبت عليهم[2].

والذين بلا شك كان بينهم كثير من العلماء يؤدون رسالتهم العلمية في المسجد الحرام ويستفيد منهم طلبة العلم ، وقد استمرت حلقات العلم في المسجد الحرام تعقد منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ، حيث يحفل المسجد بالعديد من الحلقات التي تتميز في غالبيتها في الاجابة عن الاسئلة التي يطرحها العديد من الناس ، والخاصة بالفتيا ، حيث يجلس العديد من رجال العلم في المسجد للإجابة عن تلك التساؤلات الخاصة بالأمور الدينية والاجتماعية ، وتزداد هذه الحلقات في موسم الحج ، وفي رمضان المبارك ، حيث الزوار في هذه المواسم[3].

وفي العصر المملوكي (638هـ) كان المسجد الحرام والمسجد النبوي جامعتين كبيرتين لنشر العلوم الاسلامية[4]. وتفيض كتب التراجم بأسماء العلماء والمجاورين الذين درسوا بها ويكفي مثلا نظرة سريعة في كتاب " العقد الثمين في تاريخ البلد

---

(1)الوشلي ، المسجد ونشاطه الاجتماعي ، ص49.

(2)اللميم ، عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد في الاسلام ، ط1 ، 1407هـ/ 1987م ، ص162 ـ 163.

(3)اللميم ، رسالة المسجد في الاسلام ، ص166.

(4) ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات ، الجزيرة العربية ، العراق ، ايران ـ مصر ، دار المعارف ، ج5 ، ص53.

الامين " وكتاب " الضوء الامع " لتعطينا فكرة واسعة عن مئات المختصين في سائر العلوم ، والذين كان لأغلبهم حلقات علمية معروفة ، وقد اشار ابن جبير الى هذه الحلقات وما يدور فيها من علوم مختلفة [1].

هذا ونلاحظ ان كثيراً من العلماء كان يرى ان التدريس في المسجد الحرام او المسجد النبوي افضل واجزل نفعاً من اي مكان اخر ، واعظم اجراً ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فأن التدريس في المساجد لا يحتاج الى تكليف ولا تعيين لمن يقوم او يرغب في التدريس فيها وانما هو عمل اختياري يقوم به من يريد الثواب الأخروي والنفع تطوعاً من ذات نفسه ومن دون اجر إلَّا بعض الحالات النادرة بينما التدريس في الاماكن الاخرى لا بد له من تكليف ، كما ان الطلبة لا يزيدون عن العدد الذي حدده من بنى المدرسة او وقفها ، بينما الطالب الذي يدرس في المساجد لا توجد عليه قيود او شروط تحدد علاقته به كما هو الحال في المدرسة ، فالمساجد مفتوحة امام كل طالب علم يقرأ ويدرس ما يريد ، وما عليه إلّا أنْ ينضم الى احدى الحلقات العلمية المنتشرة في المساجد حسب رغبته وميله.

وعليه فأن حلقات العلم في المساجد كانت تيسر للتلاميذ حرية الحضور حسب اعمالهم ومصالحهم ، وليس هناك تحديد لأعداد التلاميذ ولم يكن هناك تلك المنهجية المعقدة ، ولذلك فإن من ينضم الى تلك الحلقات العلمية فإن توجهه بلا شك علمي الى حد كبير، أما اماكن التدريس في المسجد الحرام ، فقد كانت تتم في أروقته والمقامات الاربعة ، كذلك اتخذ بعض العلماء اماكن خاصة لإلقاء دروسهم

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص316.

عند باب ابراهيم[1] وباب العمرة [2] وباب الندوة ، وغيرها من الاماكن في المسجد الحرام[3].

وفي المسجد النبوي كانت حلقات العلم تقام في اروقته وبالقرب من قبر الرسول (ﷺ) وفي الروضة الشريفة . كان العلماء هم الذين يعينون وقت التدريس حسب جداولهم الدراسية في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، لان بعضهم كان يقوم بألقاء الدروس في المدارس او يكون مرتبطاً بعدد من الدروس المقررة المخصصة في الحرم المكي او الحرم المدني[4]. وكانت الاعياد كعيد الاضحى وعيد الفطر هي الاوقات التي يترك العلماء فيها التدريس[5]، وكانت الاجازة الاسبوعية كانت يومي الثلاثاء والجمعة [6].

والدراسة في الحرم المكي والحرم النبوي الشريف لم يكن لها منهج محدد ومعروف، بل كان لكل شيخ طريقته ومنهجه وهو الذي يقرر ما يراه مناسباً لتعليم طلابه ، على ان اهم العلوم التي درست في هذه الحلقات هي : علم القراءات ،

---

(1) باب ابراهيم : احد ابواب المسجد الحرام ، ويقع بالجانب الشمالي منه ، وينسب الى خياط يدعى ابراهيم كان دكانه بجوار الباب ، وليس لإبراهيم الخليل (عليه السلام) ، كما ذهب الى ذلك ابن عساكر وابن جبير وغيرهما . ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله (986هـ/ 1578م) ، الجامع اللطيف ، ط5 ، بيروت ، المكتبة الشعبية ، 1399هـ/ 1979م، ص135ـ 146.

(2)باب العمرة : سمي بذلك لان المعتمرين يخرجون منه الى التنعيم ويدخلون منه ايضاً الى المسجد الحرام في اغلب الاوقات ، وسماه الازرقي باب بني سهم . الازرقي ، محمد بن عبد الله (ت223هـ/ 837م) ، اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، مدريد،ج2، ص91.

(3) السخاوي ، الضوء الامع ، ج8 ، ص109.

(4) الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص118.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص120.

(6)امحزون ، محمد ، المدينة المنورة في رحلة العياشي ، ط1 ، الدار البيضاء ، مط : النجاح الجديدة ، 1408هـ/ 1988م ، ص204.

والتفسير ، والحديث ، والفقه، وعلوم اللغة العربية ، اما علم التصوف والعلوم العقلية فقد كان نصيبها اقل في هذه الحلقات [1]. وكان بعض علماء الحرمين الشريفين ومجاوريه يجهدون انفسهم في القراءة والمطالعة قبل القائهم الدروس حتى يكونوا أهلاً للأسئلة التي تسأل من قبل الطلاب[2] وكان البعض من هؤلاء الطلاب يقومون بالتدريس بوجود شيوخهم ، حتى يعرف الشيخ طريقة تدريس تلميذهم ويقوم بتوجيههم بعد انتهاء الدرس[3].

ويذكر لنا النجم عمر بن فهد طريقة تدرس الشيخ محمد بن ابي بكر المراغي "حيث كان يحدث بالكتب الستة وغيرها، وكان لا يوجد في زمانهم من يحدث على طريقته ، فقد كان عنده تحرٍ شديد في الرواية بحيث لا يدع القارئ يتجاوز لفظاً ولا حرفاً إلّا بينه وأعربه، ويصلي على النبي (ﷺ) كل ما ذكر ويترضى على الصحابة كلما ذكرهم ، ويقرأ في اول كل مجلس ، يقرأ عليه فيه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص ثلاث مرات[4]، واذا ختم عليه كتاب قرأ في يوم ختمه قبل الختم سورة يس وسورة تبارك وسورة الاخلاص ثلاث مرات وسورة الفلق وسورة الفاتحة وفاتحة البقرة وخاتمتها وآية الكرسي[5].

---

(1)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج1 ، ص233.

(2)المصدر نفسه ، ج1 ، ص235.

(3)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص175- 176؛ السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص162- 163.

*محمد بن ابي بكر المراغي ، محمد بن ابي بكر بن الحسين ، ابو الفتح ، شرف الدين القرشي المراغي(775- 859هـ/ 1374- 1455م) ، من سلالة عثمان بن عفان فقيه عارف بالحديث ، اصله من القاهرة ، ومولده في المدينة ، ووفاته بمكة له تصانيف منها (الشروع الروي في شرح منهاج النووي) اربع مجلدات ، (و تلخيص ابي الفتح لمقاصد الفتح) اختصر به فتح الباري لابن حجر ، في نحو اربع مجلدات . الزركلي ، الاعلام ، ج6 ، ص58 .

(4)الدرر الكمين ، ص17

(5)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ص220- 221.

وكان على مجلس استماعه الهيبة والانس والوعي والسكينة ، وكان قليل الكلام ، متبعاً للسنة في جميع احواله واقواله ، شديد التوقي في الطهارة كثير التلاوة لكتاب الله تعالى ، ذا صيانة وصدق وعفاف ، طارحاً للتكلف مقتصداً في مسكنه ومطعمه وملبسه ، يلبس الثياب القصيرة الاكمام والذيل ويحضر بها المجامع مع الانجماع عن الناس وملازمة ما يعينه من الاشتغال[1].

وكان لنزيل مكة عبد الله بن احمد بن محمد الحضرمي المعروف بأبي كثير نشاط في دفع عجلة التعليم فقد مكث في مكة ثلاثاً وخمسين سنة ، ومن عادته ان يجلس كل يوم بالحرم الشريف يقرئ الناس في علوم عدة الى قبيل الظهر ، ومن بعد صلاة الظهر في الحديث الى العصر ، ومن بعد صلاة العصر يقرئ اخرين في التصوف ، ومن بعد صلاة المغرب الى العشاء يطوف وممن اخذ عنه الحديث البرهان العمادي الحلبي ، حيث قرأ عليه احاديث من الكتب الستة سنة 915هـ/ 1509م[2].

ويذكر السخاوي " ان احمد بن محمد الكازروني كان احد المدرسين للفقه الشافعي بالمسجد النبوي وكان لا يشتغل بأحد بين العشاءين ولا بعد صلاة الفجر الى ارتفاع الشمس ، وكان يجلس للأقراء من بزوغ الشمس الى قبيل الظهر فيرجع الى منزله ويطالع الكتب ثم يعود ، ويقرأ بعد الظهر الى العصر ، ومن بعد العصر ساعة واحدة ويبقى بالمسجد ويكون اخر الناس خروجاً بعد العشاء " [3].

---

(1)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص17.

*الحضرمي ، اسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله ابن اسماعيل الحضرمي ، قطب الدين (676هـ/ 1278م) ، فاضل زاهد ، من فقهاء الشافعية ، اصله من حضرموت ، مولده ووفاته في قرية الضحي ، ولي قضاء الاقضية في زبيد ، وصنف كتباً منها عمدة القوي والضعيف الكاشف لما وقع في وسيط الواحدي من التبديل والتحريف)، وشرح المهذب في فقه الشافعية ، ومختصر مسلم ، والفتاوي . الزركلي ، الاعلام ، ج1 ، 324 .

(2)السخاوي ، الضوء الامع ، ج5 ، ص61.

(3)التحفة اللطيفة ، ج1 ، ص233.

اما المواعيد او الميعاد كما وردت في بعض التراجم ، فهي الاوقات التي حددها المدرسون لتلاميذهم او طلاب العلم عامة لألقاء المحاضرات اليومية والاسبوعية عليهم ، وكان بعض هؤلاء المدرسين يتقاضون مقابل هذا الميعاد رواتب سنوية ، والامثلة على ذلك كثيرة ، فمن هؤلاء علي بن محمد بن ابي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون (746هـ/1345م) الذي كان له ميعاد وعظ بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع ، وكان يجلس على كرسي عالٍ بالروضة الشريفة ، حيث تميز بصوت حسن واداء لا يمل السامع من قراءته ، بل كان السامع يتمنى ان يطيل في محاضرته من كتاب التبصرة لابن الجوزي(1) ومحمد بن احمد بن قاسم بن عبد الرحمن العمري الشافعي (ت749هـ/ 1348م) ، الذي درس وافتى ووعظ ، وكان يعمل في اخر النهار عند الاسطوانة الحمراء ، فلما وقع الطاعون في ذي القعدة سنة 749هـ/1348م ، كان يعلم الناس دعاء ليسلموا به منه ، فكان ممن قضى الله له

فيه ،واحمد بن محمد بن عبدالله التونسي المالكي المعروف بالمرجاني (ت 760هـ/1358م) الذي كان يعمل في المسجد الحرام ، حيث عرف عنه عنايته بالحديث (2).

---

*ابن فرحون ، علي بن محمد بن ابي القاسم ابن فرحون اليعمري المدني ، نور الدين (746هـ/ 1345م) ، اديب تونسي الاصل مولده ووفاته في المدينة ، دخل دمشق والقاهرة غير مرة ، وصنف كتباً منها الزهراء في المواعظ والحكايات والاحاديث والذخائر ، وتواريخ الاخبار والتعريف بنسيب النبي المختار ، ونزهة النظر وتحفة الفكر . الزركلي ، الاعلام ، ج5 ، ص6

(1)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3، ص254.

*المرجاني ، عبد الله بن محمد بن عبد الملك ، ابو محمد المرجاني (633- 699هـ/ 1235-1300م) ، صوفي اصله من تونس ولد بالاسكندرية ومات بتونس له علم بالتفسير املى فيه دروسا جمعها ابن السكري من كلامه وسماها الفتوحات الربانية في المواعيد المرجانية ، وبهجة الشموس والاسرار في تاريخ هجرة المختار ، الزركلي ، الاعلام ، ج4 ، ص125 .

(2)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص366.

ويمكن تقسيم الدروس على قسمين الدروس العامة ، وهي ما تعرف بحلقات العلم المتنوعة حيث تلقى على الطلبة وعامة الناس وهذه الدروس لا يتقاضى فيها العالم راتباً معيناُ ، كما انه لا يأخذ من الطلبة صدقة او زكاة لان تعليمه او تدريسه لطلاب العلم كان في سبيل الله تعالى ، اما الدروس المخصصة التي قررها وامر بها السلاطين والامراء والتجار وغيرهم ، اذ كانوا يدفعون لمن يقوم بتدريسها اجراً معلوماً ، وقد بلغ هذا الاجر في بعض الحالات مبلغاً كبيراً ، اذ بلغ 200 مثقال ذهب في السنة ، كما ان هذه الدروس تعد حلقات مؤقتة تستمر على قدر استمرار اهتمام منشئيها بها ، بخلاف الحلقات العامة التي تستمر باستمرار وجود المدرسين ورغبتهم في مواصلة التدريس ، وتنتهي عادة بوفاتهم[1].

ثالثاً : الاسواق والطرقات

وهناك مجالس تعقد خارج المدينة ، فلا يجد الناس مسجداً ، فيأخذون العلم عن محدث يلتقون به مثلاً ، او يتذاكرون بينهم الحديث او آيات الكتاب العزيز لان المذاكرة ضرورية لكي يبقى الطالب دوماً وثيق الارتباط بهذا العلم حتى لا ينساه ، ولعل هذا ما جعل للمسلمين ميزة كبيرة على باقي الامم والشعوب لما كان يعطي للعلم حقه ، وقد يكثر الحضور حتى لا يسعهم المسجد فيضطر المحدث الى الحديث في الضواحي والطرقات ، كما في رواية القاضي ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري قال : حدثني ابي قال : " كنا نحضر مجلس ابي اسحاق ابراهيم بن علي الهجيمي للحديث ، فكان يجلس على سطح له ، ويمتلئ شارع بالناس الذين يحضرون للسماع ويبلغ المستلمون عن الهجيمي قال : وكنت اقوم في السحر ، فأجد الناس فيه ـ فوجد ثلاثين الف رجل " [2]. والاسواق ايضاً من جانب اخر ، هي

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج4 ، ص188.

(2)السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1172م)، ادب الاملاء والاستملاء ، تحقيق : محمد عوامة ، بيروت، 1976م ، ص18.

ملتقى للخاصة والعامة وبما ان العلماء حريصون على نشر السنة ، والناس متلهفون على تلقي العلم والتعرف على السلوك القويم والتبرك بالجلوس الى العلماء ؛ فأنهم كانوا يستغلون هذه الاماكن للأداء والسماع[1].

رابعاً : التكايا والاربطة

التكية : مكان تقيم فيه السادة الصوفية ، حيث يأكلون مجاناً ، ويقضون اوقاتهم في العبادة ، وفي الذكر ، وفي كثير من الاحيان تجدد معنى التكية ، بحيث اصبحت في المعنى الاكثر شيوعاً منشأ لتقديم الوجبات الشعبية المجانية للفقراء والمجاورين للمسجد الحرام ، اولئك الذين يقومون علة خدمة المساجد والحرم الشريف ، تنبغي الاشارة إلى انّه مع اضمحلال المدارس في العهد العثماني ، انتعشت الزوايا والتكايا ، وازداد عدد السادة الصوفية[2].

وتعد التكايا نمط من البناء له عناصر تلحق عادة بها وتحتل غرفاً او قاعات مستقلة ، ومنها الضريح ، او اضرحة بعض الاولياء والامراء ، او المدرسة ، او المكتبة ، وغير ذلك من ابنية ذات نفع عام [3].

وبذلك تكون التكية تطويراً لشكل المدرسة معمارياً ووظيفياً ، وربما هي مزيج من المدرسة والخان قاه وشبيهة بالزاوية المغربية ، وهناك من يؤكد ان التكية ظهرت في العصر العثماني ، وكانت الغاية منها ايواء ابناء السبيل والفقراء والمساكين

---

(1)اقلانيه ، المكي ، النظم التعليمية عند المحدثين ، ط1 ، قطر ، 1992م ، ص43.

(2)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ط1 ، المغرب ، دار المنصور ، الرباط ، 1392هـ / 1972م ، ص34

(3)عنان ، محمد عبد الله ، نهاية الاندلس ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1958م ، ص106 .

واطعامهم من ميزانية وقفت لذلك ، اذاً فهي ظهرت في العهد العثماني الى جانب المدرسة كمجمع معماري له هندسة وتخطيط جديد [1].

التكية اكثر شمولاً وضخامة من المدرسة ، وتضم المسجد الذي يشغل جناحاً خاصاً في جهة القبلة ، وغرفاً للسكن والمطاعم والمطابخ ومخازن التموين والقاعات والحدائق ، كما الحق ببعض التكايا مكتب لتعليم الاولاد [2].

اما الاربطة ، فالرباط في الاصل بيت المجاهدين ، ولكن الصوفية استعملوا الكلمة فيما بعد بمعنى الخانقاه ؛ على اساس انهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً ، كانت الاربطة تغذي الوافدين اليها بالتعليم الديني ، وتوفر لهم غذاء روحيا وفي العصر العثماني نجد كثيراً من الاربطة اصبحت ملاجئ للفقراء من نساء ورجال يقدم لهم فيها الطعام وتصرف المساعدات المختلفة [3].

كانت الاربطة مراكز للتعليم الصوفي ، بالإضافة الى مهامها الاجتماعية والسياسية ، وكان في بعضها مكتبات وفي حين كان الصوفية يقيمون في الخوانق بصورة دائمة او شبه دائمة ، كان زوار الاربطة يقيمون فيها لمدد قصيرة نسبياً ، غير ان التمييز بين الخوانق والربط لم يكن متيسراً في كثير من الاحيان ، وقبل ظهور الاربطة بمكة المكرمة كانت هناك ما يسمى بالدور والرباع وتقوم بدور الرباط الى حد ما[4].

ومن اشهر الدور والرباع 1. ربع ال ابي العاص بن امية ، 2. رباع بني نوفل بن عبد مناف عند العلم الاخضر بالمسعى ، 3. ربع ال داود بن الحضرمي ، 4. رباع

---

(1)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص36 .

(2)ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص210.

(3) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص162.

(4)عنان ، نهاية الاندلس ، ص108.

بني عامر بن لؤي ، 5- دار عمر بن الخطاب ، 6- دار العباس 7- دار الارقم بن ابي الارقم ، 8- دار العجلة ، وفي عام 312هـ ظهر في مكة المكرمة ولأول مرة اسم جديد يعرف بالرباط رباط السدرة ويقع بين باب السلام وباب النبي (ﷺ) [1].

اما دور الاربطة في الحركة العلمية كانت الاربطة[2] في اصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الاسلام الذين يغيرون على بلادهم[3]، وقد اشتق اسمها من الآية الكريمة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [4]، وكذلك من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [5] ومع الزمن اصبحت الاربطة مجرد مأوى يقيم بها الفقراء والمتصوفة المنقطعون للعبادة ، وهذا الاستعمال هو الذي كان معروفاً في الحجاز في العصر المملوكي ، فقد انتشر التصوف في مصر في عصر المماليك ، وامتد انتشاره ايضا ليشمل الحجاز واطلق الصوفية على

---

(1)ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص214.

(2)الرباط ، من ربط والمرابطة ، ملازمة ثغر العدو ، واصله ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، وربما سميت الخيل انفسها رباطاً ، والرباط في الاصل الاقامة على جهاد العدو بالحرب وهو احد الابنية . ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص302- 303.

(3) الباشا ، حسن ، المدخل الى الاثار الاسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1990م ، ص133.

(4) سورة الانفال ، اية 60.

(5) سورة ال عمران ، اية 200.

انفسهم اسم الفقراء ، لذلك كثيراً ما نرى ان واقف الرباط اشترط في وقفيته اين يكون للفقراء المنقطعين(1).

وفي الحجاز كان هناك كثير من الاربطة ، عكس ما ذكرته دائرة المعارف الاسلامية التي ذكرت انه حتى عصر ابن بطوطة لم يكن بمكة سوى رباطين(2).

فقد ذكر تقي الدين الفاسي اكثر من خمسة عشر رباطاً كانت موجودة بمكة حتى نهاية القرن السابع الهجري(3).

وكان اهل مكة حتى بداية القرن الخامس الهجري يستقبلون الحجاج في دورهم من غير اجر، فلما ضعفت الخلافة العباسية ، وقلت الاعطيات التي كانت ترسل من قبل الخلفاء اليهم بدأوا يطلبون اجراً عن سكن الحجاج في دورهم ، مما دفع اثرياء المسلمين من تجار ووزراء وسلاطين الى بناء اربطة في مكة ليقيم فيها فقراء الحجاج والفقراء من اهلها(4).

وقد اشار الرحالة المسلمون الى هذه الاربطة ودورها المهم في الحياة الاجتماعية وسكان الحرمين الشريفين ، فقد عملت هذه الاربطة على توفير وسائل الراحة لطلاب العلم الوافدين الى الحرمين الشريفين من البلاد الاسلامية ، وللفقهاء والمجاورين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكان هؤلاء لهم دور عظيم في نشر

---

(1) ابن الجوزي ، جمال الدين ابن الفرج عبد الرحمن (ت597هـ/ 1200م) ، تلبيس ابليس ، بيروت ، دار الفكر ، ص161، 257 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج5 ، ص61.
(2) دائرة المعارف الاسلامية ، ج10 ، ص192.
(3) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : لجنة من كبار العلماء والادباء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج1، ص330، 336.
(4) مالكي ، سليمان عبد الغني ، مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1398هـ /1978م ، ص129، 138.

العلوم في مجتمع اهل مكة والمدينة ، كما كان المجاورون يجدون في هذه الاربطة راحة لهم ، مما شجعهم على زيادة العلوم والثقافة بالإضافة الى ما تقدمه الاربطة من راحة للطلاب والمجاورين ، كان الحجاج يجدون مأوى لهم حيث يسكنون فيها ، ويقدم لهم المأكل والمشرب ، حيث ضمت هذه الاربطة مساكن لسكن المجاورين(1) وكل رباط مقسم على غرف وكذلك يضم الرباط بئراً تمد الساكنين بالماء(2)، ومطبخاً لتقديم الاطعمة لساكنيها ، ولذلك كان لها اكبر الاثر في زيادة عدد الوافدين الى مكة والمدينة وكان لها الفضل في رفع المستوى العلمي والثقافي بسبب ما تقدمه هذه الاربطة من خدمات طبية لساكنيها ، فتسابق طلاب العلم الى السكن في هذه الاربطة ، خاصة بعد ان اوقفت عليها اوقافاً كثيرة من قبل السلاطين والاغنياء وغيرهم ، كما حظيت هذه الاربطة برعاية اهل الحجاز ، فقد كان اهل الطائف يخرجون العشر من منتجات بساتينهم لرباط ربيع بمكة(3).

كما امتازت هذه الاربطة بقربها من الحرمين الشريفين ، ويتضح لنا ذلك من حادثة احتراق الحرم سنة (802 هـ / 1399 م) ، بسبب حريق في احد الاربطة المجاورة للحرم المكي الشريف(4).

---

(1) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي (ت799هـ/1377م) ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (الرحلة) ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، ط1 ، بيروت ، 1407هـ /1987م ، ص140. 154 ؛ القلصادي ، رحلة القلصادي ، ص134 .

(2) الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج1 ، ص340 ؛ العياشي ، الرحلة العياشية ، ج1 ، ص135.

(3)ابن بطوطة ، الرحلة ، ص154.

(4)الخزرجي ، علي بن الحسن (ت812هـ/ 1409م) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : محمد بسيوني عسل ، مصر ، مطبعة الهلال ، 1329هـ/ 1911م ، ج2 ، ص312.

اما بالنسبة لإدارة شؤون الاربطة ، فقد كانت في يد احد ساكنيها المجاورين ممن يطلق عليه شيخ الرباط ، والأمثلة على ذلك كثيرة[1]، اضافة الى شيخ يتولى النظر في الاربطة كلها ، ويتفقدها كعز الدين يوسف بن الحسن الزرندي ، الذي تولى مشيخة الربط في المدينة المنورة ، وتولى تعمير رباط الاصبهاني[2]، وكان الادارة العليا لهذه الاربطة بيد قاضي الحرمين الشريفين الذي كان من ضمن اختصاصه نظر المسجد والاوقاف والربط[3] كما كان لهذه الاربطة مدافن معروفة بمقبرة المعلات في مكة ، مثل رباطي ربيع والموفق[4].

وعلى الرغم من كثرة الاربطة التي عرفتها مكة المكرمة والمدينة المنورة ونوهت بذكرها المصادر فان تلك المصادر لم تتناول تفاصيل النشاط العلمي والاجتماعي الذي كان يدور فيها فهناك معلومات تؤكد ان الاربطة كان لها بعض الدور في تنشيط الحركة الفكرية ، فقد كان يسكنها كثير من طلبة العلم ، والعلماء الفقراء ، وما كان يحدث فيها من سماع ومناقشات واجازات ، ومجالس للتدريس والوعظ ، الى جانب كونها اربطة خاصة بالصوفية ، واعمال التصوف ، وما يتبعها من امور متعلقة بها من الاذكار وغير ذلك ، وعلاوةً على ذلك فأن بعض الاربطة كانت تضم

---

(1)ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874 هـ / 1469 م) ، الدليل الشافي ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مطبوعات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، 1403 هـ / 1983 م ، ج2 ، ص708.

*الزرندي ، عز الدين محمد بن يوسف بن الحسن ، شمس الدين الزرندي فقيه حنفي ، من العلماء بالحديث من اهل المدينة تولى التدريس فيها بعد ابيه ، رحل الى شيراز بعد سنة 742 فولي القضاء بها حتى مات له كتب منها درر السمطين في مناقب السبطين ، وبغية المرتاح ، جمع فيه اربعين حديثا بأسانيدها ، وشرحه .الزركلي ، الاعلام ، ص44

(2)ابن فرحون ، نصيحة المشاور ، ص78.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص372.

(4)ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت774هـ/ 1372م) ، البداية والنهاية ، ، تحقيق : علي شيري ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1408م ، ج12 ، ص267.

بين جنباتها اعداد غير قليلة من الكتب على سبيل الوقف ، مما اتاح لنزلائها فرصة المطالعة والدراسة ضمن تلك الاربطة.

والملاحظ على تلك الاربطة ان بعضها كان موقوفاً على كافة المسلمين من كافة الاجناس والمذاهب ، وبعضها كان موقوفاً على الرجال ، والاخر على النساء ، وبعضها كان موقوفاً على طائفة الصوفية او على احد المذاهب الاسلامية ، والبعض خاص بجنس معين او اهل بلد معين ، وبعضها خاص بالغرباء والمجاورين[1].

وكان واقف الرباط يقف عليه احياناً بعض الدور او الضياع او الاماكن للأنفاق عليه ، كما كان يوقف به بعض الكتب ليتلقى سكانها بعض العلوم ، لأنها تشبه المدرسة وتقوم مقامها احياناً . فقد اوقف لبعض الاربطة اوقافاً عديدة لتكون مصادر دخل لها ، مثل رباط الشرابي الذي عمر بمكة سنة (641 هـ / 1243 م) ، واوقف عليه اوقاف عدة منها مياه على بعض الاودية في مكة وكتب علمية مختلفة[2].

كما اوقف امير مكة حسن بن عجلان في سنة (809 هـ / 1406 م) ، على بعض الاربطة منها رباطه ورباط ربيع ورباط العز الاصفهاني ، مدللاً بذلك على اهتمام امراء مكة برعاية الاربطة[3]. كما اشترى عبد القادر بن ابي القاسم

---

(1)الفاسي ، شفاء الغرام ، ج1 ، ص330، 336.

(2)ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، تحقيق : محمد امين ، 1985م ، ج2 ، ص464.

*حسن بن محمد بن احمد بن عجلان بن رميثة بن ابي نمى (768- 788هـ/ 1366- 1386م) ، شريف حسني ، من امراء مكة ، ولد فيها ، وشارك اباه في ادارة شؤؤنها سنة 778ثم استقل بأمارتها بعد وفاة ابيه سنة 778 فأستمر مئة يوم وقتله ابناء عمه ، بمساعدة امير الحج المصري لهم ، على ابواب مكة . الزركلي ، الاعلام ، ص52

(3)النجم بن فهد ، اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمي واحياء التراث ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 1404هـ / 1984م ، ج3 ، ص453.

الانصاري(ت 866 هـ / 1461 م) ، قطعة ارض بجوار كلالة [1]، وعمرها داراً ، واوقفها على شراء الماء الحلو للرباط[2]، اضافة الى الصدقات التي تعم اهل الاربطة ، مثل صدقة السلطان اشرف برسيباي (ت 841 هـ / 1437 م) ، على اهل الحرمين الشريفين ، اذ فرق فيها خمسمائة اردب قمحاً على الربط والمجاورين بمكة [3].

ويعد رباط السدرة من اشهر اربطة الحجاز الذي يقع بالقرب من المسجد الحرام ، بجوار باب بني شيبة ، وهو احد الاربطة التي كان لها دور فعال في رفع المستوى العلمي بمكة [4]، وذكر ابن بطوطة بأن هذا الرباط كان يقصده اهل الشام واهل مصر ، ويقدمون لقاطنيه المساعدات ، ويتصدقون عليهم كثيراً ، مثل المقرئ برهان الدين ابراهيم المصري الذي كان يعلم فيه الايتام كتاب الله تعالى ، بالإضافة الى

---

(1)انشأه ابو القاسم الطيبي سنة 644هـ / 1246م ، بالقرب من المسعى واوقفه على الفقراء . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج1 ، ص334.

(2)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص125.

*الاشرف برسيباي ، برسباي الدقماقي الظاهري ، ابو النصر ، السلطان الملك الاشرف (766-841هـ/ 1365-1438م) ، صاحب مصر جركسي الاصل ، كان له مماليك الامير دقماق المحمدي واهداه الى الظاهر برقوق ، فأعتقه واستخدمه في الجيش ، فتقدم الى ان ولي نيابة طرابلس الشام في ايام المؤيد شيخ بن عبد الله ثم اعتقل بقلعة المرقب مدة طويلة ، واطلق واعتقل بقلعة دمشق ، فأخرجه الظاهر ططر وجعله دوادارا كبيراً له بمصر وتوفي الظاهر ططر وبويع ابنه الصالح محمد فتولى برسباي تدبير الملك اسابيع ثم خلع الصالح ونادى بنفسه سلطاناً ، وتلقب بالملك الاشرف سنة 824 فأطاعه الامراء وهدأت البلاد في ايامه وغزا مدينة قبرص ففتحها واسر ملكها وانشأ مدارس بمصر وعمارات نافعة ، توفي بقلعة القاهرة . الزركلي ، الاعلام ، ج2 ، ص48.

(3)النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج3 ، ص634.

(4)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص104، 118

*برهان الدين ، ابراهيم بن موسى بن ابي بكر الطرابلسي (853-922هـ/ 1449-1516م) ، فقيه حنفي ولد في طرابلس الشام ، واخذ بدمشق عن جماعة ، وانتقل الى القاهرة وتوفي بها من كتبه الاسعاف لاحكام الاوقاف . الزركلي ، الاعلام ، ج1 ، ص76 .

مساعدتهم بالكسوة والغذاء[1] ، ومن اشهر شيوخ هذا الرباط ، خضر بن محمد بن علي الاربلي الصوفي(ت 730 هـ / 1329 م)[2]، وممن ولي نظر اوقاف هذا الرباط عبد القادر بن ابي القاسم الانصاري (ت 866 هـ /1461 م) [3] ومن نزلاء هذا الرباط عبد الواحد بن اسماعيل العسقلاني (ت 624 هـ /1226 م)، وعبد الملك بن سعيد بن الحسن (ت 824 هـ / 1421 م) [4]، الذي كان مهتم بالعبادة وله المام بالفقه والطرق الصوفية ، اضافة الى ان هذا الرباط كان يوجد به كتاب لتعليم الاطفال القران الكريم[5].

ويذكر الفاسي ان احمد بن عبد الله الدمشقي (ت 822 هـ / 1419 م) ، اجازة في الفقه والحديث عندما كان يقرئ الطلبة برباط السدرة ، بالإضافة الى انه اذن لعدد من طلبته بالفتيا والتدريس[6].

---

(1)الرحلة ، ص153، 154

*خضر بن علي بن محمد السراج ابو العباس ا لصوفي الاربلي ، سمع ببغداد من ابي الكرم الشهرزوري واحمد بن المكي وخالط الصوفية ثم صار بمكة شيخ الصوفية ، وحدث هناك واجاز لنا ، توفي بمكة سنة ثمان وستمائة . الذهبي ، مختصر تاريخ ابن الدبيثي ، ص46

(2)الفاسي ، العقد الثمين ، ج4 ، ص318، 319

(3)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص125

*عبد القادر بن ابي القاسم بن احمد الانصاري السعدي العبادي المالكي(814ـ880هـ/ 1411ـ1475م) ، من علماء العربية مولده ووفاته بمكة ، ولي قضاء المالكية فيها الى ان توفي ، اثنى عليه السيوطي والسخاوي كثيراً ومن تصانيفه هداية السبيل في شرح التسهيل وكذلك لديه مخطوطة لباب الالباب في شرح ابيات الكتاب وايضاً حاشية على التوضيح لابن هشام . الزركلي ، الاعلام ، ج4 ، ص42

(4)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص500.

(5)ابن بطوطة ، الرحلة ، ص153.

(6)العقد الثمين ، ج3 ، ص56.

وهناك كثير من الاربطة منها رباط الدمشقية ورباط رامشت وكذلك رباط ام الخليفة زمرد خاتون ورباط الموفق ، رباط الخوزي ورباط الشرابي ، رباط غزى رباط العباس ، رباط السلطان شاه شجاع ، رباط الشريف حسن بن عجلان ، رباط ابن الطاهر ، رباط ابن الحاجب ، رباط قايتباي ، رباط ابن الزمن(1).

اما رباط ربيع هو الذي اوقفه السلطان الملك الافضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين الايوبي صاحب دمشق في ذي الحجة سنة (594 هـ / 1197 م) ، ويقع هذا الرباط في اجياد(2)، وتولى عمارته ربيع بن عبد الله بن محمود المرديني الحنفي (3) واشترط في وقفيته ان يكون وقفاً على الفقراء والغرباء(4).

وكان اهل الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيماً شديداً ، وينذرون له النذر، ويخرجون العشر من منتجات بساتينهم لهذا الرباط ، اعتقاداً منهم انه اذا لم يفوا بذلك خسروا تجارة ونتاج ارضهم في السنة التي تليها ، كما اشاره ابن بطوطة الى بئر عذبة لهذا الرباط (5) وكان يسكن هذا الرباط كثير من الفقراء والمعلمين ، وذكر ابن بطوطة اسم الفقيه ابي الحسن ابن رزق الله الانجري من اهالي طنجة ، وهو من كبار الصالحين الذين جاوروا بمكة اعواماً كثيرة ، وابي العباس الغماري (6)، ومن اشهر شيوخ هذا الرباط محمد بن داود بن ناصر السنبسي الدمشقي (ت767هـ/ 1365م) ، وكان مشهورا في علم الحديث ومن اشهر الذين اقاموا بهذا الرباط من

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص155.

(2)النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص109.

(3)هو احد الرجال الصالحين ، وجال في البلاد ودخل بغداد والموصول والكوفة والاسكندرية وجاور بالحرميين ، واقامة بالمدينة اثنى عشر عاماً وكان امياً لا يعرف الخط ويقرأ القران ، وتوفي سنة 602هـ/1205م ، السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص61.

(4)الفاسي ، شفاء الغرام ، ج1 ، ص335.

(5)الرحلة ، ص149،148.

(6)الرحلة ، ص148.

العلماء والصالحين ، محمد بن احمد القزويني (ت811هـ/ 1408م) هذا بالإضافة الى المكتبة العلمية بهذا الرباط والتي اوقف فيها كثير من اهل الخير كثيراً من الكتب ، وكان لشيخ الرباط الحق في اعارتها لنزلاء هذا الرباط وغيرهم[1].

وهكذا نرى من هذه التراجم الجنسيات المتعددة لهؤلاء ، فهذا من طنجة ومن اليمن ومصر وغيره من دمشق وغيرهم من المدن الاسلامية ، ولا شك ان اجتماع هؤلاء في رباط واحد وسكنهم به ، يصهر تلك الثقافات المتنوعة لهؤلاء في بوتقة واحدة فيأخذوا عن بعضهم ويعطوا لغيرهم من طلاب العلم ، فكل واحد من هؤلاء اتى من بلد معين واخذ من علماء بلده ، فلما اتى مكة اخذ ينشر هذا العلم سواء في الرباط او غيره من المؤسسات التعليمية .

اما اثر التبادل الثقافي للعلماء ونظامهم التعليمي في المغرب الاسلامي فيكون من خلال المعاهد التعليمية (دور العلم) التي تختص بالتعليم والتدريس وهي من اهم مؤسسات الدولة ؛ في الغالب تتوزع الى كتاتيب قرانيه ، ومساجد ، ومدارس ، وزوايا، وكان جامع القرويين مكاناً لتدريس كبار العلماء وكان يتمتع بمركز الصدارة عن باقي مراكز التعليم بفاس ، اما اهم المعاهد التعليمية فهي:

1. الكتاتيب القرآنية:

هي عبارة عن قاعات واسعة يعلم فيها مجموعة من الاساتذة الاطفال الصغار القراءة والكتابة على الواح واسعة يكتب التلاميذ فيها جزء من القران كل يوم ويختمونه في ثلاث سنوات على الاكثر واقصى ما يعطونه في المسند سبع سنوات ويتعلم الصغار كتاب الله فضلاً عن الخط ومبادى النحو والفقه[2].

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج71 ، ص386.

(2)الجزنائي ، علي (ت766هـ / 1364م) ، جني زهرة الاس في تاريخ مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1967م ، ص93.

2. المساجد :

تأتي بالمرتبة الثانية بعد الكتاتيب وهي ايضاً مؤسسات للتعليم ، ودور المساجد لم تكن مجرد اماكن لأداء المناسك ولكنها تؤدي مهمتها في نشر العلم والمعرفة وتنوير ابناء الامة على مستوى الدروس الوعظة والارشادية وقد اهتم السلطان يوسف ببناء المساجد(1).

ومن مظاهر المساجد الكراسي التي انتشرت بمسجد فاس وسبتة ومنها ان ظاهرة الكراسي العلمية من المميزات الثقافية المرينية ولهذه الكراسي اوقاف خاصة صادرة عن السلاطين وتعقد حول المساجد وهي كراسي منصوبة بمختلف الاشكال يجلس عليها العلماء والمدرسون يعلموا فيها العامة امر دينهم ودنياهم (2).

3. الزوايا :

تعد الزوايا من المؤسسات التعليمية التي نالت اهتمام الدولة المرينية ، لما لها من دور بارز في تربية وتعليم طلاب العلم من بلاد المغرب العربي وكذلك البلدان المجاورة الاخرى ، حيث كان هناك كثير من الزوايا في مدن المغرب العربي التي اسهمت في تعليم الطلبة ومنها زاوية ابي داود الزواوي صاحب زاوية اقبو من بلاد زواوة وهي من اكبر الزوايا في الجزائر ، وكانت مركزاً علمياً انطلقت منها العلوم والفقه المالكي على وجهة التحديد ، حتى قيل انها من الزوايا العلمية ، ولم يقتصر

(1)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مطابع اطلس ، الرباط ، 1979م ، ص222.

(2) التنبكتي ، ابو العباس احمد باب ابن عمر بن محمد التنبكتي (ت 963هـ/ 1055م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرمة ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ج1 ، ص183.

التدريس منها على علوم القران الكريم فقط ، انما انتشر منها تدريس علم الفلك والحساب[1].

اشار ابن ابي زرع ان الامير يعقوب بن عبد الحق امر عماله لبناء الزوايا في المدن المغربية واوقف لها الاوقاف ، لتخصيص رواتب للطلبة والمدرسين والعاملين ، واطعام عابري السبيل [2].

وايضاً ان قبور الامراء كانت تبنى عليها المساجد وتخصص زوايا من تلك المساجد لغرض تدريس التلاميذ ، ويطعم فيها الفقراء وابناء السبيل ، ومثال على ذلك كان موت الامير عبد الحق في يوم الاحد الثاني والعشرين من جماد الاخرة من سنة (614هـ / 1217 م) ودفن في اليوم الثاني من وفاته في قرية تافرطاست ، فقبره هناك معروف بمسجد الزاوية [3].

ومن الزوايا التي امر ببنائها الامير ابو عنان والتي اسماها بالزاوية المتوكلية في مدينة فاس ، وهي تتكون من ثلاث غرف خصصت الاولى للناظر في الاوقاف والثانية للمؤذن والاخيرة للأمام ، وهناك ايضاً اماكن لسكن الفقراء والضيوف[4].

4. المجالس العلمية :

اسهم العلماء بدور كبير في تأثيرهم بالفكر الاسلامي من خلال عقد المجالس والمحاورات العلمية المكتوبة التي تناولت الفقه المالكي بالدرجة الاولى والتفسير والتصوف ومناظرات وتعقيبات[5]. حيث كان شيوخ العلم يتبعون منهجاً منتظماً من

(1) شيخو ، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (ت1364هـ/ 1733م) ، تاريخ الآداب العربية ، ج1 ، ص158، 220.

(2) الذخيرة السنية ، ص91.

(3)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص34.

(4)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 38.

(5)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص 223، 224.

السهل الى الصعب في التدريس وكانت طريقتهم في التدريس تتم اما بطرح الطلاب اسئلة على مدرسيهم فيجيبوا او ان يلقى المدرس اسئلة على الطلاب [(1)].

والمناظرة عبارة عن اسئلة واجابة عليها [(2)] وبرزت في هذا العهد العديد من المناظرات ومنها مناظرة جرت بسبتة بين مالك بن المرحل (699هـ / 1299م) [(3)]. وعبد الله بن احمد بن عبد الله الاموي العثماني (688هـ / 1289م) [(4)] مثلاً كلمة " كان ماذا " وقد انكر الثاني ورد كلمة " كان ماذا " في كلام العرب وقال : الصواب " ما كان " بينما اصر مالك بن المرحل على صحة التعبير ، وقد شرح كل من المناظرين وجهة نظره ، وقد علق ابن غازي على ابن الربيع وقال تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما تطفل عليه في النحو[(5)].

وقد جرت مناظرات بين العلماء في مسائل التفسير واصول الفقه ومن هذه مناظرات تسعة وعشرون سؤالاً طرحها ابو زيد عبد الرحمن بن الشاب التازي

---

(1)القاضي عياض ، عياض بن موسى اليحصبي البستي (ت544هـ/ 1124م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق : د احمد بكر محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م ، ج5 ، ص80.

(2)المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج3 ، ص4.

(3) ابو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن فرج بن الازرق بن منير بن سالم بن فرج بن المرحل المالقي المعموري المخزومي الفاسي سكناً ولد بمالقه . البغدادي ، اسماعيل باشا ، هدية العارفين بأسماء المؤلفين واثار المصنفين ، ط3 ، طهران ، المكتبة الاسلامية ، مطبعة اسطنبول ، 1967م ، ج2 ، ص11.

(4)عبد الله بن احمد بن عبد الله ابو الحسين بن الربيع الاموي العثماني الاشبيلي ولد في رمضان من سنة (599هـ / 1202م) ثم جاء الى سبته لما استولى الافرنج على اشبيلية . القسنطيني ، ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، بيروت ، المكتب البتاوي للطباعة والنشر ، 1971م ، ص352.

(5)المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص154 ؛ المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص224.
ص224.

(724هـ / 1323م) التي اجاب عليها محمد بن البقال والذي اشتهر ايضاً بعلم الكلام لان المناظرة اساس على الكلام [1].

5. المكتبات :

كان للحياة العلمية في العصر المريني لها النصيب الاكبر في رعاية امراء بني مرين ، اذ كان لكل منهم اهتماماً خاصاً في مجال التواصل العلمي ، وكان من اوائل امراء بني مرين الامير يعقوب بن عبد الحق الذي اسس عدداً من المكتبات العلمية والتي تعد من المراجع التي يعتمد عليها طلبة العلم في مجالات اختصاصهم ، لذا زاد عدد المدارس واسس فيها المكتبات ومنها مدرسة الصفارين التي جهزت بأحدث الكتب تم جلبها من بلاد الاندلس والبلدان الاخرى[2].

وذكر ان الامير يعقوب بن عبد الحق جهز المدرسة الصفارية بكتب تتكون من ثلاثة عشر حملاً وهي الكتب التي طلبها من ملك قشتالة سانشو، فأرسلها الى المغرب بعد الصلح الحاصل بينهما[3].

وذكر ايضاً ان مجموع هذه الكتب كانت تتضمن عدداً من مصاحف القران الكريم وتفاسيره مثل ابن عطية والثعلبي وكتب الحديث كالتهذيب والاستذكار وكتب الاصول وغيرها[4].

وعلى ما يبدو ومن خلال اهتمام امراء بني مرين في الحياة العلمية ، كانت هناك مكتبات بالمدارس والمساجد في بلاد المغرب العربي حيث تقام الجلسات العلمية

(1)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص223.
(2)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص34.
(3) ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص210 ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص106.
(4)ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص210 ؛ عنان ، نهاية الاندلس ، ص210.

والتدريس في اماكن التعليم المخصصة داخل تلك المساجد لتكون قريبة من طلاب العلم [1].

ومن خلال اهتمامهم في الجانب العلمي كان هناك مكتبات خاصة لديهم او في قصورهم ، ومن ثم ظهرت فكرة انشاء المكتبات العامة وتسمى دور الكتب في العصر المريني وبادر في انشائها الامير ابو عنان المريني على الشكل المألوف لدينا في الحاضر وهي مجاميع من الكتب وبمختلف الاختصاصات وفي اشارة الى ذلك قال الجزناني : " تتكون من علوم الابدان والاديان واللسان والاذهان واختلاف ضروبها واجناسها "[2].

(1) عنان ، نهاية الاندلس ، ص108

(2) جني زهرة الاس ، ص69.

المبحث الثاني :الاثر العلمي لعلماء المغرب الاسلامي في المدارس

اصبح لبلاد المغرب العربي نصيب كبير من العلوم والمعرفة وايضاً لها صدى ثقافي من خلال الجلسات العلمية التي تعقد من قبا امراء بني مرين ، منهم الامير ابو الحسن المريني اثناء رحلته الى افريقيا ، وايضاً جلسات الامير ابو عنان المريني [(1)]. ومن خلال ذلك يتبين ان بلاد المغرب العربي سادتها الثقافة العربية ، بمختلف العلوم .

ان للمذهب المالكي اثر كبير في انتشار الثقافة العربية الاسلامية في بلاد المغرب العربي ، وان مجتمع بلاد المغرب العربي كانت لديهم ثقافة فكرية ، من خلال نشاط حركة التأليف والترجمة ومنها كتب النحو والفقه في عهد المرينين [(2)] حيث قام بتأليفها علماء وفقهاء بارزين ، كالفقيه ابي العباس بن جبير شيخ ابن ابي زرع ، والفقيه الحاسب ابن الياسمين من اهل فاس ، اخذ من عبد الله بن قاسم علم الحساب والعدد وعبد الله السبتي[(3)] وغيرهم من العلماء حيث إنَّ النشاط الفكري كان نتاجاً للعلماء والفقهاء والادباء ، الذين بنوا المدارس وزوايا العلم لاستقطاب الطلبة من كل انحاء العالم .

إنَّ من مميزات امراء بني مرين هو بناء المساجد والزوايا ، وكثرة الخزائن الموقوفة وانتشار المدارس ، واستخدام اساليب عديدة في التعليم عن طريق ايجاد الكتب للطلاب وايوائهم وتوفير الاساتذة لهم وتخصيص الرواتب وبذلك تكون الحركة

---

(1) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص164.؛ عدنان محمود عبد الغني ، الثقافة والتعليم في العصر المريني ، جامعة تكريت ، قسم التاريخ ، ص62

(2) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص124 ؛ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص164.

(3)عبد الله بن حجاج ابو محمد المعروف بأبن الياسمين بحدود سنة 600هـ له ارجوزة في الجبر والمقابلة . البغدادي ، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، ج5 ، ص458.

الفكرية والعلمية اخذت منحاها ، وارتقت الى اعلى المستويات قياساً بأسلافهم من الموحدين والمرابطين(1).

من اهم المؤسسات التعليمية هي المدارس ، مهمتها تعليم الطلبة القادمون من مختلف البلدان ، حيث كان هناك اماكن مخصصة لسكن الطلبة والعلماء او المعلمين الذين يقومون بمهنة التعليم ، ويوجد في كل مدرسة مسجد داخلها وله امام من الطلبة او غيرهم ، يخصص له راتب ، وايضاً للطلبة خصصت رواتب من البلاط المريني ، وتقام على شرف الطلبة مآدب من الطعام داخل المدارس(2) ، اما من اهم الامراء الذين لهم دور كبير في بناء المدارس هو الامير ابو الحسن المريني اذ امر ببناء مدرسة معمودة بالقرب من جامع الاندلس (3).

حيث بنيت في سنة (725هـ/ 1344م) وايضاً امر ببناء مدرسة في مدينة سلا وهي مدرسة الطالعة في سنة (733هـ / 1333م) (4) ويتوسطها صحن مزين بالفسيفساء وفي وسطه صهريج صغير من الرخام ، وفيها اربعة وعشرون بيتاً وكان في المدرسة ساقية ماء اوقفت على المدرسة(5).

اما الامير يعقوب بن عبد الحق فقد قام ببناء المدارس والجوامع التي اسهمت في تعليم المجتمع المغربي في حكم الدولة المرينية ، حيث امر ببناء مدرستين في

---

(1)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص27.

(2) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص156، 157 ؛ ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 162-163.

(3)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص91.

(4)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب، ص300.

(5)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ص242. عدنان محمود عبد الغني ، الثقافة والتعليم في العصر المريني ، جامعة تكريت ،

مدينتي فاس ومراكش سنة (658هـ/ 1261م) حيث رتب الطلبة لقراءة القران والعلم واجرى لهم المرتبات في كل شهر [1].

ان من اهم العلماء الذين بذلوا الجهود في ترك بصمة علمية على اولئك الطلبة ، منهم احمد بن سعيد القبيجمي خطيب جامع القروين الذي قضى عدداً من السنوات في التدريس بمدرسة البوعناية [2]. وكذلك المفتي محمد المقري التلمساني الذي قام بتدريس صحيح مسلم في المدرسة البوعناية ايضاً[3].

حيث تعد المدارس على عهد بني مرين معاهد للفقه والنحو والقراءات [4] وهي تعد من اهم مميزات العصر المريني الاول ، وهي المرحلة الاولى لبناء المدارس وانتشارها[5]. حيث شيدت تسع مدارس في اربع مدن مغربية ، وكانت ستة منها بفاس بفاس ومراكش وتازة ومكناس ، وكان القصد من بناء المدارس ايواء الطلبة والتدريس ايضاً ، وقد تضمنت المدارس موظفين الى جانب الهيئة التعليمية وهم امام الصلاة

---

(1)حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص157

(2)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص94.

- المدرسة البوعناية ، قام ببناء هذه المدرسة الامير ابو عنان المريني في سنة 756 هـ / 1355 م ، كانت من اجمل المدارس المرينية ، خصص لها اوقافاً كثيرة ، تضاف واردات تلك الاوقاف لصرفها على طلبة العلم الساكنين فيها ، وعلى اساتذتها ومن يقوم للعمل فيها ، كما امر الامير ابو عنان ببناء حمام ومنزل مجاور لها ، وفرن واسطبلات ، وعدد من الدكاكين وخصصت كل هذه الاوقاف بصرفها على الطلبة . الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص176

(3)حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص156

(4)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ص254

(5)الجزنائي ، جني زهرة الاس ، ص81

والمؤذن والقيم والوقاد والحارس[1] وكانت مصادر الانفاق على المدارس تتمثل بأحباس الدولة الموقفة[2].

ومن اهم المدارس التي قامت الدولة المرينية ببناؤها في المغرب الاسلامي هي:

1. مدرسة الصفارين :

وهي المدرسة التي تسمى ايضاً بمدرسة الحلفاويين وبعد نقل سوق الصفارين الى جوارها اطلق عليها تسمية الصفارين وبنيت في عهد الامير يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (679هـ / 1280م) ، اذ جعل فيها خزائن كبيرة من الكتب تحتوي على الاف من الكتب النفسية سنة (684هـ /1285م) [3]. كان موقعها بإزاء جهة قبلة جامع القرويين[4]، واجرى فيها ماء العين واسكن فيها الطلبة والمعلمين واجرى عليهم الرواتب[5].

وايضاً تعد من اقدم المدارس في بلاد المغرب الاقصى وهي في موقعها قريبة من سوق النحاس ، وكانت تحتوي على مكتبة ومخطوطات التي نقلت بعدها الى جامع القرويين وكذلك امر الامير يعقوب بن عبد الحق ببناء عدد من الغرف داخل المدرسة لكل الطلبة الوافدين من البلدان البعيدة وخصص لهم مبالغ من المال[6].

---

(1)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص254

(2) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص100

(3) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص158

(4) جامع القرويين : وهو اقدم الجوامع في المغرب الاقصى الذي شيد على يد فاطم الفهري القيرواني . حسن ، دولة مدينة مرين تاريخها وسياستها ، ص 239

(5)الجزنائي ، جنى زهرة الاس في تاريخ مدينة فاس ، ص81

(6)ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص162

2. المدرسة العظمى :

قام ببناء هذه المدرسة الامير ابو الحسن المريني (1). تقع المدرسة في مدينة مراكش جنوب المسجد الاعظم (2).وجاءت التسمية لقربها من هذا المسجد ، وقد زارها كثير من المؤرخين والعلماء ومنهم الرحالة ابن بطوطة (774هـ/ 1377م) الذي وصفها " بأنها مدرسة في غاية من العجب ، تميزت فيه من فن الصنعة والبناء " (3).

3. مدرسة الصهريج :

ان بناء هذه المدرسة على عهد الامير ابي الحسن المريني (ت 721هـ / 1321م) في مدينة فاس بالقرب من جامع الاندلس (4)، وجاءت تسميتها بالصهريج بالصهريج بسبب وجود بركة من المياه في وسطها(5).

وذكر ان هذه المدرسة غرب جامع الاندلس ولقربها من الجامع اطلق عليها تسمية الاندلس ، وهناك مدرسة اخرى تسمى بمدرسة السبعين وكانت لسكنى طلبة القراءات السبعة وتسمى ايضاً بالمدرسة الصغرى وان المدرستين تم تأسيسهما من

---

(1) زينب ، نجيب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس ، دار الامير للثقافة ، بيروت ، 1995م ، ج3 ، ص 98.

(2)المسجد الاعظم : بني في عهد الخليفة الموحد المنصور (ت 595هـ / 1119م) . الناصري ، الاستقصاء في اخبار دول المغرب الاقصى ، ج3 ، ص112.

(3)الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص 112.

(4)ابن بطوطة ، الرحلة ، ج2 ، ص772.

(5)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص412 ؛ الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص112 ؛ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص57.

قبل الامير ابي الحسن المريني وذلك في سنة (720هـ / 1321م) [1] وانفقت عليها مبالغ كبيرة وبدأ التعليم والتدريس فيها منذ سنة (723هـ / 1323م) ، حيث زودها بخزانة من الكتب[2].

4. مدرسة فاس الجديدة :

تم بناء هذه المدرسة في عهد الامير ابي سعيد عثمان المريني المتوفي سنة (752هـ /1351م) وامر ببنائها سنة (740 هـ/ 1320م) وعين فيها العلماء والفقهاء لتدريس الطلبة واجرى لهم المرتبات والمؤن على مدار السنة وسكن الطلبة واوقف عليها الاملاك لسد النفقات [3] ومن معلميها الذين درسوا فيها علوم القران الكريم احمد بن قاسم الجذامي المتوفي سنة (779هـ / 11377م) الذي درس كتاب التهذيب[4].

5. مدرسة العطارين .:

تم بناء المدرسة في عهد الامير ابي سعيد عثمان المريني في سنة (623هـ / 1323م) [5]. بجانب جامع القرويين في مدينة فاس ، واشرف عليها الشيخ ابي

---

(1)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص240. ؛ عدنان محمود عبد الغني ، الثقافة والتعليم في العصر المريني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، قسم التاريخ ، ص242

(2)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص299.

(3)المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص242

(4)ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص41. 299 ؛ الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص111 . ؛ عدنان محمود عبد الغني ، الثقافة والتعليم في العصر المريني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، قسم التاريخ ، ص244

(5)ابن القاضي ، احمد بن محمد المكناسي (ت 1025هـ / 1613م) ، درة الحجال في اسماء اسماء الرجال ، تحقيق : محمد الاحمدي ابو النور ، دار النصر ، القاهرة ، 1997م ، ج3 ، ص17

محمد بن عبد الله المزوار ، وعين فيها الامير ابو سعيد اماما ومؤذنين ، والفقهاء والعلماء لتدريس الطلبة ، وخصص لهم السكن والمؤنة والرواتب ، واوقف عليها كثيراً من الاملاك[1].

للأنفاق عليها ، وهي على مستوى عالي من الفن المعماري وجمالية الزخارف فيها ، وتعد اجمل مدارس الدولة المرينية ، واقر الامير ابو سعيد عثمان المريني ببناء اكثر من خمسين بيتاً لسكن الطلاب والمدرسين فيها[2].

وترجع تسميتها بمدرسة العطارين نسبة الى سوق العطارين الذي كان بالقرب منها في مدينة فاس [3]

6. المدرسة المصباحية

ان سبب تسمية هذه المدرسة بالمدرسة المصباحية ، نسبة الى الفقيه ابي الضياء[4] وهو اول من درس فيها ، اتم انشاءها الامير ابو الحسن المريني في سنة (774هـ/ 1346م) في داخل جامع القرويين وخصص فيها غرفاً للتدريس وسكناً الطلبة والمدرسين والقيمين فيها [5].

---

(4) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص413.

(2) الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص112.

(3) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص157. ؛ عدنان محمود عبد الغني ، الثقافة والتعليم في العصر المريني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، قسم التاريخ ، ص247

(4)الفقيه ابو الضياء هو مصباح بن عبد الله الباصلوني ، وهو اول من درس في المدرسة المصباحية التي نسبت له في عهد الامير ابي الحسن المريني . الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص176.

(5)حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص157.

اما الاثر العلمي لعلماء الحجاز في المدارس :

تعد مكة المكرمة اول مركز علمي اسلامي لكونها مهبط الوحي ، وانبعاث نور الهداية واول اية نزلت على الرسول (ﷺ) تدعوا الى العلم اذ قال الله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (1) وكان رسول الله (ﷺ) يعلم اوائل المسلمين تعاليم الدين الحنيف في دار الارقم بن الارقم (2) التي تعد اول مدرسة علمية في الاسلام ، وبعد هجرته (ﷺ) الى المدينة المنورة ، اصبح مسجده ثاني مدرسة لنشر العلم ، وهكذا اكتسبت مكة المكرمة والمدينة بجانب مكانتهما الدينية مكانة علمية منذ صدر الاسلام(3) ، ولقد تأخر انشاء المدارس بطابعها النظامي في الحرمين الشريفين الى بداية القرن السادس الهجري حيث بدأت المدارس تظهر وتزداد(4)، وتسابق

---

(1) سورة العلق ، اية 1 – 5 .

(2)الارقم بن ابي الارقم ابن اسد بن عبد الله بن عمر بن مخزومة بن يقضه المخزومي ، صاحب النبي (ﷺ) من السابقين الاولين ، اسم ابيه عبد مناف ، شهد بدر ، وكان من عقلاء قريش ، عاش الى دولة معاوية ، توفي بالمدينة سنة 53 هـ / 1158 م ، وقيل سنة 55 هـ / 647 م . ابن الاثير ، علي بن محمد بن محمد (ت 630هـ/ 1232م) ، الكامل في التاريخ ، مراجعة : محمد يوسف الدقاق ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1407هـ/ 1987م ، ج3 ، ص 347.

(3)عبد الله ، عبد الرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، جدة ، دار الشروق للتوزيع والطباعة ، 1403هـ /1983م ، ص 36 – 37.

(4)النعيمي ، عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف النعيمي الدمشقي (ت978هـ / 1521م) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، دمشق ،1410هـ / 1990م ، ج1، ص431 ، 535 ؛ السليمان ، علي بن حسين ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1393هـ/ 1973م، ص225.

السلاطين والامراء والمقتدرون من العلماء وغيرهم في انشاء المدارس ، فتعددت وزادت العناية بها ، وكانت هذه المدارس تؤدي وظيفة علمية اضافة الى صفتها الاجتماعية ، حيث كانت ملجأ للمرتادين والمعوزين فقد كان يجد بها العالم والمتعلم والعابد والمرتاد والمعوز والمنقطع الغذاء العلمي والروحي والمادي والمأوى ، وذلك فيما يلقى بها من دروس علمية ، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية وعينية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين ، وما كانت تقدمه للمعوزين والمنقطعين من مأوى وزاد بفضل ما كان يخصصه له مؤسسوها من اوقاف توقف عليها ليضمن ريعها و استمرار هذه المدارس في اداء رسالتها العلمية والاجتماعية(1).

ولا شك ان الهدف الاساسي من وراء كثرة المدارس في الحرمين الشرفين هو خدمة الدين الاسلامي وما يتفرع عنه من مختلف العلوم العقائدية والتشريعية . ويقول احد الباحثين معلقاً على كثرة المدارس في العصر المملوكي : " انه على الرغم من كثرة المدارس والمدرسين في ذلك العصر ، لم يخلف لنا عنهم اسم واحد عظيم ، ولم تخرج المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة او كاتباً موهوباً ، فهي لم تزد على كونها مدارس لتدريس المدرسين ، وباستثناء المقدمة لابن خلدون ذلك الفذ الذي تلقى تعليمه في المغرب ، لم يظهر في العالم الاسلامي عامة اي عمل اصيل ، وقد تميز هذا القرن بكتب الموسوعات والسير التي كثيراً ما كانت قليلة العمق ، وواضعي المجاميع ، فلم تعرف فيه اعمال تتميز بالأصالة ، كان هؤلاء الرجال يستحقون في حياتهم عبارات المديح ، وسير موجزة مليئة بالنعوت الرنانة ، ولكن اسمائهم تسقط في طيات النسيان "(2). وعلى الرغم من ذلك ، يجب ان لا ننتقص ونجحف حقوق

---

(1) طرخان ، ابراهيم ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط ، القاهرة ، 1388 هـ / 1968 م ، ص324 ـ 325 .

(2)عز الدين ، محمد كمال الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، 1409هـ / 1987م ، ص3.

العلماء المعاصرين لتلك المدة ، امثال ابن حجر و ابن منظور و والفيروز ابادي و ابن تغري بردي ، والمقريزي ، والقلقشندي ، والسخاوي ، وغيرهم .

فكتاب ابن حجر (فتح الباري) منذ تأليفه ، حتى وقتنا الحاضر وهو متداول بين الناس بين العلماء و طلاب العلوم ، كما ان (لسان العرب) لابن منظور و(القاموس) للفيروز ابادي من الكتب المهمة التي يعتمد عليها كل باحث في عصرنا الحالي في اي علم يبحث فيه الطالب ، هذا بالإضافة الى ان مؤرخي هذا العصر قد حفظوا لنا تاريخ امة بكاملها ، فلولاهم لما وصلنا شيء من تاريخ العصر المملوكي .

وكان وجود العلماء والفقهاء والقضاة والمجاورين في الحجاز في العصر المملوكي بأعداد كبيرة مع تعمق في مختلف الدراسات العقائدية والاجتماعية عاملاً مشجعاً لأصحاب السلطة ومحبي العلم والتعليم والمقتدرين لأنشاء المدارس ، وكان من اسباب انشائها تأييد المذهب الذي يتبعه السلطان او الامير[1].

وبفضل نظام الوقف استطاعت هذه المدارس ان تؤدي وظائفها التعليمية بانتظام، وكان المدرسون يختارون بعناية كبيرة ، ويتم تعيينهم من قبل الواقف . ويلاحظ ارتباط هذه المدارس بالمذاهب الاسلامية الاربعة ، فيختص بعضها للفقهاء الشافعية ، وبعضها للفقهاء المالكية ، وبعضها للحنفية ، وبعضها للحنبلية .

كما وجدت مدارس بها دروس اربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ، مثلما وجد في المدرسة الغياثية ، ومدرسة الاشرف قايتباي . الى جانب ما كانت تؤديه بعض المدارس من منافع تتفق مع كونها مكان عبادة ودرس كانت تقوم ايضاً بوظيفة الخانقاه ، حيث تصلح مقراً لإيواء الصوفية ، وممارسة وظيفة التصوف ، واستضافة

---

(1)الحجي ، حياة ناصر ، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، تحقيق : وقف سريا قوس ، ط1 ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1403 هـ / 1983 م ، ص106 ؛ زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة : حسين مؤنس ، دار الهلال ، 1968م ، ج3 ، ص225 ـ 226.

الواردين من الفقراء ، مثل المدرسة الزمامية ، والمدرسة الجمالية ، والمدرسة الباسطية .

واحتوى عدد من المدارس على مكاتب سبيل تقام بجانبها معونه للأيتام والمحتاجين ، حيث يكون هدفها تعليم ايتام المسلمين ، وتجرى لهم الجرايات والكسوة ، وعادةً تكون مكاتب السبيل هذه في المدارس او المساجد ، او غير ذلك من المؤسسات الدينية والتعليمية . وقد يكون السبب في عدم قيام مراكز تعليم اليتامى هذه مستقلة بذاتها هو الخوف من اندثارها وسرعة وصول الخراب اليها ، ولذا كانت تلحق بهذه المؤسسات الكبيرة والقادرة على تمويلها وامدادها بالمدرسين والكتب والطعام ، وغير ذلك مما تحتاجه لتواصل مسيرتها في تعليم الأيتام وحسن توجيههم.

كما ان وجود السكن في هذه المدارس لطلاب العلم وغيرهم من الغرباء والمجاورين ساعد كثيراً على ابقائهم مدة اطول بمكة والمدينة يؤدون به حق العلم وينالون به رفيع الثواب ، حتى ان واقف المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة اشترط

على ساكن المدرسة ان يقوم بألقاء الدروس او حضورها ، وجعل ذلك شرطاً من شروط الوقف على هذه المدرسة(1).

بالإضافة الى ذلك فأن هذه المدارس كانت تؤدي وظائف اجتماعية مهمة ، وكانت في بعض الاحيان داراً للقضاء يفصل فيها في القضايا التي تحدث بين العلماء والاعيان وغيرهم(2)، كما كانت مكاناً لانعقاد الصلح بين الاطراف المتنازعة ، خاصة امراء مكة الاشراف(3).

---

(1)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3 ، ص707.

(2)العز بن فهد ، عبد العزيز بن عمر (ت922هـ/ 1516م) ، بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، ص7.

(3)النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج4 ، ص343ـ 344.

اما نظام التعليم في هذه المدارس ، فكان يسير على النهج الذي يراه المتبرع او الواقف بأنشاء المدرسة ، فكان يقرر ما يراه للتدريس بها ، ويعين المدرسين والطلبة بها وفقاً لأحد المذاهب الاربعة ، كما كان يختار العلوم التي تدرس فيها (1).

ولم تمدنا مصادر تاريخ الحرمين الشريفين بوصف عام لنظام التعليم بالمدارس ، ولكن هذه المصادر ، وخاصة كتب التراجم ، اشارت واكتفت بوصف موجز لهذه المدارس، يعثر الباحث في ثنايا هذه الاوصاف على عبارات تدل دلالة قريبة او بعيدة على شيء من هذا النظام ، او على شيء من مراتب العلماء .

فتذكر بعض المصادر عن احد العلماء انه تولى التدريس ، بإحدى المدارس على مذهبي مالك او الشافعي ، وان اخر تصدر للأقراء اي اقراء مذهب مالك ، او الشافعي، وان ثالثاً كان يتولى الاعادة ، وتدلنا هذه النصوص على ان وظائف التعليم بهذه المدارس كان يعهد بها الى معلمين على طبقات ثلاث ، طبقة لها الصدارة وهي الطبقة التي يشغل فيها الاستاذ وظيفة الصدر لإقراء مذهب معين من مذاهب الفقه.

وطبقة تأتي بعد ذلك طبقة المدرسين وهم الذين يعينهم الصدر في شرح مادته ثم طبقة المعيدين ، وعددهم في المدارس اكثر من عدد غيرهم في الغالب ولا شك ان ثقافة القائمين على هذه المدارس ثقافة اسلامية خاصة ، فالفقه والحديث كانا يحتلان المكان الاول في هذه الثقافة ، فقد كان كثير من علماء الحجاز ومجاوره عارفين كل المعرفة بهذه الثقافة الدينية ، مشهورين في كل مادة من موادها ، او في المواد كلها متى ما امكن ذلك ، اما النحو والبلاغة ، حضورهما ضروري لدراسة الفقه ، بل ان الفقيه كان لا يمكن ان يسير شوطاً بعيداً عن علمه ، دون ان يكون له المام بهذه العلوم .

والخلاصة ان العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس هي العلوم الدينية كتفسير القرآن وعلوم القراءات ، والفقه واصوله ، والحديث وعلومه ، واللغة العربية بصرفها ونحوها مع شيء من الاهتمام بعلوم البلاغة والفلك والحساب .

---

(1)النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج4 ، ص63 ـ 64.

وقد حفلت المصادر عامة ، والحجازية خاصة ، بذكر الكثير من المدارس التي انشأت في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما تجدر الاشارة اليه ان كثيراً من هذه المدارس كان لها سمعتها العلمية الرائعة ليس في الحجاز فحسب بل خارجه ، فكثير من افاضل علماء العصر درس في هذه المدارس التي كانت تجذب بسمعتهم كثيراً من التلامذة من الحجاز وغيره ، وبعض اخر من هذه المدراس لا تصل سمعتها وقدرتها العلمية الى هذا المستوى ، ولعل نقص المعلومات عنها من اسباب ذلك .

اما المدارس في مكة المكرمة فهي :

1. مدرسة الزنجيلي :.

اسسها الامير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي في سنة 579 هـ / 1183 م ، ووقفها على اتباع المذهب الحنفي [1].

وموقعها عن باب العمرة ، كما بنى في مكة المكرمة رباطاً وسبيلاً ، واوقف للمدرسة والرباط اوقافاً كثيراً ، وتعرف هذه المدرسة بدار السلسلة[2].

وذكر الفاسي انها اصبحت بيد بعض الاشراف من اولاد وامراء مكة [3] ، وممن درس فيها صديق بن يوسف بن قريش ابى الوفاء الحنفي المولود سنة537هـ/1142م ، يعد من العلماء المشهورين في ذلك العصر ، اذ اخذ عن الحافظ ابن طاهر السلفي ، ومن ابي القاسم البوصيري بمصر واستوطن الديار المصرية مدة ، وولي بها الحسبة ، ثم حج الى مكة ، ودرس بالمدرسة المذكورة ، ورجع الى مصر فطولب بالحساب ، فعجز ، فحبس في القلعة ومات وهو في الاعتقال [4]، وحسين بن احمد بن محمد بن

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج6 ، ص34 ، 35

(2)ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل (ت665هـ /1266م) ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : محمد حلمي ، القاهرة ، 1956م ، ج2 ، ص26

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج6 ، ص35.

(4)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص39.

ناصر الهندي الحنفي (ت824هـ/1421م) ، الذي ولي الى جانب التدريس نظراً اوقاف هذه المدرسة ، وكان يكرر قراءة صحيح البخاري في كل سنة ويقرر مواعيد محاضرات في المسجد الحرام عند باب الصفا(1).

وكان لأسرة الصاغاني الحنفية نصيب كبير في تولي التدريس بهذه المدرسة ، ومنهم احمد بن محمد بن سعيد الصاغاني (ت 825هـ/1421م) ، الذي توارث ابناؤه واحفاده التدريس في هذه المدرسة ، ثم نقلوا دروسهم الى المسجد الحرام ، وتعد هذه المدرسة من المدارس التي ادت دورها العلمي لمدة طويلة تقترب من ثلاثة قرون(2).

2. المدرسة الأرغونية :.

تقع هذه المدرسة بدار العجلة القديمة على يسار الداخل للمسجد الحرام بالباب المعروف بباب العجلة (3)، وقد ذكر الفاسي انه لا يعرف من وقفها ومتى وقفت ، وان الامير ارغون النائب الناصري عمل في هذه المدرسة درساً للحنفية قبل العشرين والسبعمائة(4) ، لذلك فان هذه المدرسة تنسب الى ارغون شاه بن عبد الله الناصري (ت 731 هـ / 1330 م) ، الذي كان من الامراء المحبين والمحسنين لأهل العلم ، وتردد الى مكة مرات عدة وسمع بها على الرضي الطبري ، وكان له ميل الى المذهب الحنفي فأبتنى بمكة مدرسته للحنفية ، واوقف عليها اوقافاً (5). وجعل

(1)السخاوي ، الضوء الامع ، ج3 ، ص137 ؛ الداري ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي (ت1005هـ/ 1596م) ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، ط1 ، الرياض ، دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، 1403هـ/ 1983م ، ج3 ، ص124.
(2)ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2 ، ص179 ، 183 .
(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص117 .
(4) شفاء الغرام ، ج1 ، ص328.
(5)ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج1 ، ص351 .

مدرسها يوسف ابن الحسن بن علي السجزي الحنفي(ت 761 هـ / 1359 م)[1] ، ولم يدم التدريس بهذه المدرسة طويلاً ، لأنه بعد سنين استولى عليه الاشراف اولاد راجح بن ابي نمى ، وبقيت بأيديهم الى زمن الفاسي ، وظلت طوال هذه المدة لا تؤدي خدمتها التعليمية[2].

3. المدرسة المجاهدية:

عمرها الملك المجاهد علي ابن داوود بن يوسف بن عمر صاحب اليمن سنة 764هـ / 1249م) ، بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام ، واوقفها في شهر ذي القعدة من السنة نفسها على الشافعية ، وارباب وظائفها[3]، ورتب بها اماماً ومؤذناً، وقيماً ومدرساً ، ومعلماً ، وايتاماً ، وطلبة ، وكان المصلي يصلي بها وهو يشاهد المسجد الحرام ، وجعل للمدرسة اوقافاً من املاكه الخاصة ، وجعل الأوقاف في ثلاثة مواضع من وادي زبيد زيادة في الحرص على توفير الأموال سنوياً للمدرسة ، وضماناً لاستمرارها في تأدية دورها العلمي ، فكان جزء من الاوقاف في اعلى وادي زبيد ، وجزء في اسفله ، وجزء في اوسطه ، حتى اذا لم تغل الاوقاف في جهة معينه في هذه المواضع ، تصبح غلال الجهة الاخرى مورداً للمدرسة تستعين به على تيسير امورها لذلك العام[4].

وقد درس بهذه المدرسة عدد كبير من العلماء والمجاورين ، ومنهم الشهاب الطبري (ت 760 هـ / 1358 م) ، الذي درس بها بتفويض من الملك المجاهد ،

---

(1)يلقب بالجمال بن البدر بن التاج ، حدث ودرس وافتى وله تأليف في العروض والشعر ، وتولى التدريس في هذه المدرسة بولاية من الواقف . ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2 ، ص306 ، 308.

(2)ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج1 ، ص223.

(3)النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج3 ، ص217 – 218.

(4)الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج2 ، ص68.

وخلفه في التدريس ابنه النجم (ت 765 هـ / 1336 م) [1]، وممن عمل بها معيداً احمد بن ابراهيم الطبري الشافعي (ت 750 هـ / 1349 م) [2]، وهؤلاء العلماء المعيدين الذين ذكرتهم سابقاً من اتباع المذهب الشافعي ، والى جانب كونها معهداً من معاهد العلم الشرعي بمكة ، فقد كان بها سكن يأوي اليه بعض العلماء والوافدين ، وان الملك المجاهد نزل فيها حين حج سنة 742 هـ / 1341 م [3]، وسكن بها تغري برمش بن يوسف التركماني الحنفي (ت 823 هـ / 1420 م) ، صاحب الاصلاحات بمكة ، والمتصدي بها لأنكار المنكر ومنع البدع [4] ، وكذلك كانت مسكناً للأمراء والقواد[5].

4. المدرسة الافضلية :

انشأها الملك الافضل بن الملك المجاهد صاحب اليمن في الجانب الشرقي من المسجد الحرام ، ورتب فيها مدرساً ، ومعيداً وعشرة من الطلاب ، واماماً ومؤذناً وقيماً، ومعلماً وايتاماً يتعلمون القران الكريم ، واوقف عليها وقفاً كافياً [6].

وقد ذكر النجم بن فهد انها اوقفت سنة 768هـ/ 1366م ، وابتدئ التدريس فيها في سنة 770هـ / 1368م ، [7] بينما ذكر الفاسي انها اوقفت قبل سنة 770هـ/ 1368م .

على اتباع المذهب الشافعي ، وابتدئ التدريس بها في نفس السنة [1] وقد تولى عمارة هذه المدرسة احمد بن سليمان بن سلامة المكي (ت777هـ/ 1375م) [2].

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص382 ـ 383

(2)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص9 ، 10

(3)الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج2 ، ص71.

(4)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج3 ، ص31.

(5)العز بن فهد ، بلوغ القرى ، ص3.

(6)الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج2 ، ص159 .

(7)النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج3 ، ص306ـ 307.

وكان اول من درس بهذه المدرسة قبيل سنة 770هـ/ 1368م ، ابو الفضل النويري (ت 786هـ / 1384م) ، وكان يسكن بها وولي نظرها مع نظر المدارس التي فوض اليه التدريس بها ، وبعد عزله سنة 786هـ/ 1384م ، نظرها مع بقية المدارس الرسولية سراج الدين عبد اللطيف بن محمد الزبيدي(ت800هـ/1397م)[3].

والجدير بالذكر ان ابن حجر العسقلاني حين حج سنة (840 هـ / 1421 م) ، اقام بهذه المدرسة ، حيث انزله بها قاضي مكة المحب بن ظهيرة ، وسمع بها على زين الدين عبد الرحمن بن محمد طولبغا السيفي[4]، ثم اهمل التدريس بهذه المدرسة وتحولت من مركز علمي الى دار للسلطنة [5]، ثم صارت الى بدر الدين بن عباد الله الرومي وجعلها وقفاً [6].

5. مدرسة الشريف عجلان :

انشأها الشريف عجلان بن رميثة بن ابي نمى في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام مقابلة لمدرسة الملك المجاهد ، وذلك في سنة (772 هـ / 1370 م) [7].

---

(1)الفاسي ، شفاء الغرام ، ج1 ، ص328.

(2)هو احد اعيان مكة ، كان وزيراً للشريف ثقبة بن رميثة صاحب مكة ، ثم للشريف احمد بن عجلان ، من حين ولادته سنة (762 هـ / 1360 م) حتى وفاته ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص44 ـ 45 .

(3)ابن حجر ، انباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ، المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ج1 ، ص296.

(4)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج4 ، ص132.

(5)العز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم شلتوت ، ط1 ، مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ، 1409هـ / 1988م ، ج1 ، ص591 ـ 592.

(6)الصباغ ، محمد بن احمد بن سالم بن محمد (ت 1321هـ/ 1903م) ، تحصيل المرام في اخبار البيت الحرام والمشاعر الحرام ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ص189.

(7)العز بن فهد ، غاية المرام ، ج2 ، ص153- 154.



6. مدرسة الشريف جار الله:

انشأها الشريف جار الله بن حمزة بن راجح بن ابي نمى في الدار المعروفة بدار العجلة شمال المسجد الحرام سنة (789 هـ / 1387 م) ، وهي ملاصقة للمسجد الحرام ، وقد فتح لها في جدار المسجد باباً وستة شبابيك(1)

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص405ـ 406.



7. مدرسة الفيروز ابادي : .

عندما زار الفيروز ابادي مكة سنة (802 هـ / 1399 م) ، وهو احد المقربين من الملك الافضل ، جعل داره التي انشأها على الصفا مدرسة للملك الأشرف ، وذلك سنة (803 هـ / 1400 م) ، وقرر بها طلبة وثلاثة مدرسين في الحديث ، وفي فقه مالك والشافعي ، وزار المدينة وقرر بها مثل ما قرره بمكة ، ثم عاد الى اليمن لقصد الاشرف ، فمات الاشرف قبل وصوله اليها ، فأعرض عما قرره[1].

(1)السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص85 ـ 86.

المبحث الثالث : النظام التعليمي لعلماء المغرب الاسلامي والحجاز

اولاً : مراحل التعليم .

لقد كان الصبيان يقضون طفولتهم في حفظ القران الكريم واتقانه مدة معينة ، حتى اذا ما تمكنوا منه انتقلوا الى طلب الحديث وكتابته ، اما قبل حفظ القران الكريم ، فقد وجدنا من يمنع ذلك ، فابن غياث لما ذهب الى الاعمش وطلب منه ان يحدثه ، سأله : " اتحفظ القران ؟ فأجابه قائلاً : لا ، فقال الاعمش : اذهب فاحفظ القران ، ثم هلم احدثك ، قال ابن غياث : فذهبت ، فحفظت القران ثم جئته فاستقراني فقرأته ، فحدثني " (1).

اما فيها يتعلق بالسن التي يبدأ فيها الطالب طلب الحديث فقد سار كل اهل البلد على نهج بحيث يحققون الاهداف المتوخاة من تمرس الفرد بأسلوب التشييع القرآني ، وخبرته بأحوال الناس ، والتعبد : فمنهم متشدد اخر سن طلب الحديث ، ومنهم متساهل قدم سن تحمله وفي ذلك ، قال موسى بن هارون "اهل البصرة يكتبون لعشر سنين واهل الكوفة لعشرين ، واهل الشام لثلاثين " (2).

والسن الذي يلحق بها الصبي في الحجاز فهي كما يبدو مبكرة ، وهي ترتبط بمدى ادراك الصبي وتميزه ، والراجح انها لم تكن محددة بسن معينة ، فهي بين السنة الخامسة والسنة السابعة والحديث عن النبي (ﷺ) انه رغب ولاة الامور بتعليم اولادهم الصلاة وهم ابناء سبع فقال (ﷺ) " مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع " (3) وعلى الارجح ان المرحلة الاولى هي مرحلة الصبا تبدأ من سن السابعة

---

(1)الرامهرمزي ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (ت360هـ / 970م) ، المحدث الفاصل بين الراوي والداعي ، تحقيق : محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، 1971م ، ص203.
(2)المصدر نفسه ، 187.
(3)ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ / 888 م) ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ج1 ، ص133.

وكانت تستمر ثلاث او اربع سنوات وكان التعليم يتم بالكتاب وكان هناك من درس وهو صغير اي اقل من سبع سنوات مثل زيد بن ثابت فقد راه عبد الله بن مسعود في الكتاب وكانت له ذوابة [1] وممن اخذ العلم ايضاً وهو صغير الحسن بن علي (عليه السلام) و عبد الله بن عباس وسهل بن سعد السعدي والنعمان بن بشير [2].

وفي مرحلة الكتاب يتعلم فيها المتعلمون الحروف الهجائية ومبادئ الخط وقراءة القرآن وحفظ السور القصيرة ومبادئ النحو والصرف والحساب وحفظ بعض الشعر، والغاية من هذه المواد تنمية القدرة على الحفظ عند المتعلمين حتى يستطيع حفظ السور القرآنية ، وكذلك التركيز على اجادة الخط ؛ لأنه ضروري لنسخ بعض السور القرآنية ؛ لان تعليمهم كان يتم عن طريق الاملاء[3]. اما المرحلة الثانية فكانت فترة قد تمتد عشرين سنة فيقول ابي الاحوص : " كان الرجل يتعبد عشرين سنة ثم يكتب الحديث "[4].

ثانياً :. آداب التعليم :.

كان المحدث او الفقيه او العالم وحتى المعلم لما يعزم الذهاب الى المجلس يتطهر ويتطيب وذلك تعظيماً لدراسة القران والحديث ، وقد اورد السمعاني مجموعة

---

(1)ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد البغدادي (ت241هـ/ 855م) ، مسند احمد بن حنبل ، دار الحديث ، القاهرة ، ج1 ، ص389.

(2)الخطيب البغدادي ، احمد بن علي (ت463هـ/ 1070م) ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق: احمد عمر هاشم ، ط1 ، مطبعة دار الكتاب العربي ، 1405هـ ، ص55 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر (ت 911هـ/1505م) ، تدريب الراوي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1963م ، ج2 ، ص5.

(3)العمايرة ، محمد حسن ، الفكر التربوي في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، 1990م ، ص127.

(4)الرامهرمزي ، المحدث الفاصل ، ص187.

من الاعمال التي يقوم بها الفقيه او المحدث قبل ذهابه الى المجلس منها استعمال السواك وتقليم اظافره ثم يأخذ من شاربه ويسكن شعث رأسه ، حتى يبدو في هيئة مقبولة ويفضل استعمال البيض من الثياب لأنها علامة الطهر ويكور العمامة لأنها تيجان العرب و يسرح لحيته بالمشط ، ويستعمل الطيب ان توافر لديه[1]

كان من صفات العلماء الالتزام بالتوجيهات النبوية وهكذا نجد قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي (ﷺ) إلّا على وضوء ولا يحدث إلّا على طهارة وكان مالك والليث بن سعد لا يكتبان الحديث إلّا وهما طاهران[2].

ولعل ماحكاه مطرف يبرز لنا بجلاء مدى تعظيم العلماء لحديث رسول الله (ﷺ) " فقد كان اذا اتى الناس مالكاً خرجت اليهم الجارية ، فتقول لهم لكم الشيخ : تريدون الحديث او المسائل ، فأن قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصته ، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يتبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله (ﷺ) " [3] وعندما يخرج من منزله متوجهاً الى المجلس ، يدعو بدعاء صحيح ، وهو في طريقه يقتصد من مشيه ، فيسير في وقار وسكينة[4].

وهناك انموذج من مجالس العلم في الحجاز هو مجلس مالك بن انس اذ ذكر ابن فرحون: " قال الواقدي وغيره : كان مجلسه مجلس وقار وحلم وكان رجلاً مهيباً نبيلاً .... اذا سئل عن شيء فأجاب سائله ... وكان الغرباء يسألونه عن الحديث

---

(1)ادب الاملاء ، ص28، 31.

(2)القاضي عياض ، الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق : عبده علي كوشك ، جائزة دبي الدولية للقران الكريم ، ط1 ، 1434هـ / 2013م ، ج2 ، ص102 ـ 103.

(3)ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج1 ، ص 174.

(4)ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت733هـ / 993م) ، تذكرة السامع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص31.

والحديثين ، فيجيبهم الفئة بعد الفئة ، وربما اذن لبعضهم فقرأ عليه ... وكان له كاتب قد نسخ كتبه يقال له (حبيب) يقرأ للجماعة ، فليس احد ممن حضر يدنو منه ، ولا ينظر في كتابه ، ولا يستفهمه ، هيبة واجلالاً .... وكان كالسلطان ، له حاجب يأذن عليه فاذا اجتمع الناس بباب ، امر اذنه فدعاهم ، فحضر اولاً اصحابه ، فاذا فرغ من يحضر اذن للعامة ، وهذا هو المشهور من سماع اصحاب مالك ، انهم كانوا يقرأون عليه ، الا يحيى بن بكير ، ذكر انه سمع الموطأ من مالك اربع عشر مرة ، وزعم ان اكثرها بقراءة مالك، وبعضها بالقراءة عليه وعوتب مالك ف تقديمه اصحابه فقال : اصحاب جيران رسول الله (ﷺ) ، قال حبيب : وكان اذا جلس جلسة لم يتحول عنها حتى يقوم "[1].

حيث كانت هناك ايضاً مجالس املاء وتعد هذه المجالس على درجات الرواية ، لما فيه من ضبط الحروف والكلمات في الكتب وقد عقدت مجالس الاملاء منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) حيث كان يملي كتبه على الكتاب وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفته الصادقة بين يديه [2].

وكانت الكتب التي تكتب بين يديه(ﷺ) ، تقرأ عليه ليقومها سواء كان وحياً ام حديثاً، ام رسالة من ذلك ، ما روى عن زيد بن ثابت انه قال : " كنت اكتب الوحي عند رسول الله (ﷺ) وهو يملي علي ، فاذا فرغت قال : اقرأ فأقرأ ، فأن كان فيه سقط اقامه " [3] وعن هبيرة بن عبد الرحمن عن ابيه او عن رجل قال : " كنا اذا

---

(1)ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (ت 799 هـ / 1396م) ، الديباج المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص22ـ23

(2)ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت413هـ / 1070م) ، جامع بيان العلم ، تحقيق : ابو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي . الدمام ، ط1، ج1 ، ص71 ؛ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، تحقيق : سعد عبد الغفار علي ، دار الاستقامة ، ط1 ، ص74 .

(3)السمعاني ، ادب الاملاء ، ص77.

اتينا انس بن مالك وكثرنا عليه ، اخرج الينا مجال من كتب ، فقال : هذه كتب سمعتها من رسول الله (ﷺ) وقرأناها عليه " [1].

وقد عقد بعض الصحابة مجالس الاملاء ، منهم واثبة بن الاسقع فعن معروف الخياط قال : " رأيت واثبة بن الاسقع يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه " [2].

وقد كان ابن عباس يأتي ابا رافع فيقول : " ما صنع رسول الله (ﷺ) يوم كذا ؟ ما صنع رسول الله (ﷺ) يوم كذا ؟ ومع ابن عباس الواح يكتب فيها " [3].

كما عقدها من جاء بعدهم ، امثال شعبة بن الحجاج ، ووكيع بن الجراح ، فكيف كانوا يعقدون هذه المجالس ففي الطليعة نجد نفس المقدمات التي يمر بها المحدث ، حال التحديث من تسليم على الحاضرين وصلاة وجلوس الى السارية اذا كان في المسجد ، وحرص ان يكون ظاهراً للطلاب ، فيقعد على مرتفع ، ويفتتح بقراءة شخص حسن الصوت سورة من القران او ما تيسر منها بعد ذلك يستنصت هو او نقيبه الناس ثم يبدأ في املاء الاحاديث على الملأ ، بعد البسملة والحمد له ، والدعاء ، والترحم على الشيوخ ، ثم يختتم المجلس بحكايات ونوادر ففي البرقي قال : " الحكايات حيوب تصطاد بها القلوب" [4].

واكتفاء المحدث بأملائه دون مساعدة على تبليغ كلامه انما هو في حالة ما اذا كان الحاضرون معدودين ، فيستطيع ان يسمع صوته من هو في اخر الحلقة ، لكن لما اتسعت مجالس الاملاء ، وتدفق الطلبة على الحلقات العلمية من كل حدب

---

(1)الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص95.

(2)السمعاني ، ادب الاملاء ، ص13 ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ / 1990م ، ج3 ، ص386.

(3)الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص91-92.

(4)السمعاني ، ادب الاملاء ، ص70.

وصوب احتاج المملي الى من يعينه على التبليغ ، وهو ما يطلق عليه اسم المستملي ، مثل يحيى بن راشد ، محمد بن ابان ، والربيع بن سليمان المرادي ، وعبد الوهاب بن عطاء وغيرهم كثير (1).

لقد تنوعت طرائق التدريس واساليبه في الحجاز كما في سائر انحاء الدولة العربية الاسلامية ، ويمكننا القول انها بدأت بداية بسيطة ، ثم تنوعت وتطورت في وسائلها و اساليبها بمرور الزمن وهي تدور منذ نشأتها غالياً حول الحديث النبوي الشريف ثم اتسعت لتشمل علوماً اخرى واهم هذه الطرائق هي : السماع ، العرض، الاملاء ، الاجازة ، المناولة ، الكتابة وغيرها (2).

ثالثا .: طرق واساليب التعليم .:

إنَّ جل اهتمام العلماء والدارسين في طلب العلم البحث عن مصادر العلوم المختلفة وربما يكون ذلك كلاً حسب اختصاصه وفي هذا الصدد منهم يبحثون عن اكمال علومهم وليس التعرف على علوم جديدة ويذكر ابن خلدون عن ذلك بقوله " بأن الرحلة لا بد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " (3).

لقد تنوعت طرائق التدريس وأساليبه في الحجاز كما في سائر ارجاء الدولة العربية الاسلامية ، ويمكننا القول انها بدأت بداية بسيطة ، ثم تطورت وتنوعت في

---

(1)السمعاني ، ادب الاملاء ، ص86 ـ 87.

(2)السيوطي ، ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص6.

(3)ابن خلدون ، المقدمة ، ص606.

وسائلها واساليبها بمرور الزمن وهي تدور منذ نشأتها غالباً حول الحديث النبوي الشريف ثم اتسعت لتشمل علوماً اخرى واهم هذه الطرق هي:

1. السماع او (الاسماع) .:

يقصد بها المشافهة والسماع المباشر من العالم اي ان يسمع المتحمل لفظ شيخه " سواء من حفظه او القراءة من كتابه وهو ارفع درجات انواع الرواية عنه الاكثرين "[1].

لقد كان العمل بطريقة المشافهة في التعليم قديماً منذ عهد النبي (ﷺ) حيث كان الاعتماد على الكتب محدوداً جداً ، وفي عهد الصحابة وما بعده ظل الاعتماد على هذا الاسلوب على نطاق واسع ، بل ان بعضهم عده من السُنَّة ، فقد قال ابو سعيد الخدري " لا نكتبكم ولا نجعلها مصاحف ، وكان رسول الله (ﷺ) يحدثنا فنحفظ فأحفظوا كما حفظنا نحن عن نبيكم " [2].

وفي حال السماع من العالم (الشيخ) يمكن لسامع (الطالب) ان ينقل كلام شيخه بألفاظ مخصوصة اتفق عليها اهل العلم ، يقول القاضي عياض : " لا خلاف بين احد من الفقهاء والمحدثين والاصوليين بجواز اطلاق حدثنا ، واخبرنا ، واتيانا او واتانا ، واتينا ، وابنانا او وانبأنا ، وخبرنا ، فيما سمع من قول المحدث ولفظه وقراءته واملائه "[3]

ويفصل ابن وهب احد تلاميذه مالك ، مدلولات الفاظ السماع بقوله : انما هي اربعة : اذا قلت (حدثني) فهو ما سمعته من العالم وحدي ، واذا قلت (حدثنا) فهو ما

---

(1)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص8.

(2)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص38.

(3)الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق : احمد صقر ، القاهرة ، 1389م ، ص122 ؛ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص284

سمعته مع الجماعة ، واذا قلت (اخبرني) فهو ما قرأت على المحدث ، واذا (قلت اخبرنا) فهو ما قرئ على المحدث وانا اسمع[1].

2. طريقة العرض او القراءة على العالم :.

هي قراءة التلميذ على الشيخ فهي مستمدة من لفظها ، وقد تكون قراءة التلميذ على الشيخ حفظاً من قلبه او من كتاب ينظر فيه وسواء كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه او يمسك اصله ، وقد يقرأ واحد ويَسْمَعُ الاخرون ، وتسمى القراءة عرضاً لان القارئ يعرض ما قرأوه على الشيخ ، حيث اختلف في مساواة القراءة للسماع او لكونها ارجح منه ، فأما اهل الحجاز واهل الكوفة وغيرهم فأنهم يرون التسوية بينهما ، وهو مذهب مالك واصحابه واشياخه من اهل المدينة وعلمائها ويحيى القطان وابن عينة والزهري[2].

والقراءة على العالم تزيد العلم وثوقاً وتوكيداً ، فيروي عن محمد بن عبد الله الاسحاقي قوله : " رأيت موسى بن عقبة في مسجد رسول الله (ﷺ) دخل الروضة حتى جلس الى عبيد الله بن عمر بن حفص العمري ، فتتبعته حتى جلست معه فقال له : عبيد الله يغفر الله لك لم تغيبت الى لو ارسلت الي لجئتك في منزلك ، قال : انه بلغني انك تحدث عن نافع احاديث لنافع فقرأها عبيد الله بن عمر " [3].

3. طريقة الاجازة:

الاجازة في كلام العرب مأخوذة من جواز الماء يقال : استجرت فلاناً فأجازني اذا سقاك ماء لأرضاك لماشيتك كذلك طالب العلم يسأل العالم ان يجيزه علمه فيجيزه ابوه ، والطالب مستجيز ، والعالم مجيز [4].

---

(1)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص294.

(2)القاضي عياض ، الالماع ، ص70ـ71 ، السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص2

(3)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الراوية ، ص276.

(4)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الراوية ، ص312.

فهي عبارة عن اذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته او مؤلفاته ، ولو لم يسمعها منه او لم يقرأها عليه ويقول القاضي عياض عنها : " هي اما مشافهة او اذناُ باللفظ مع المغيب او يكتب له ذلك بخطه بحضرته او مغيبة "[1].وقد روى عن عبدالله بن عمر بن حفص قال : " اشهد على ابن شهاب انه كان يؤتي بالكتاب من كتبه فيتصفحه وينظر فيه ثم يقول : هذا حديثي اعرفه خذه عني " [2].

وفي رواية عن سفيان بن عيينة قال : " رأيت رجلاً جاء الى ابن شهاب بكتاب فيه احاديث فقال له : احدث بهذا عنك ؟ فقال له ابن شهاب نعم ، ولم يقرأه عليه "[3].

وهناك اجازات من علماء المغرب العربي الى علماء وطلبة الحجاز منها من احمد بن عبد القوي المغربي الاصل اجاز الى ابي بكر من علي بن ابي بكر المكي ولد قبل 790هـ حيث اجاز له سنة 805هـ [4]. ويتصل في هذا الامر ايضاً اجازة احمد بن صالح بن خلاصة شهاب الدين الزواوي (ت855هـ) الى شمس الدين ابي الخير بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ) بالمدينة المنورة في علم الحديث [5].

وغالباً ما كانت الاجازة تعطى بعد السماع والقراءة ، فقد اعطيت اجازة للمحيوي عبد القادر بن ابي القسم المالكي قاضي مكة من قبل محمد بن موسى الغماري وهو من اهل المغرب المتوفي بعد سنة (832هـ) وذلك بعد ان جلس في درسه قراءة

---

(1)الالماع ، ص88
(2)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الراوية ، ص318.
(3)المصدر نفسه ، ص3.
(4)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص102.
(5)السخاوي ، التحفة اللطيفة ج2 ، ص255- 256.

وسماعاً ، وقد اذن له بتدريس كتب المذهب المالكي وكان تاريخ الاجازة سنة (832هـ) [1].

4. المناولة :

المناولة من ناولته اذا اعطيته [2] قال الخطيب البغدادي : " وقد كان غير واحد من السلف يقول في المناولة : اعطاني فلان او دفع الى كتابه ، وشبيهاً بهذا القول وهو الذي نستحسنه " [3].

فالمناولة تعني ان يعطي الشيخ تلميذه كتاباً او حديثاً مكتوباً ليقوم بأدائه وروايته عنه ، واعلى صورها ان تكون مقرونة بالإجازة ، اي يدفع الشيخ الى الطالب الاصل ويقول : اجزت لك روايته عني او مَلَّكتك إياه واجزتك روايته [4].

وقد عُرِفَت هذه الطريقة عند اهل الحجاز فعملوا بها بصورة مختلفة ، من ذلك ما رواه أنس بن عياض قال : " سمعت عبيد الله بن عمر العمري يقول : كنا نأتي الزهري بالكتاب من حديثه فنقول له : يا ابا بكر هذا من حديثك فيأخذه فينظر فيه ثم يرده الينا ويقول : نعم هو من حديثي ، قال عبيد الله فيأخذه ما قرأه علينا ولا ستجزناه " [5].

وممن عد المناولة كالسماع في القوة ، نذكر منهم الزهري ، وربيعه الرأي ، ويحيى بن سعيد الانصاري ومالك [6].

5. الوجادة :

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص375ـ 376.
(2)ابن منظور ، لسان العرب ، 98.
(3)الكفاية في علم الرواية ، ص330.
(4)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص45.
(5)القاضي عياض ، الالماع ، ص113ـ 114.
(6)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص46.

وهي مصدر لوجد وتعني اخذ العلم من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة ، فطالب العلم الذي يجدها عندئذ الحق في ان يقول : " وجدت او قرأت بخط فلان او قرأت بخط فلان عن فلان " (1).

وقد تستعمل الوجادة مع الاجازة ، فيقال : " وجدت بخط فلان ، واجازه لي " (2) واستدل بعض بجواز العمل بالوجادة بحديث الرسول (ﷺ) وقد سأل اصحابه اي الخلق اعجب ايماناً ؟ فذكروا الملائكة والنبيين وذكروا انفسهم ولكن رسول الله (ﷺ) قال : الا ان اعجب الخلق لي ايماناً لقوم يكونون من بعدكم ، يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها (3).

عرفت هذه الطريقة عند مشاهير علماء الحجاز ، فقد روي عن نافع عن ابن عمر انه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صحيفة فيها : " ليس فيما دون خمس من الابل صدقة فاذا كانت خمساً ففيها شاه ، وفي عشرة شاتان ، وفي خمسة عشر ثلاث شياه ... " (4) وذكر الحديث بطوله ، فكان عبد الله بن عمر يحدث بها.

بها.

6. الاملاء :

أنْ يتحدث الشيخ أو العالم في مجلسه فيقوم الطالب بتدوين وكتابة العلم في دفتره الخاص وعلى الاستاذ في هذه الحالة ان يضبط كل كلمة يقولها لكي يقوم الطالب بتقييد ما يسمع (5).

---

(1)المصدر نفسه ، ص61-62.

(2)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص62.

(3)ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ ، ج1 ، ص41.

(4)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص344.

(5) طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، ص159.

وقد أُثِرت هذه الطريقة عند اهل الحجاز منذ عهد الرسول (ﷺ) فقد دون عبد الله بن عمرو صحيفته المعروفة بالصادقة عن الرسول مباشرة وهو القائل : " هذه الصادقة ، هذه ما سمعت من رسول الله ليس بيني وبينه حد " [1] ومن عهد التابعين أمثلة على وجود التدوين عن العلماء على طريقة الإملاء فعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : " كنت انطلق أنا و محمد بن علي أبو جعفر ومحمد بن الحنفية الى جابر بن عبد الله فنسأله عن سنن رسول الله وعن صلاته فنكتب عنه " [2] وروى عن يحيى بن سعيد ، ان عبد الرحمن بن مرحلة قال : " كنت لا احفظ فرخص لي سعيد بن المسيب في الكتاب "[3].

وكانت مجالس الاملاء تشمل اكثر من علم ، ابرزها واهمها علم الحديث النبوي والفقه والمغازي ، فقد ذكر عن الامام مالك انه " كان يسأل عن المغازي الضحاك بن عثمان وابن كنانة ، ثم يحدث عنهما في مجلس ، فيبتدئ الناس يكتبونها عنه "[4].

7. الكتابة او المكاتبة :

وهي من الاساليب التي عرفت بالمدينة وتعني " ان يكتب الشيخ بخطه او يكلف غيره بأن يكتب عنه حديثه لشخص حاضر بين يديه يتلقى العلم عليه ، او لشخص غائب عنه ترسل الكتابة اليه ، واصحها ما كان مقروناً بالإجازة " [5] فهي كتابة الشيخ او من يكلفه للغائب او الحاضر ، وعرف عن اهل الحجاز العمل بطريقة اجازة العلم مكاتبة للغائب فهذا يحيى بن سعيد الخدري الانصاري (ت 143هـ

(1)الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص24 .
(2)الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص104.
(3)ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج1 ، ص73 .
(4)القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص28.
(5)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج2 ، ص55.

) يكتب الى الليث بن سعيد (ت 175هـ) في مصر فيقول الليث : حدثني يحيى بن سعيد ، وكان هشام بن عروة يكتب اليه فيقول حدثني هشام[1].

8. الاعلام :

هو ان يعلم الشيخ تلميذه ، ان هذا الحديث او هذا الكتاب سماعه من فلان ، او اخذ عن فلان ، ونحو ذلك من غير ان يصرح بإجازته له في روايته عنه[2].

فقد سوغ الرواية بمجرد ذلك اكثر اهل العلم ، وعدوا هذا الاعلام متضمناً اجازة الشيخ بالرواية ، ورأوا ان ثقة الشيخ وامانته تمنعه من ان يدعي السماع ما لم يسمع واعلام تلميذه بسماعه يدل على رضائه عن تحمل هذا السماع وادائه ، وهذا مذهب ابن جريح المكي[3].

9. الوصية :

هي ان يوصي الشيخ قبل سفره ، او قبل موته لشخص بكتاب من مروياته ، بروايته عنه [4] وهذا ما حدث لابي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي اذ اوصى بكتبه لأيوب السختياني قال حماد بن زيد : " مات ابو قلابة بالشام ، فأوصى بكتبه لأيوب ، فأرسل ايوب فجيء بها عدل راحلة ، قال ايوب : فلما جاءتني قلت لمحمد بن

(1)الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص344

(2)ابن كثير ، اختصار علوم الحديث ، تحقيق : ماهر ياسين الفحل ، ط1 ، الميمان للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1434هـ / 2013م ، ص126 ؛ السيوطي ، تدريب الراوي ، ص272.

(3)النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف الحزامي (ت676هـ/ 1277م) ، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، تحقيق : عرفات العشا حسون ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م ، ص272.

(4)ابن كثير ، اختصار علوم الحديث ، ص126.

سيرين : جاءتني كتب ابي قلابة فأحدث منها قال : نعم " [1] وصيغ الاداء في هذا الطريق هي (اوصي لي فلان) و (حدثني بالوصية) و (اخبرني بالوصية) [2].

---

(1)القاضي عياض ، الالماع ، ص116.

(2)السيوطي ، تدريب الراوي ، ص272.

الفصل الثالث

اثر التبادل الثقافي بين المغرب الاسلامي والحجاز في علوم القران الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه .

- المبحث الاول : علوم القران الكريم
  - اولاً :ـ علم القراءات
  - ثانياً :ـ علم التفسير
- المبحث الثاني : علوم الحديث النبوي الشريف
- المبحث الثالث : علوم الفقه

المبحث الاول : علوم القران الكريم

برز النشاط الفكري منذ ان نزل القران الكريم على النبي (ﷺ)، فكان نزول القران قد اقترن به النشاط الفكري في المجتمع الاسلامي ، حيث تعاهده المسلمون حفظاً ودراسة وتطبيقاً ، وكان من نتائج النشاط والاهتمام في القران الكريم نشأت علوم لها صلة وثيقة بالقران الكريم ، وقد كان لفقهاء الحجاز دور مهم في بلورة واستنباط وتهذيب تلك العلوم ، لانهم يعدون اللبنة الاولى في ترسيخ مبادئ الدين الاسلامي الحنيف [1] ، وهذه العلوم هي :

1ـ علم اسباب النزول

السبب لغة : يعني الحبل ، وكل شيء يتوصل به الى غيره [2]. اما اصطلاحه : فقد قال عنه السيوطي : " هو الحادث الذي من اجله نزلت اية او اكثر مجيبة عنه ، او حاكية له او مبينه حكمه " [3]، اذ كان القران الكريم ينزل نجوماً على رسول الله (ﷺ) وفي مدد متفاوتة ولمناسبات شتى ، فقد كانت الايات تنزل معالجة لبعض الاحداث والمناسبات او توضيحها ، حيث اطلق عليها اسم اسباب النزول [4]

اي تعلق نزول الاية مع حادثة معينة فهو من العلوم الدينية المهمة ، وليست كل ايات القران نزلت لحادثة معينة او مناسبة ، وانما كان بعضها ينزل لتشريع الاحكام او ذكر القصص وغيرها .

---

(1)سمير صالح حسن ، الحياة الفكرية في مكة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1996م ، ص53

(2)ابن منظور ، لسان العرب ، مج3 ، ص10

(3)السيوطي ، لباب النقول في اسباب النزول ، تحقيق : احمد عبد الشافي ، ط1 ، دار احياء العلوم ، بيروت ، 1998 م ، ص7

(4)شيماء مبدر ، العلوم الدينية وتطورها الفكري في الحجاز والعراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، بغداد، 2003 ، ص137ـ 138

ان معرفة اسباب النزول له فوائد كثيرة واهمية عظيمة ، فهي تساعد على فهم القران الكريم ومعرفة احكامه ، قال الواحدي : " لايمكن معرفة تفسير الاية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها " [1] في حين يرى ابن تيمية :" ان معرفة سبب النزول يعين على فهم الاية فأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب " [2]، وقال الشاطبي :" ان معرفة اسباب النزول لازمة لمن اراد التبحر في علوم القران ، ومعرفة الاسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب " [3]

ومن خلال معرفة اسباب النزول نستطيع التعرف على مدلول الاية ومفهومها ووجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، ولم يكن رسول الله (ﷺ) يمتلك اختيار الوقت الذي تنزل فيه ايات القران الكريم فذلك امر مرتبط بمشيئة الله تعالى ، وما على الرسول الا البلاغ ، اذ كان القران الكريم ينزل على الرسول (ﷺ) في الليل او النهار ، قائماً او قاعداً ، ماشياً او راكباً .

حيث كان الرسول (ﷺ) يُسل من قبل المسلمين او من غيرهم ، فربما اجاب من فوره ، لانه يمتلك في ذلك علماً مسبقاً كما جاء ذلك في قوله تعالى : { علمه شديد القوى}[4] وؤبما انتظر النبي (ﷺ) نزول اية او اكثر مبينة الجواب او كاشفة الحكم [5] كما في قوله تعالى : { يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند

---

(1)الواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد (ت 468هـ/1075م) ، اسباب النزول ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، 1968م ، ص3

(2)ابن تيمية ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت 728هـ/ 1328م) ، مقدمة في اصول التفسير ، تحقيق : عدنان زرزور ، دار القلم ، بيروت ، 1991م ، ص60

(3)الشاطبي ، ابراهيم بن موسى بن محمد (ت 790هـ/ 1388م) ، الموافقات في اصول الشريعة ، د. ت ، ج2 ، ص201

(4)سورة النجم ، اية 5

(5)غانم قدوري ، محاضرات في علوم القران ، دار الكتاب للطباعة ، بغداد 1981 م ، ص210

ربي}[1] ومن فقهاء الحجاز ممن اشتهر بعلم اسباب النزول بعد النبي (ﷺ) الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) اذ قال في هذا الصدد : " والله لم تنزل اية الا وانا اعلم فيما نزلت وفيمن نزلت واين نزلت " [2] وقال (عليه السلام) ذات يوم وهو يخطب : " سلوني فو الله لا تسألون عن شيئ الا اخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من اية الا وانا اعلم بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل " [3] ومن الصحابة الذين تميزوا بعلمهم بأسباب النزول الصحابي عبد الله بن عباس اذ اسهم مساهمة كبيرة في هذا الجانب [4] ومن فقهاء الحجاز الذين اشتهروا من التابعين بعلم اسباب النزول عروة ابن الزبير ، عكرمة مولى عبد الله عباس وعمرو بن دينار ومجاهد بن جبر الذي كانت له دراية واسعة بعلم اسباب النزول على حد قول الواحدي [5]

، وروية عن مجاهد انه قال : " عرضت القران ثلاث عرضات على ابن عباس اقف عند كل اية اساله فيما نزلت وكيف كانت " [6]

اذ ان من الضروري ان يلم فقهاء الحجاز بعلم اسباب النزول لانه يعد من مكملات اتقانه والمامه بعلم التفسير الذي يقتضيه عملهم في تفسير ايات القران الكريم .

---

(1)سورة الاعراف ، اية 187

(2)المجلسي ، محمد باقر (ت 1111هـ/ 1699م) ، بحار الانوار ، ط3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1983م ، ج42 ، ص149

(3)السفلي ، ابو عبد الرحمن احمد بن بكر (ت 870 هـ / 1387 م) ، ايضاح اسباب النزول ، دار السنة ، السعودية ، د.ت ، ص78

(4)الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج4 ، ص450

(5)اسباب النزول ، ص104

(6)الترمذي ، سن الترمذي ، ج5 ، ص200

2ـ علم الناسخ والمنسوخ :

النسخ لغة : جاء النسخ في اللغة بمعنيين الاول : الازالة مثل نسخت الشمس الظل اي ازالته ، اما المعنى الثاني : يقصد منه النقل مثل نسخت الكتاب اي نقلته او نقلت ما فيه [1]كما في قوله تعالى : { انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون } [2]اي نأمر بنسخه واثباته [3] وفي هذا الشأن قال ابن فارس : " هو رفع شيئ واثبات غيره مكانه " [4]ويأتي النسخ بمعنى ازالة الشيء واعدامه من غير ان يقوم شيء اخر مقامه ، كقولهم نسخت الريح اثار الاقدام ، اي اتت عليها وازالتها [5] وفي هذا المعنى كما في قوله تعالى : { فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم } [6]

وقال الفراهيدي : " ان المقصود بالنسخ هو ازالتك امراً كان يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره ، كلأيه تنزل في امر ما ثم تنسخ بأخرى فالاولى منسوخة والثانية ناسخة " [7]

---

(1)ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ/ 1063م) ، الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : عبد الغفار سليمان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986م ، ص7

(2)سورة الجاثية ، اية 29

(3)ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج7 ، ص271

(4)ابن فارس ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ/ 1004م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : زهير عبد المحسن ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، 1986م ، ج5 ، ص424

(5)ابن منظور ، لسان العرب ، ص407

(6)سورة الحج ، اية 52

(7)الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت 170هـ / 786م) ، كتاب العين ، تحقيق تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م ، ج1 ، ص215

اما النسخ اصطلاحاً : يعرف على انه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي اخر ، اي ازالته فيما يتعلق بأفعال المكلفين [1]جاءت كلمة النسخ في القران الكريم مرة اخرى بقوله تعالى : { ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها } [2] وذلك ان المشتركين قالوا ان محمداً(ﷺ) يأمر اصحابه بأمر ثم ما يلبث ان ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف مايقول ، الا من تلقاء نفسه [3] وقد جاء ذلك في قوله تعالى : {واذا {واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفترٍ بل اكثرهم لا يعلمون }[4]

وقد برع فقهاء الحجاز فيما نسخ من ايات القران الكريم لانهم اقرب الناس عهداً برسول الله (ﷺ) وكان عبد الله بن عباس من ابرزهم في هذا الميدان ، اذ كان يقول في قوله تعالى : { مانن‍سخ من اية } [5] اي مانثبت خطها ونبدل حكمها وهو قول سعيد بن جبير ايضاً [6] كما في قوله تعالى : {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم فثم وجه الله ان الله واسع عليم }[7]

وقد يأتي النسخ عن الاوامر والنواهي اي مايخص الاحكام الشرعية ، ولا يتعداه الى الحوادث والاخبار الماضية [8] اذ لم تنسخ الايات الخاصة بقصص الانبياء او اخبار الامم السابقة ، لانها احداث قد وقعت وفصلها القران العظيم احسن تفصيل

---

(1)النحاس ، ابو جعفر محمد بن احمد بن اسماعيل (ت328هـ/ 939م) ، الناسخ والمنسوخ ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1905م ، ص7

(2)سورة البقرة ، اية 106

(3)القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت 671هـ/ 1272م) ، الجامع لاحكام القران ، تحقيق : هاشم سمير ، عالم الكتب ، السعودية ، 2003 م ، ج10 ، ص176

(4)سورة النحل ، اية 101ــ 104

(5)سورة البقرة ، اية 106

(6)ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج1 ، ص377

(7)سورة البقرة ، اية 115

(8)النحاس ، الناسخ والمنسوخ ، ص285

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى جودة ذلك الالقاء في قوله تعالى : { نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين }[1] كما لا يقع النسخ في الامور التعبدية التي يبني عليها الايمان مثل توحيد الله تعالى واسماء الله وصفاته الحسنى ، فضلاً عن ماذكره الله من قيام الساعة وبعث الناس وحسابهم ثم الجزاء بالجنة او النار [2] ومما يروى عن فقهاء الحجاز في مجال النسخ في قوله تعالى : { كتب عليكم اذ حضر احدكم الموت ان ترك خير الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين }[3] وقد ذكر ابن كثير : " ان هذه الاية منسوخة اذ اكد ذلك ثلاث من الفقهاء هم ابو موسى الاشعري وعبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب "[4] ، ان الاول والثاني هم من كبار الصحابة وقد يكون سعيد بن المسيب قد روى عنهم وهو من كبار التابعين ، وقد نسخت هذه الاية بعد ذلك بأية الميراث [5]

اما المغاربة فقد ساهموا في تأديب الابناء وتعليمهم القران الكريم وكان للبعض منهم دور كبير في هذا المجال ومنهم : محمد بن ميمون ابو عبد الله الاندلسي ابن الفخار (ت801هـ/ 1398م) ولد ابن الفخار في الجزائر ، وتلقى تعليمه فيها فحفظ القران وتعلم الفقه ، وايضاً تجول في مدن المغرب لطلب العلم ومن العلماء الذين اخذ منهم ابو سعيد العقباني قاضي الجماعة في تلمسان وابو مهدي الغربيني ، وابن عرفة وغيرهم [6] ، حيث دخل مكة لاداء فريضة الحج نحو عام 796هـ/ 1393م ،

---

(1)سورة يوسف ، اية 3

(2)النحاس ، الناسخ والمنسوخ ، ص285

(3)سورة البقرة ، اية 180

(4)تفسير القران العظيم ، ج1 ، ص492

(5)القرطبي ، الجامع لاحكام القران ، ج5 ، ص58

(6)المقريزي ، درر العقود الفريدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ، ط1 ، 1423هـ/2002م ، ص169

، ثم توجه للمدينة المنورة ثم اشتغل بتعليم الابناء ، تميز بتعليم الفقه ، وعرف عنه التقوى والصلاح ، توفي بمكة 801هـ/1398م بعد ان اقام بها عاماً واحداً [1] وكذلك يحيى بن احمد الزندوني (ت830 ـ895هـ/ 1417ـ 1489م) ،ولد يحيى الزندوني في المغرب ، نشأ يتيم الاب ، حفظ القران الكريم ، سافر لاداء فريضة الحج842هـ وكان عنده اثنان وعشرين عاماً ، ثم توجه الى بيت المقدس ومصر ، حيث اقام في الجامع الازهر اكثر من سنة ثم سافر للاراضي المقدسة للحج سنة 845هـ ، وقد التقى به السخاوي في مكة والمدينة [2]

حيث تميز بتلاوة مجودة للقران الكريم ، كان من اهل الصلاح والتقى اثنى عليه اهل المدينة لفضله وصلاحه [3]

لقد كان اقبال طلبة وعلماء المغرب على العلوم الشرعية واسعاً ؛ وذلك بسبب ان سكناها كانت لهم الرغبة في دراسة كل مايتعلق بالدين ، اما اهل الحجاز فكان لهم الماماً كبير بدراسة العلوم الدينية اذ ابرز لنا سليملن عبد الغني مالكي " ان ما يدور في مكة والمدينة من حلقات العلم جلها من علوم دينية مختلفة واهم هذه العلوم الحديث الشريف ، والفقه ، والعلوم الشرعية ، والعلوم العربية ، وعلم القراءات والتفسير و كان لعلم التصوف نصيب قليل من هذه العلوم [4]

---

(1)التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص563

(2)السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص222

(3)المقريزي ، درر العقود ، ج1 ، ص17

(4)التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص463

ومن ابرز مايمكن البحث فيه في مجال علوم القران الكريم هو:

اولاً : علم القراءات .

القراءات لغة : هي جمع قراءة وهي مصدر (قرأ) ومنه قولهم ما قرأت جنياً ، اي لم تضم في رحمها ولداً ، وقرأت الكتاب قرأه ، وقرأناً ، اي جمعته وضممت بعضه الى بعض ، اي جامع للحروف وضام بعضها الى بعض [1]

اما القراءة ا في لاصطلاح : فهي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في الحروف او كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما [2] ، او هي : " النطق بألفاظ القران الكريم كما نطقها النبي (ﷺ) او كما نطقت امامه فأقرها " [3]

ويعد علم القراءات من اقدم العلوم في الاسلام نشأة وعهداً واشرفها منزلة ، فأول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان قراءة القران الكريم وحفظه ، وبعد ان اختلف الناس في قراءة القران الكريم وظبط الفاظه تبعاً للاختلاف وتباين لهجات القبائل العربية ، اصبحت الحاجة ماسة الى علم يميز بين الصح والخطأ ، الى مايسوغ القراءة به وما لا يسوغ ، ووقاية لكلماته من التحريف دفعاً للخلاف بين المسلمين فظهر بذلك علم القراءات [4]

---

(1)الجوهري ، الصحاح ، ج1 ، ص50

(2)السيوطي ، الاتقان في علوم القران ، ج1 ، ص228

(3)الفضلي ، عبد الهادي ، القراءات القرانية ، دار العلم ، بيروت ، 1985م ، ص56

(4)شيماء مبدر ، العلوم الدينية وتطورها الفكري في العراق والحجاز ، اطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2003م ، ص67-68

وقد الفت كتباً في علم القراءات مثل كتاب القراءة ليحيى بن يعمر [1] المتوفي عام 89هـ/ 707م وهو احد تلامذة ابي الاسود الدؤلي [2]، وضم الكتاب الاختلافات التي لوحظت في نسخ القران الكريم المشهورة ، وظل مصدراً يعتمد عليه حتى القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، وكتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لعبد الله بن عامر اليحصبي [3] المتوفي عام 118هـ/736م [4]

وان محاولة ضبط قراءة القران من جهة ، وضبط ايات القران الكريم بغية استعماله كمصدر للتشريع وتصريف الامور واتقان اللغة العربية من جهة اخرى ، كان من اسباب ظهور علم القراءات ونضوجه والتصنيف فيه [5]

ومنذ انتقال الرسول (ﷺ) الى الرفيق الاعلى ، كان قراء الذكر الحكيم يعلمون تلاوته وقراءته في الحرمين المكي والمدني ، ويكتظِ كتاب العقد الثمين بتراجم كثير من القراء في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد حظي هذا العلم بعناية واهتمام كثير من علماء الحجاز ومجاوريه ، فقد كان للقراء والوعاظ بالحرمين الشريفين دور

---

(1)يحيى بن يعمر الفقيه العلامة المقري ، ابو سليمان العدواني البصري ، قاضي مروا ، قرأ القران على ابي الاسود الدؤلي ، وكان من اوعية العلم ، توفي سنة 89هـ/ 707م . ابن سعد ، الطبقات ، ج9 ، ص372

(2)ابو الاسود الدؤلي ، هو ظالم بن عمروا الكناني ، قاضي البصرة ، قرأ القران على الامام علي (عليه السلام) وقاتل معه يوم الجمل ، وقد اخذ عنه اصول العربية ، توفي في الطاعون الجارف سنة 69هـ/ 688م . ابن سعد ، الطبقات ، ج9 ، ص98

(3)عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، مقرئ اهل الشام ، ولد سنة 21هـ /641م ، وقد قرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي ، وكانت وفاته سنة 118هـ/736م . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج9 ، ص271

(4)خليل ادور ، الحياة العامة في الشام في القرنيين الاول والثاني للهجرة ، ط1 ، بيروت ، 1971م ، ص46

(5)فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة : فهمي ابو الفضل الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1979م ، ج8 ، ص147 .

عظيم في الحياة العلمية والثقافة ، واشار الرحالة ابن جبير الى ان تأثير القراء والوعاظ كان عظيماً في سامعيهم في الحرم المكي الشريف وكانت الاسئلة تتهال على الوعاظ الاستفسار والفقه في موسم الحج ، وكانوا يجيبون عليها اجابات سريعة بليغة [1].

وقد احتلت الشاطبية[2] والقراءات السبع[3] والقراءات العشر مكاناً كبيراً عند دارسي هذا العلم ومدرسيه ومن اشهر العلماء المتصدرين لتدريس القراءات في المسجد الحرام ، عبد الله بن عبد الحق المخزومي عفيف الدين الدلاصي (ت 721 هـ / 1321 م) ، الذي اقام بالمسجد الحرام يقرأ القران الكريم بدون اجر لا يريد من ذلك إلاّ ابتغاء وجه الله تعالى ورحمته ، ومن شدة حبه لهذا العلم ربى ولده محمد الملقب بقطب الدين (ت 723 هـ / 1323 م) على حب هذا العلم ، فأسمعه الكثير [4].

---

(1)الرحلة ، ص159 ـ 160.

(2)الشاطبية ، واسمها حرز الاماني ووجه التهاني قصيدة في القراءات السبع ، نظمها الامام الشاطبي ابو محمد القاسم بن فيرة بن خلف (ت 655 هـ / 1257 م) . ابن الجزري ، شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج برجستراسر ، ط2 ، بيروت ، 1980م ، دار الكتب العلمية ، ج2 ، ص20.

(3)القراءات السبع ، تنسب الى نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم ، وعبد الله بن كثير بن المطلب ، وابو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن عمر ، وعاصم بن بهدلة بن ابي النجود وحمزة بن حبيب بن عمار بن اسماعيل ، وابو الحسن الكسائي والعشرة يكملهم ابو محمد يعقوب بن اسحاق ، وابو جعفر بن يزيد بن القعقاع ، وابو محمد خلف بن هشام . زادة ، طاش كبرى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1405 هـ / 1985م ، ج2 ، ص24 ، 40.

(4)التجيبي ، القاسم بن يوسف (ت 730 هـ / 1329 م) ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، برنامج التجيبي ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1981م ، ص433.

وعند باب الندوة من ابواب الحرم الشريف كان لنزيل الحرم موسى بن مسعود الموصلي (ت 751 هـ / 1350 م) ، مجلس يقرأ فيه القران الكريم[1] وكان لعمر بن محمد بن علي السراجي الدمنهوري (ت752 هـ / 1351 م) ، نشاط في اقراء القران بالحرمين الشريفين وافادة الطلبة فيهما ، وممن قرأ عليه بمكة يعقوب بن احمد الانباري (ت 809 هـ / 1406 م) ، قرأ القران عليه بجميع الروايات [2].

كما كان صالح بن محمود بن محمد الاصفهاني (ت 757 هـ / 1356م)، احد المقرئين بالسبع بالمسجد الحرام ، ومحمد بن علي بن محمد البكري المصري المقرئ المعروف بابن سكر (ت 801 هـ / 1398 م) ، الذي انتصب للأقراء بالمسجد الحرام [3] ، كما تصدى للأقراء ابراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن ظهيرة(ت 891 هـ /1486 م) ،حيث لم يتقيد بمحل يجلس فيه ، وفي أوائل سنة 853 هـ / 1449 م تقيد بالجلوس امام باب العجلة[4] بعد صلاة الظهر [5].

وقد تفرعت عن دراسة القران الكريم العديد من الدراسات مثل قراءات القران وتجويده وتفسيره واحكامه واسباب نزوله وغيرها [6]. ويعد علم القراءات من اهم العلوم التي اهتم بها علماء الحجاز ومجاوريه ، ويعد ذلك امتداداً للعناية به منذ نزوله وجمعه ، فقد تهيأ لهم ما لم يتهيأ لأي بلد اخر ، حيث المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فكان هذا دافعاً كبيراً لهم على تعليم ابنائهم القران وكيفية تلاوته وادائه اداء

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج7 ، ص307.

(2)ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج3 ، ص188.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص29 – 30.

(4) باب العجلة ، من ابواب المسجد الحرام الشمالية وسمي بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديما دار العجلة . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص239.

(5)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص32.

(6)الزحيلي ، محمد ، تعريف عام بالعلوم الشرعية ، دمشق ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر والنشر ، 1988م ، ص18.

مجوداً سليماً بعيداً عن اللحن والتصحيف ، وكانت غاية الاباء ان يحفظ ابناؤهم القران الكريم جميعه عن ظهر قلب ، واذا وفق في ذلك ، فان والده يصنع له وليمة ابتهاجاً بذلك ، وتشجيعا له على تعلم القران[1]، ويؤيد هذا القول ؛ قول رسول الله (ﷺ) قال : " خيركم من تعلم القران وعلمه " [2].

ومن الذين تولوا مشيخة القراء والقراءات بالمسجد الحرام ، احمد بن يوسف بن حسين الحسنكيفي (ت 855 هـ / 1451 م) وعمر بن محمد بن محمد الحموي النجار (ت873 هـ / 1468 م) [3] وهناك اعداد اخرى ممن درسوا القراءات واهتموا بها في الحرمين الشريفين لذا نشطت حلقات هذا العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي ويمكن القول ان طبيعة هذا العلم وخاصة تدريسه في الحرمين الشريفين ساعد على نشاطه ، لان اكثر العلماء والمجاورين كانوا يقومون اثناء جلوسهم في الحرمين الشريفين بتلاوة القران الكريم ، او الاستماع الى احد المقرئين بعد تأدية لفريضة الصلاة ، كما ان براعة واجادة بعض المقرئين وحلاوة تلاوتهم ، جعل بعض الناس من طلبة العلم والعامة يستمعون ويأخذون هذا العلم لأنه كان منتشراً في اطراف المسجد الحرام والمسجد النبوي وساعد على ذلك ايضاً ان اكثر هؤلاء المقرئين لم يكونوا يتقاضون اجراً مقابل اقرائهم القران ، وطبيعة هذا الدرس والقائه في الحرمين جعله متاحاً للجميع للاستفادة منه .

اهتم المسلمون بالقراءات القرآنية في مرحلة مبكرة لأنها تمثل مرحلة مهمة من مراحل تفسير القران الكريم 873 هـ / 1468 م) [4] يقول ابن خلدون : " القران هو هو كتاب الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف ، هو متواتر بين الامة

---

(1)ابن جبير ، الرحلة ، ص127، 129.

(2)ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، القاهرة ، دار الفكر ، ج9 ، ص74.

(3)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج1 ، ص92 ـ 93.

(4)عبد العزيز ، محمد الحسيني ، الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م ، ص68.

الا ان الصحابة رواة عن الرسول (ﷺ) على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادائها ، حيث تنوقل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها ايضاً بأدائها واختصت بالانتساب الى من اشتهروا بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ائمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل " [1].

ويعد الحسين بن الوليد القرشي النيسابوري المكنى بابي عبد الله المشهور بأخي السطيح والملقب بكميل (ت 202هـ/817 م او 203هـ / 818 م) ، من اشهر علماء القراءات حيث كان فقيهاً ومقرئاً رحل الى العراق والحجاز والشام ، قدم بغداد وسمع من سفيان الثوري وشعبة وزهير بن معاوية وغيرهم ، حدث عنه : احمد بن حنبل ، واحمد ابن نصر الخزاعي الشهيد ومحمد بن حاتم بن ميمون ، كما قرأ القران على علي بن حمزه الكسائي ، وعيسى بن طهمان وقيل انه جمع وصنف[2].

وتميز ايضاً بعلم القراءات احمد بن جبير بن محمد بن جعفر بن احمد بن جبير المكنى بابي جعفر وقيل أبو بكر الكوفي (ت 258هـ / 871 م) اصله من خراسان قدم إلى العراق والشام و مصر والحجاز ثم استقر في انطاكية ، كان إماما في القراءة اخذها عرضا وسماعا عن الكسائي وعن سليم وعبيد الله بن موسى الكوفي وعبد الوهاب بن عطاء وغيرهم وسمع بعض قراءة عاصم من أبى بكر شعبة وعن عمرو بن الصباح عن حفص ، وقرأ عليه محمد بن العباس بن شعبة ومحمد بن علان وشهاب بن طالب وغيرهم [3].

---

(1)المقدمة ، ج1 ، ص346.

(2)الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص143، 145؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج9، ص520 ـ 521 .

(3)ابن الجزري ، غاية النهاية ، ج1 ، ص42.

لقد فجر علم قراءة القران الكريم طاقات الامة العربية والاسلامية وبعثها بعد الرقاد وحركها بعد الثبات واحياها بعد الموت ، ونقلها من مؤخرة الامم الى قيادة العالم ، وكلفها حمل امانة الدعوة لشعوب الارض فقام بذلك خير قيام ، ورفع مشعل الحضارة المدنية على ارجاء المعمورة ، لذلك ترجع جميع العلوم الى القران الكريم الذي له الفضل الاساس في ايجادها ونشأتها وفي رعايتها والعناية بها ، وتحقيق الخير والفائدة [(1)].

ويلاحظ ان علم القراءات اخذ من علماء الحجاز نصيباً اكبر من علم التفسير ، وان كثيراً من اهل مكة المكرمة والمدينة المنورة والوافدين اليها ، كانوا يقرؤون القران افراداً او جمعاً او هما معاً وان القليل منهم من كان يقبل على دراسة التفسير .

وحرص العلماء على حفظ كتاب الله تعالى والعناية به وتلاوته ، وقراءته وتصنيف الكتب في دراسته ، كتدوين القراءات وضبط اصولها وبيان ائمتها وحفاظها ورواتها وسندها والفروق بينها والاختلاف في ادائها حتى حظي الحرف الواحد من القران الكريم بالرعاية الكاملة والضبط التام [(2)].

ونشطت القراءات القرآنية في العصر المملوكي في الحجاز ، وظهر عدد كبير من علماء القراءات الذين كانت اليهم رحلة طلاب العلم من اقطار العالم الاسلامي ، ورغم العدد الكبير من العلماء الذين قاموا بتدريس القراءات في الحرمين الشريفين فأن المصنفات والمؤلفات في هذا العلم لم تصل الى مستوى نشاطه لان اكثرهم كانوا يقومون بتدريس هذا العلم وتفرغوا له دون التصنيف فيه .

---

(1)العتر ، نور الدين ، القران الكريم والدراسات الادبية ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، ص1406هـ/ 1986م ، ص17.

(2)ابن خلدون ، المقدمة ، ص438.

ومن مشاهير القراء بشير بن حامد بن سليمان التبريزي (ت646هـ/1248م) [1]. شيخ الحرم وصاحب الغنيان في تفسير القران [2] وكان لعبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه المعروف بنجم الدين الواسطي (ت 740هـ / 1339م) [3]، عناية كبيرة في علم القراءات والتأليف فيه ، فأقرأ بمكة وغيرها ، وألف مؤلفات عدة منها الكنز في القراءات العشر [4] ، جمع فيه للسبعة بين الشاطبية والارشاد ، ثم نظم الكنز وسماه الكفاية ، وله ايضا روضة الازهار في نظم الارشاد للقلانسي ، وتحفة الاخوان في مآدب القران ، وتحفة البررة في نثر الكفاية المحررة في القراءات العشرة ، والمختار في القراءات [5].

ويعد الحجاز ومدينتيه المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، من اهم الامصار الاسلامية نبوغاً في علم القراءات ، فالقراءة والقراءاة في المدينة المنورة تعد مدرسة المدينة المنورة المصدر الاول لجميع المدارس الاقرائية في العالم الاسلامي ، ومن الفقهاء الذين اشتهروا بضبط قراءة القران الكريم من الصحابة هم علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، زيد بن ثابت ، وابن ابي كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وابو الدرداء [6] وقد شكلت قراءات هولاء الصحابة الحجر الاساس الذي قامت عليه

---

(1)اخذ عن كثير من العلماء ، وكان معيداً في المدرسة النظامية ببغداد ، ثم عين شيخاً للحرم والنظر في مصالحه وعمارته في عهد المنتصر العباسي ، وكان حاوياً للعلوم منها الخلاف ، وانتهت اليه الرئاسة فيه بالعراق ، ومن اشهر تلامذته بمكة المحب الطبري والقطب القسطلاني . الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص371 ؛ الداودي ، طبقات المفسرين ، ج1 ، ص115.

(2)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص372.

(3)ابن الجزري ، غاية النهاية ، ج1 ، ص429.

(4)الزركلي ، الاعلام ، ج4 ، ص101.

(5)ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج2 ، ص27.

(6)ابو الدرداء ، عويمر بن زيد بن قيس الانصاري الخزرجي ، شهد مع رسول الله (ﷺ) احد وغيرها من المشاهد ، نزل ابو الدرداء بلاد الشام فبقي فيها وكان على القضاة ، مات بدمشق سنة 32ه/652م . ابن سعد ، الطبقات ، ج9 ، ص395ـ 397

المدارس الاقرائية [1] ومن التابعين من فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ، ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم [2]ويعد الفقيه سعيد بن المسيب من ابرز قراء هذه الطبقة ، اذ ذكره ابن الجزري قائلاً : " سعيد بن مسيب المخزومي علم التابعين ، وردت الرواية عنه في حروف القران ، قرأ على ابن عباس ، وابي هريرة ، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد ، وقرأ عليه محمد بن مسلم الزهري " [3]

اما القراءة والقراء في مكة المكرمة تعد مدرسة مكة الاقرائية هي الاولى من حيث النشأة والتكوين ، وتعد الثانية بعد مدرسة المدينة من حيث الازدهار والتطور ، وذلك لهجرة الرسول (ﷺ) والمسلمين الاوائل من اهل مكة المكرمة الى المدينة المنورة [4]

وبعد ان ضمت مكة المكرمة الى السيادة الاسلامية امر النبي (ﷺ) ابقاء معاذ بن جبل الانصاري في مكة المكرمة ليقرءهم القران ويفقههم بالدين [5] ومن مؤسسي المدرسة الاقرائية في مكة المكرمة ايضاً عبد الله بن السائب المخزومي ، قارئ اهل مكة فقد قرأ على ابي بن كعب وروى عن عمر بن الخطاب [6] ومن كبار فقهاء مكة مكة المكرمة سعيد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وعطاء بن ابي رباح ، واخذ هؤلاء جميعهم القراءة عن عبد الله بن عباس [7]

---

(1)ابن الجزي ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ج1 ، ص19

(2)المصدر نفسه ، ج1 ، ص426

(3)غاية النهاية في طبقات القراء ، ج1 ، ص308

(4)هادي حسين حمود ، القراء ودورهم في الحياة العامة في صدر الاسلام ، ص25

(5)الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج1 ، ص447

(6)ابن الجزري ، غاية النهاية ، ج1 ، ص420

(7)المصدر نفسه ، ج1 ، ص615

ثانياً : علم التفسير .

التفسير : هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع : توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة [1].

ويعرف علم التفسير ايضاً بأنه علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها ، واقاصيصها ، والاسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ،وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها ، وامرها ونهيها وامثالها [2].

والتفسير من أجل علوم الشريعة وارفعها قدراً ، وهو اشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة اليه ؛ لان موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ولان الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية وانما اشتدت الحاجة اليه ؛ لان كل كمال ديني أو دنيوي لابد وان يكون موافقاً للشرع [3].

وكانت نشأته مبكراً مع نزول القران الكريم اذ فسر الرسول الكريم (ﷺ) الآيات القرآنية غير الواضحة ولذلك فقد عد الرسول اول مفسر، وقام الصحابة (M) بتولي مهمة التفسير بعد وفاته (ﷺ) واشتهر منهم عشرة هم : الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وابى بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير، ثم جاء بعدهم التابعون بعد ان تتلمذوا عليهم حيث اصبح اهل مكة اعلم الناس ؛ وذلك لانهم اصحاب عبد الله بن عباس وثم اصحاب ابن مسعود في الكوفة ، وعلماء

---

(1)الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، دار الشروق الثقافية ، بغداد ، 1986م ، ص40.

(2)التهانوي ، كشاف اصلاحات الفنون ، بيروت ، دار صادر ، ج1 ، ص24.

(3)السيوطي ، الاتقان في علوم القران ، تحقيق : فليب حتي ، بيروت ، المكتبة العلمية ، ج2 ، ص175.

اهل المدينة[1]، ثم جاء بعدهم تابعو التابعين واخذوا منهم فتطور هذا العلم وبرزت فيه مدارس هي:

اولاً : مدرسة التفسير بالمأثور ويسمى التفسير بالرواية او التفسير النقلي .

اذ يعتمد على ماجاء في النص القراني نفسه من البيان ، وكذلك ما اثر عن الرسول (ﷺ)[2] و تعتمد على الكتاب والسنة وكلام الصحابة سواء اهل البيت ام من غيرهم ام من عاصرهم من التابعين في تفسير آيات القران الكريم وقد سارت على الطريقة التي كانت سائدة منذ عهد الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين [3]. وكان اعتماد المفسرين في هذا الجانب على سلسلة الرواة اذ نهجوا فيه رواية الحديث [4] ومن ذلك نرى ان المفسرين هم اغلبهم كانوا من المحدثين ، ومن هنا عرف العرب التدوين التاريخي بعد تأثرهم بكتابة الحديث الشريف واصبح لهم دورهم في الكتابة التاريخية في القرنيين الاول والثاني الهجري .

ثانياً : مدرسة التفسير بالرأي :

وهو مايرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والاساليب [5] وجل اعتماده على العقل اكثر من اعتماده على النقل ،

---

(1)السيوطي ، الاتقان في علوم القران ، ج2 ، ص169 ؛ الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القران ، ط7 ، بيروت ، 1972م ، ص 289 . 290 ؛ الذهبي ، محمد السيد حسين (ت 1398هـ) ، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2 ، ج1 ، ص45 ، 63

(2)الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت310هـ /922م) ، جامع البيان عن تأويل آيات القران ، تحقيق : بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني ، ط1 ، بيروت ، 1415هـ/ 1994م ، ج1 ، ص36

(3)الصابوني ، محمد علي ، التبيان في علوم القران ، بيروت ، 1970م ، ص 291 ـ 292 .

(4)الصالح ، مباحث في علوم القران ، ص290 ـ 291.

(5)ابن خلدون ، المقدمة ، ص440

واكثر من اتبع هذا النوع هم المعتزلة [1] ويسمى بالتفسير العقلي ولكن على نطاق ضعيف لان التفسير بالراي في الصدر الاول كان موضع تحرج حتى في تفسير الالفاظ ، تعتمد على الاجتهاد [2] وعلى المفسر ان يكون على اطلاع واسع بالقران والسنة واقوال الصحابة وله اطلاع بعلوم اللغة العربية والعلوم الاخرى المساعدة للتفسير [3].

ومن المعروف انَّ القران الكريم يدعوا الى الاجتهاد في تفسير آياته ، قال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [4].

وتكمن اهمية التفسير في معرفة ما اراد الله تعالى من كتابه العزيز ، فكان رسول الله (ﷺ) يفسر لهم ما يلتبسون فيه ويعد علم التفسير من اجل العلوم القرانية قدراً مما ادى اعتناء المسلمين به عناية تامة ، وصرف جل علمائهم معظم اوقاتهم بحثاً فيه ، لانه الموصل الى فهم مراد الله من كتابه العزيز ، ومعرفة احكام الله في وحيه ، وما فرضه على عباده ، وتلك هي اشراف الغايات واحسن الطرق لنيل السعادات [5]

وفي العصر المملوكي في الحجاز كانت المصنفات في التفسير بالنسبة الى التأليف في علم القراءات قليلة جداً ، ومن العلماء الذين برزوا في هذا العلم والفوا فيه : محمد بن عبد الله الاندلسي ، المعروف بأبي الفضل المرسي السلمي (ت655هـ/ 1257م) ، وهو من العلماء المجاورين بمكة المكرمة ، وكانت له معرفة بالحديث

---

(1)حسن ، علي حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1965م ، ج2 ، ص325

(2)الصالح ، مباحث في علوم القران ، ص290 ـ 291.

(3)السيوطي ، الاتقان علوم القران ، بيروت ، دار الندوة ، ج2 ، ص181 ؛ السامرائي ، ابراهيم ، دراسات في اللغة ، ط1 ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1961م ، ص101.

(4)سورة ص ، اية 29.

(5)سمير صالح حسن ، الحياة الفكرية في مكة ، ص70

وعلوم القراءات والفقه والنحو واللغة ، وله مصنفات في هذه العلوم ، ومن مؤلفاته التفسير الكبير يزيد على عشرين جزءاً سماه ري الضمان ، والتفسير الاوسط عشرة اجزاء ، والتفسير الصغير ثلاثة اجزاء(1).

ولقطب الدين القسطلاني (ت686هـ/1287م) رسالة في تفسير آيات من القران الكريم (2) واشتهر محمد المعروف بابي طرطور (ت760هـ/1358م) بمعرفته في التفسير، حيث كان يفسر القران الكريم عن ظاهر قلبه بين الحجر الاسود والركن اليماني(3).

ولعبد الله بن اسعد اليافعي (ت768هـ / 1366م) الدرر النظيم في خواص القران الكريم ، كما الف الفيروز ابادي (ت 817هـ / 1414م) في التفسير كتباً عدة منها بصائر ذوي التميز في لطاف الكتاب العزيز بمجلدين ، وتنوير القياس في تفسير ابن عباس بأربعة مجلدات(4).

ومنهم ايضاً محمد بن احمد بن محمد بن محمود بن روزيه الكازروني المدني (ت843هـ/ 1439م) إذ الف كتباً عدة منها تفسير اعتمد فيه على القرطبي ، يتضمن الاحكام والاحاديث واسباب النزول(5).

ومنهم ايضاً علي بن احمد بن محمد الشيرازي المكي (ت861هـ/ 1456م) اشتغل في العلم في كبره ، واخذه عن غير واحد ، وصنف تفسيراً ، وله جواهر المعاني في تفسير السبع المثاني(6).

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص82.

(2)الزركلي ، الاعلام ، ج5 ، ص323.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص414- 415.

(4)عبد الرحمن ، عبد الجبار ، ذخائر التراث العربي ، ط1 ، 1403هـ ، ج2 ، ص909.

(5)السخاوي ، الضوء الامع ، ج7 ، ص96- 97.

(6)الزركلي ، الاعلام ، ج4 ، ص257.

المبحث الثاني : علوم الحديث

هو علم يشتمل على اقوال النبي (ﷺ) وافعاله وروايتها وضبطها وتحرير الفاظها [1] ويرد احياناً مع الحديث لفظ الخبر والاثر ، فيذكر ان الخبر مايروى عن النبي محمد (ﷺ) والاثر مايروى عن الصحابة [2] وقيل لمن يشتغل بالسنة محدث ولمن يشتغل بالتواريخ اخباري [3] وعندما كان الحديث النبوي الشريف هو المكمل والموضح للاحكام التي لم تاتي صريحة في القران الكريم ، ولما كان يمثل النايحية التطبيقية في الدين ، فقد كان الاهتمام به وبتدوينه على جانب كبير من الاهمية [4] ويورد ابن قتيبة الدينوري احاديث نبوية لم تسمح بالتدوين ، ثم اورد احاديث اخرى اباحت التدوين [5] وعندما اصبحت مسألة التدوين مسألة لا غنى للثقافة العربية الاسلامية عنها ، برز كعلم يقول الخطيب البغدادي : " انما اتسع الناس في العلم ، وعولوا على تدوينه في الكتب بعد الكراهة لذلك الان الروايات انتشرت والاسانيد طالت واسماء الرجال وكناهم وانسابهم كثرت والعبارات بالالفاظ اختلفت ، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا " [6]

---

(1)السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط2 ، مصر ، 1966م ، ج1 ، ص40

(2)ابن الصلاح ، ابو عمر عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ) ، المقدمة ، ص124

(3)السيوطي ، تدريب الراوي ، ج1، ص42

(4)الشكعة ، مناهج التأليف عند العرب ، ص4

(5)القرطبي ، ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ) ، جامع بيان العلم ، صححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط2 ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، 1968م ، ص286- 287

(6)تقيم العلم ، دار احياء السنة النبوية ، 1994م ، ص62

فكان انس بن مالك يقول :" قيدوا العلم بالكتاب " [1]

لقد كان لاتساع الدولة العربية الاسلامية نتيجة لعمليات الفتوح وما تلاتب عليها من دخول عناصر اجنبية في الدين الاسلامي ووفاة الكثير من الصحابة والتابعين ممن يحفظون الحديث النبوي الشريف ، كل هذه الامور دعت الى العمل على تدوين الحديث والتثبت من خشية الضياع والدس من قبل الشعوبية واعداء العروبة والاسلام [2]

بذل علماء الحجاز ومن جاوره جهوداً كبيرة ومضنية في سبيل نشر الحديث ، وعقدت كثير من الحلقات العلمية في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وحدثوا بكثير من مروياتهم من كتب السنن الكبيرة ، ومن الاجزاء الصغيرة ، سواء كان ذلك من تأليفهم ام من مصنفات العلماء السابقين ، وساعد على نشاط هذا العلم ، قدوم اشهر المحدثين في العالم الاسلامي الى الحرمين الشريفين ، كالجمال الاسيوطي ، والزين العراقي ، وابن الملقن ، والهيثمي ، والعز بن جماعة ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، بالإضافة الى الرحلات العلمية التي اقام بها علماء الحجاز لطلب الحديث والتي اكسبتهم خبرات واسعة للنهضة بهذا العلم [3].

فهناك عثمان بن محمد بن عثمان بن ابي بكر التوزري [4] (ت 713 هـ /1313م) الذي كان من البارزين في القراءات وعلم الحديث ، وذكر التجيبي انه قرأ عليه صحيح البخاري من اوله الى باب حج الصبيان بالحرم الشريف ، اتجاه الكعبة

---

(1)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج7 ، ص22

(2)القرطبي ، جامع بيان العلم ، ج1 ، ص91- 92

(3)ابن خياط ، مختلف الحديث بين المحدثين والاصوليين الفقهاء ، ص18

(4)نسبة الى توزر ، بلدة من بلاد قسطيلية وهي اعظم مدنها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان البلدان ، ج2 ، ص57 ؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت722هـ/ 1322م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975م ، ص144.

المشرفة ، واجازه سائرة واجازه صحيح الامام مسلم واخبره شفاهاً بسنن ابي داود وذكر ايضاً انه اجازه جميع مروياته [1] وذكره اليافعي " رأيته في سنة 712 هـ يحدث في المسجد الحرام وحضرت عليه في بعض مجالسه وسمعت شيئاً من الاحاديث المقروءة عليه "[2].

وكان التوزري يحدث في المسجد الحرام بالموطأ رواية يحيى ابن يحيى[3]، وصحيح مسلم وصحيح البخاري وجامع الترمذي[4]والشمائل[5]. والملخص للقابسي[6]والشفا [7] للقاضي عياض والثقفيات[8] والغيلانيات[9] كما شهد الحرم

---

(1)التجيبي ، برنامج التجيبي ، ص68 ـ 96.

(2)مرآة الجنان ، ج2 ، ص253.

(3)هو شيخ الاندلس الفقيه ابو محمد يحيى ابن يحيى بن كثير بن وسلاس البربري الليثي المصمودي الاندلسي راوي الموطأ عن مالك وبه انتشر مذهب مالك في ناحيته ، (ت 234 هـ / 848 م) . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج10 ، ص519 .

والموطأ رواية يحيى ابن يحيى هو الاكثر انتشاراً في العالم ، ولها مخطوطات كثيرة . بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ط2 ، القاهرة ، دار المعارف ، ج3 ، ص275.

(4)لابي عيسى محمد بن عسى بن سورة الترمذي (ت 279 هـ / 892 م) . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج2 ، ص633.

(5)الشمائل للترمذي . بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج3 ، ص192.

(6)الملخص للقابسي ، هو الملخص في الحديث لابن الحسن القابسي (ت 403 هـ / 1012 م م) جمع فيه ما اتصل به اسناده من حديث مالك في الموطأ . حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/ 1657م) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بيروت ، ج2 ، ص1818.

(7)الشفا للقاضي ابو الفضل عياض اليحصبي (ت544هـ /1149م) . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج4 ، ص1304 وقد طبع عدة طبعات محققة اخرها بتحقيق علي محمد البجاوي بمطبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1399هـ.

(8)الثقفيات ، لابي عبد الله القاسم بن الفضل بن احمد الثقفي ، مسند اصبهان ورئيسها شيخ السلفي عاش 92سنة توفي سنة 489هـ /1095م . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج4 ، ص1227.

(9)الغيلانيات ، هي فوائد حديثية من رواية ابي طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزار المتوفي سنة 440هـ/ 1048م . الكتاني ، الرسالة المستطرفة ، ص69.

المكي من مدرسي الحديث ، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم رضي الدين الطبري (ت722هـ/ 1322م) حيث سمع صحيح البخاري كاملا بالمسجد الحرام على الشيخين الجمال يعقوب بن ابي بكر الطبري[1] وعبد الرحيم بن عبد الرحيم المعروف المعروف بابن العجمي كما سمع صحيح مسلم على بعض العلماء بالمسجد الحرام ، وكان مع اتساعه في رواية الحديث له معرفة بالفقه والعربية ، وله مؤلفات عديدة في الحديث حدث بها في المسجد الحرام ، كما حدث بأغلب الكتب المؤلفة في الحديث وسمع عليه كثير من العلماء [2].

كما تصدر للاشتغال في العلوم الشرعية ، خاصة علم الحديث عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن فرحون (ت769هـ /1367م) ، الذي درس وحدث بالحرم النبوي الشريف اكثر من خمسين سنة وانفرد في اخر عمره [3] . ومن اشهر المحدثين في الحرمين الشريفين ، ابي بكر بن الحسين بن عمر المراغي (ت816هـ/1413م) حيث كانت له جهود نشطة في تدريس الحديث بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، فقد سمع منه بالمسجد الحرام محب الدين بن ظهيرة صحيح مسلم ، وسنن الدارقطني وكتاب العمدة في شرح الزبدة[4].

ومن محدثي مكة المكرمة محمد بن عبد الله بن ظهيرة ابو حامد جمال الدين(ت817هـ/1414م) الذي درس بالمسجد الحرام وسمع منه كثير من الطلبة صحيح مسلم والموطأ والشمائل للترمذي وسنن الدار قطني وعلوم الحديث لابن الصلاح[5].

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج7 ، ص473 .

(2)التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص380 ، 394

(3)ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، ج1 ، ص454 – 455.

(4)ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2 ، ص124 – 125.

(5)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص106 .

اما اهم العلماء المغاربة الذين اشتهروا بتدريس علم الحديث سليمان بن احمد بن عبد العزيز علم الدين الهلالي المعروف بابن السقا(1).

(ت736هـ - 803هـ / 1335-1399م) هو احد العلماء المغاربة الذين قدموا لأداء فريضة الحج ، ثم سكن في المدينة المنورة ، وتفرغ لتدريس الحديث فيها ، فسمع منه العلماء والفضلاء ، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني ، وابي الفتح المراغي ، والمحب الطبري (2) ومنهم ايضاً عمر بن علي بن احمد ابو حفص (ت 723-804 / 1323-1401م)(3) وهو احد العلماء الاندلسيين الذين استقروا في مكة ، ودرسوا علم الحديث ، واحد علماء عصره البارزين ، تميز بالتأليف والتدريس منذ وقت مبكر ، ومن مروياته الكتب الصحاح الستة ، ومسند الشافعي واحمد وصحيح

---

(1) تلقى ابن السقا تعليمه منذ صغره في بلاد المغرب ، ثم سافر لطلب العلم فدخل دمشق فأخذ العلم من مشاهير العلماء بها منهم ابو الفرج بن عبد الهادي ، وابن علي الجزار والشمس بن نباته وابن ابي السير وغيرهم ، ثم توجه الى بلاد الحرمين وجاور في المدينة المنورة واشتغل فترة برئاسة الربط والاوقاف ، وعرف العفة والنزاهة ، وقد جددت في عهده بعض الاربطة في المدينة ثم تفرغ للتدريس فيها ، توفى عن عمر ثمانين عاماً . المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ/ 1455م) ، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ / 2002م درر ، ج2 ، ص105. ؛ اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، ، ص175

(2)السخاوي ، الضوء الامع ، ج3 ، ص260- 261

(3)عمر ابو حفص اندلسي الاصل فحفظ القران والحديث واللغة العربية ، وتعلم القراءات ، ومن العلماء الذين اخذ عنهم الجمال بن هشام والبرهان الرشيدي ، ومحمد بن عبد الرحمن ، واسماعيل الانبابي ، ثم رحل الى بلاد الشام وتلقى العلم على مشاهير العلماء فيها كأبن اميله ، والتاج السبكي والتقى بن رافع وغيرهم من العلماء الذين اجازوه . ابن حجر ، انباء الغمر ، ج2 ، ص 216.

ابن حيان وسنن الدارقطني ، وله العديد من المؤلفات منها المقنع في علوم الحديث ، و تخريج احاديث في سبعة مجلدات، واختصره في مجلد واحد ، و تخريج احاديث الوسيط للغزالي في مجلد ، وتخريج احاديث المهذب في مجلدين ، وشرح الاربعين النووية في مجلد ، وكتاب لطبقات القراء واخر لطبقات الصوفية ، وغير ذلك الكثير من المصنفات التي بلغت حوالي ثلاثمائة مؤلفاً ، وقد حدث بكثير منها وبغيرها [1]

مما سبق يتضح ان علم الحديث شهد ازدهاراً كبيراً في تلك المدة ، وكثر عدد العلماء المغاربة ، الذين اشتغلوا بتدريس الحديث ، في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد تمكنوا من معرفة رواد الحديث المتقدم منهم والمتأخر ، وتميزوا في معرفة المرويات وحفظ المتون واقبل عليهم العلماء وطلاب العلم للأخذ عنهم ، والحصول على اجازة منهم .

وكذلك احتلت السنة النبوية وعلومها مكانة عالية ، وتبوأت مكان الصدارة من الثقافة الاسلامية آنذاك ، ولقد كانت طريقة العلماء في العصر المملوكي في رواية الحديث في الحجاز تتمثل غالباً في الاجازة والمكاتبة ، اما الرواية مشافهة فقد انقرضت وصار الاسناد بالحديث يقصد للتبرك ، اللهم الا في افراد قلائل يظهرون من وقت لآخر فيجددون ما خلف ويحيون ما اندثر ومرد ذلك هو ان كتب السنة قد ألفت وجمعت وانتشرت الكتابة في جميع البلدان[2].

---

(1)المقريزي ، درر العقود ، ج2 ، ص420 ؛ اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية ، ص176

(2)ابو زهو ، محمد ، الحديث والمحدثون ، دمشق ، دار الفكر ، ص437.

المبحث الثالث :علم الفقه

الفقه عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه ، وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية وقيل هو الاصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه الى النظر والتأمل[1]. وموضوع علم الفقه معرفة الأحكام الشرعية لكل ما يفعله الانسان ، مثل الوجوب والحظر والاباحة والندب والكراهية ، وهل ان التصرف صحيح ام باطل والعبادة اداء أو اعادة او قضاء ، وينقسم على قسمين هما العلم بالأحكام الشرعية العلمية ، والعلم بالأدلة التفصيلية لكل حكم ، والحكم الفقهي كغيره من الاحكام الشرعية يستمد من القرآن والسنة ، إلّا انّه اذا لم يجد الفقيه حلاً فأنه يلجأ الى استلهام روح الشريعة و مقاصدها ، الامر الذي يفسح المجال لباب الاجتهاد[2] هناك مدرستان للفقه وهما :

1. **مدرسة الحديث :**

كانت في المدينة مدرسة للحديث ؛ لأنها مهد السنة النبوية اطلاع اهلها على الحديث النبوي ، فقد اعتمد فقهاؤها على النص ولم يأخذوا بالرأي ، وذلك لعدم اختلاف بيئتهم وعدم وجود حوادث مستعصية فيها ، وكان فقهاء هذه المدرسة متأثرين بالفقهاء الاوائل من الصحابة والتابعين ، وقد ترأس هذه المدرسة سعيد بن

---

(1)الجرجاني ، التعريفات ، ص96 ؛ ابو زهرة ، محمد ، اصول الفقه ، دار الثقافة للطباعة ، ص6.

(2) مذكور ، محمد سلام ، المدخل للفقه الاسلامي ، ط2 ، القاهرة ، 1963م ، المطبعة العالمية ، ص37.

المسيب من التابعين واصبح له تلاميذ من فقهاء الحجاز وغيرهم ، الذين انتشروا في الامصار جامعين الاحاديث التي لم ترو في المدينة[1].

2. مدرسة الرأي :

هي المدرسة التي تزعمها عبد الله بن مسعود الذي عينه عمر بن الخطاب قاضياً على الكوفة فكان متأثراً بآراء عمر في اخذه بالرأي والبحث في احكام الامور التي ليس فيها نص ، وقد التف حوله اهل الكوفة التي كان لها دور في احتضان العلماء والفقهاء ، وتعتمد هذه المدرسة على الرأي ، ولا يخفى ان توسع شؤون الحياة بمختلف نواحيها وتنوع العلاقات الاجتماعية وازديادها نتجت عنه مشاكل جديدة لا توفي نصوص القران والحديث والأحكام المستنبطة منهما فكان لا مناص من اللجوء الى الاجتهاد[2].

إنَّ معرفة الفقه الاسلامي ، ومعرفة فقهاء الاسلام الذين يرجع اليهم ، يعد من الامور المهمة التي ينبغي لأهل العلم العناية بها وايضاحها للناس ؛ لان الله سبحانه وتعالى خلق الثقلين لعبادته ، ولا يمكن ان تعرف هذه العبادة إلَّا بمعرفة الفقه الاسلامي وادلته ، واحكام الاسلام وادلته ، ولا يكون ذلك إلّا بمعرفة العلماء الذين يعتمد عليهم من ائمة الحديث والفقه الاسلامي ، وقد صح عن رسول الله (ﷺ) انه قال: " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين" [3].

---

(1)مذكور ، المدخل للفقه الاسلامي ، ص121ـ 122 ؛ حامد ، عبد الستار ، الفقه الاسلامي وتطوره منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر ، مجلة دراسات عربية واسلامية ، بغداد ، 1982م ، جامعة بغداد ، مطبعة الاديب البغدادية ، ع1 ، ص145.

(2)عبد الباقي ، احمد ، من اعلام العلماء العرب ، ط1 ، بيروت ، 1990م ، ص111-112.

(3)النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر المعروف بصحيح مسلم ، باب : النهي عن المسألة ، حديث رقم (1037) ، ج2 ، ص719 ؛ البخاري ، الصحيح ، باب من يرد الله به خيراً ، ج1 ، ص25 ؛ ابن ماجة ، السنن ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، حديث رقم (220) ، ج1 ، ص80.

ولهذا حرص طلاب العلم من المغاربة ، كغيرهم مثل باقي المسلمين على تعلم الفقه وتعليمه ، وقد ارتبط علم الفقه في المغرب الاسلامي ارتباطاً وثيقاً بالمذهب المالكي ، وظهر من المغاربة العديد من العلماء البارزين الذين قاموا بتدريس علم الفقه واصوله منهم محمد بن عبد الصمد التازي (ت805هـ/ 1403م) [1] هو من العلماء المغاربة الذين استقروا بمكة مدة عشرين عاماً ، واشتغل بتدريس الفقه فيها ، وعلى الرغم من طول المدة التي قضاها في مكة إلّا ان المصادر لم تمدنا بمعلومات عن مصنفات له او اسماء تلاميذه [2]، حيث قدم مصر من بلاد المغرب طلباً للعلم ، وسكن الجامع الازهر ، ومن العلماء الذين درس عليهم يحيى الرهوني ، ثم انتقل الى مكة ودرس بها وجاور وقرأ على العلماء فيها منهم سعد الدين الاسفرائيني [3].

اما تدريس الفقه في المسجد الحرام ، فكان يتم حسب كل مذهب من المذاهب المعروفة ، فكان لكل مذهب من المذاهب ركن خاص في المسجد الحرام يلقي فيه الامام الدروس ويصلي بجماعته في ركنه المخصص له ، كان امام الشافعية يتخذ مكانه خلف مقام ابراهيم (عليه افضل الصلاة والسلام) ، والامام المالكي مكانه عند الركن اليماني ، والامام الحنفي مكانه امام الميزاب ، اما الامام الحنبلي فيتخذ مكانه ما بين الحجر الاسود والركن اليماني[4]، واشار ابن جبير الى امام خاص لفرقة الزيدية ، وان اشراف مكة كانوا على هذا المذهب[5] ولا شك ان هؤلاء الائمة للمذاهب السنية الاربعة كانوا اعلاماً لهذه المذاهب وربما كانوا يدرسون الكتب ويستنبطون الاحكام من خلال المذاهب التي قاموا بتدريسها ، وكانت اكثر

---

(1) محمد التازي ، قدم بلاد المغرب الى مكة واستقر في رباط السدرة ، ودرس على علماء مكة امثال النشاورى ، وابن صديق وغيرهما . السخاوي ، الضوء الامع ، ج8 ، ص58.

(2)البخاري ، صحيح البخاري ، ج1 ، ص28.

(3)المقريزي ، درر العقود ، ج2 ، ص317

(4)ابن جبير ، الرحلة ، ص78.

(5)الرحلة ، ص79.

حلقات العلم تدريساً في المسجد الحرام حلقات علماء الشافعية والحنفية و كان لنزيل مكة عبد الله بن ابي بكر المعروف بالكردي (ت 785 هـ / 1383 م) مجلس لتدريس فقه الشافعية وكان جماعة من اهل مكة والقادمين اليها يجتمعون عليه لقراءة الحاوي الصغير (1).

وشارك في التدريس كذلك محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر الصبيبي المدني الشافعي (ت 807 هـ / 1404 م) ، حيث درس الفقه بالمسجد النبوي ، كما حدث بالبخاري لفظاً في الروضة الشريفة (2) ومن كبار فقهاء الشافعية بمكة في ذلك الوقت عالمها ومحدثها الجمال محمد بن عبد الله بن ظهيرة (ت 817 هـ / 1414 م) ، الذي افاد الناس في علوم شتى (3) . وممن جاور بمكة وكان له فيها مشاركة في تدريس الفقه الشافعي بالحرم المكي الشريف محمد بن احمد بن عماد الاقفهسي (ت 867 هـ / 1462 م) (4). وفي سنة 872 هـ / 1467 م ، جاور بمكة محمد بن مراهم الدين شمس الدين الشرواني القاهري (ت 873 هـ / 1468 م) ، واقرأ فيها بالمسجد الحرام ، الحج من كتاب احياء علوم الدين للغزالي وغيره (5).

كما شارك فقهاء المالكية في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فقد كان محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون (ت721 هـ/1321م) ، فقيهاً مدرساً لطلبة المالكية بالمسجد النبوي(6)، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد الفاسي (ت 805 هـ /1402م /1402م) ، الذي كان له مجلس للتدريس في المسجد الحرام ، تناول فيه كتب

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ، ص116.
(2)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج8 ، ص33
(3)السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص28
(4)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص206
(5)السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص48.
(6)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3 ، ص710.

المالكية مثل الرسالة [1] ، ومختصر ابن الحاجب الفرعي ، ومختصر ابن الجلاب [2] ، والموطأ وسمع منه كثير من الطلبة في المسجد الحرام ، منهم الفاسي والمقريزي[3]. كما درس بالحرم النبوي الشريف ، خلف بن ابي بكر بن احمد التحريري (ت 818 هـ / 1415 م) ، حيث برع في الفقه والحديث وسمع منه الكثير من الطلبة ، منهم التقي بن فهد ، ومحمد بن عبد الله الكازروني [4].

كما كان لعلماء المذهب الحنفي جهود نشطة في التدريس بالحرمين الشريفين ومنهم المعيد الحنفي محمد بن محمود الخوارزمي (ت 813 هـ / 1410 م) الذي اخذ عنه كثير من فقهاء مكة والمدينة ، وكان امام مقام الاحناف بالمسجد الحرام[5].

الحرام[5].

وعندما جاور بالحرمين الشريفين فقيه الاحناف بمصر كمال الدين بن الهمام محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت 861 هـ / 1456 م) ، نشر فيها علماً جماً ، وسمع عليه فيها خلقاً كثيراً منهم السخاوي [6]، وممن امتاز بالقدرة والبراعة في التدريس ومعرفته بالمذهب الحنفي ، سعيد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي المدني

---

(1)الرسالة ، هي رسالة بن ابي زيد في الفقه المالكي ، للأمام ابي محمد عبد الله بن ابي زيد المالكي القيرواني المتوفي سنة 389هـ/988م . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص841.

(2) نسبة الى عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري ، ابو القاسم ، فقيه اصولي ، (ت 378 هـ / 988 م) ، وله كتب منها كتاب في مسائل الخلاف وكتاب التفريع في المذهب . البغدادي ، هدية العارفين ، ج1 ، ص447.

(3)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج4 ، ص150.

(4)السخاوي ، الضوء الامع ، ج3 ، ص182 ـ 183.

(5)الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص349.

(6)السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3 ، ص672.

(ت 874 هـ / 1469 م) ، الذي انتفع به كثير من الطلبة في المسجد النبوي الشريف(1).

اما الحنابلة فقد كان نشاطهم ضئيلاً في تدريس الفقه وعلومه ، ومن اهم العلماء الذين درسوا في المسجد الحرام والمسجد النبوي محمد بن احمد بن سعيد المقدسي الحلبي (ت 855 هـ / 1451 م) ، الذي درس الفقه والحديث ، منها مؤلفاته في الفقه مثل الشافي في الكافي ، كما درس بالمسجد النبوي عند الروضة الشريفة وسمع منه كثير من العلماء (2).

وهناك كثير من تراجم فقهاء المذاهب الاربعة الذين درسوا في المسجد الحرام والمسجد النبوي بالإضافة الى كثير من علماء الاسر المكية والمدنية التي شاركت في هذا العلم .

وما هذه الامثلة على نشاط حلقات هذا العلم ، حيث لم يكن علم الفقه هو العلم الوحيد الذي درس في هذه الحلقات ، بل ان هناك علوماً اخرى اقترنت بعلم الفقه مثل علم الحديث ، وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم .

ويظهر من تراجم علماء الحجاز ومجاوريه ان اهم الكتب التي كانت تدرس في الفقه الشافعي هي مختصر المزني (3) وروضة الطالبين (4) والمهذب والتنبيه

---

(1)السخاوي ، الضوء اللامع ، ج3 ، ص256

(2)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص204.

(3)مختصر المزني في فروع الشافعية ، وهو احد الكتب المشهورة بين الشافعية التي يتداولونها وهي سائرة في كل الامصار للشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزني (ت 264 هـ / 877 م) وهو اول من صنف في مذهب الشافعي وقد شرحه واختصره كثير من العلماء . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص1635.

(4)روضة الطالبين وعمدة المتقين في فروع الشافعية للأمام محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ / 1277 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص929.

والحاوي الكبير [1] والحاوي الصغير والمجموع[2] ومنهاج الطالبين والورقات ومنهاج البيضاوي[3] وغير ذلك من كتب الفقه الشافعي ومختصراته وشروحاته .

اما كتب المذهب المالكي التي درست في هذه الحلقات فهي المدونة ومختصر ابن الحاجب ومختصر ابن الجلاب والموطأ[4]

والذخيرة [5] ومختصر خليل [6] وغيرها من الكتب المشهورة في المذهب المالكي .

اما كتب الحنفية التي تناولها الفقهاء في هذه الحلقات فهي الجامع الكبير والجامع الصغير [7] ومجمع البحرين وكتاب الكافي والكنز ومختصر الكرخي[8].

---

(1)الحاوي الكبير في الفروع للقاضي ابن الحسن ابن محمد الماوردي البصري الشافعي (ت 450 هـ / 1058 م) وهو كتاب في عشر مجلدات . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص628.

(2)المجموع في فروع الشافعية لابي علي حسين بن شعيب المعرف بأبن السنجي (430 هـ / 1038 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص1606.

(3)منهاج الوصول الى علم الاصول ، مختصر للقاضي الامام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 658 هـ / 1286 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص1878.

(4)الموطأ ، وهو كتاب في الفقه والحديث للإمام مالك بن انس (ت 179 هـ / 795 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص1907.

(5)الذخيرة في فروع المالكية لشهاب الدين ابي العباس احمد بن ادريس القرافي المالكي (ت 684 هـ / 1285 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص825.

(6)مختصر خليل في فروع المالكية ، وهو خليل ابن اسحاق الجندي (ت 767 هـ / 1365 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص1628.

(7)الجامع الكبير في الفروع ، والجامع الصغير في الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي (ت 187 هـ / 802 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص561 ، 567.

(8)مختصر الكرخي ، في فروع الحنفية للإمام ابي الحسين عبد الله بن الحسين الكرخي (ت 340 هـ / 951 م) . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص634

ويأتي بعدها حلقات فقهاء الحنابلة حيث درسوا كتب الكافي في فروع الحنبلية ومختصر الخرقي والمقنع [1].

(1)حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج2 ، ص636.

الفصل الرابع

اثر التبادل الثقافي بين المغرب الاسلامي والحجاز في العلوم الاخرى .

- **المبحث الاول :.اسهامات العلماء في علم المواريث والحساب وعلم اللغة العربية والشعر .**

1. **علم المواريث والحساب**
2. **علوم اللغة العربية**
3. **الشعر**

- **المبحث الثاني:. اسهامات العلماء في العلوم العقلية وعلم التصوف**

1. **العلوم العقلية (المنطق والفلسفة)**
2. **علم التصوف**

- **المبحث الثالث :.اسهامات العلماء في علم التاريخ والانساب وعلم الجغرافيا .**

1. **علم التاريخ والانساب**
2. **علم الجغرافيا**

المبحث الاول :.

اولاً :. اسهامات العلماء في علم المواريث والحساب .

يعد علم المواريث احد العلوم الشرعية ، وقد حدد الله (ﷻ) تقدير المواريث من خلال ايات المواريث التي وردت في سورة النساء ، دل عليه بعد ايات القران الكريم السنة وكذلك اقوال لصحابة . (1)

اما علم الحساب او (الرياضيات) : من العلوم المهمة والقديمة عرفها العرب في صدر الاسلام يعتمد عليه عمال الخراج والجباية (2). حيث قام العلماء المغاربة بتدريس علم المواريث والحساب في الحرمين الشريفين في القرن التاسع عشر هجري / الخامس عشر الميلادي ، منهم محمد بن عبد الوهاب بن محمد ابي نصر بن الجمال (3) هو من المغاربة الذين برعوا في علمي الفرائض والحساب ، واشتغل في تدريسها في المدينة المنورة ، ولم يزل على اجتهاده والارتقاء في العلم ، حتى تولى قضاء المدينة مدة ، ثم توجه الى مكة واستقر فيها حيث تولى القضاء بها ، كما جلس للتدريس والافتاء بالمسجد الحرام(4)

---

(1) السخاوي ، الضوء الامع ، ج6 ، ص 158.

(2) البخاري ،محمد بن اسماعيل (ت 256هـ / 869م) ، صحيح البخاري ، القاهرة ، 1958م ،ج1، ص27.

(3) محمد الجمال مغربي الاصل ، ولد في المدينة المنورة ، تلقى تعليمه فيها فحفظ القران والحديث ، ودرس اللغة العربية والفقه ، ومن العلماء الذين درس عليهم ابو الفرج المراغي ، يحي العلمي ومن علماء القاهرة الذين اخذ عنهم السنهوري ، الامين الاقصرائي وغيرهم . النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ج3 ، ص605.

(4)المقريزي ، درر العقود ، ج3 ، ص387. ؛ اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، ص190

وايضاً عيسى الزواوي المغربي (ت887هـ/1473 م) ، كان من طلاب العلم بالجامع الازهر ، الا ان المصادر لم تمدنا بمعلومات عن العلوم التي درسها او العلماء الذين اخذ عنهم [1] ، هو من العلماء المغاربة الذين قصدوا بلاد الحرمين اكثر من مرة لاداء فريضة الحج ، وقد جاور في مكة بعد الحج ، كما قام بتدريس طلبة العلم من المبتدئين الفرائض والحساب [2]

---

[1] السخاوي ، الضوء الامع ، ج6 ، ص159

[2] البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256هـ/ 869م) ، صحيح البخاري ، القاهرة ، 1958م ، ج1 ، ص27



ثانياً : اسـهامات العلمـاء المغاربـة فـي علـوم اللغـة العربيـة وكـذلك علـم النحو :

اللغة العربيـة مـن اقـوى وسـائل الترابط بـين العـرب انفسـهم ، وبيـنهم وبـين المسـلمين الذين يتكامونها في البلاد الاسلامية ، واللغة العربية هي اساس العلاقات الحضارية والثقافية والاجتماعية بين العرب ، تتوحد بها اساليب التفكير في الامة العربية [1] ، يقـول ابـن خلـدون : " احسـن الملكـات واوضـحها ابانـة عـن المقاصـد لدلالـة غيـر الكلمات فيها على كثير من المعني ... وليس بوجود ذلك الا في لغة العرب " [2] يقول الطبري : " ان الله جل ثناؤه انـزل جميـع القران بلسان العرب دون غيرها من السن سائر اجناس الامم " [3] وبهذا اكسبها اصالة وانتشار واسع فأستحقت العناية والحفاظ عليها مـن التـأثيرات اللغويـة الاجنبيـة ، وان احتكـاك العـرب بالشـعوب التـي دخلت الاسلام ، ادى الى تسرب بعض المفردات الاعجمية الى اللغة العربية ، مما دعا العلماء العرب الى العمل على حمايتها ، وان اول من وضـع اسس اللغة العربية ابو الاسود الدؤلي [4]

---

(1)معروف ، ناجي ، اصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، 1975م ، ص244

(2)المقدمة ، ص546

(3)جامع البيان في تأويل القران ، ج1 ، ص21

(4)ابو الطيب ، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، مراتب النحويين ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1954م ، ص10

وايضاً ذكر الزبيدي : " هو اول من اسس العربية ونهج سبيلها ، ووضع قياسها وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم "[1] وهو اول من وضع نقط المصحف ليعين حركات الاعراب ، واول من وضعة اساس مدرسة البصرة في النحو [2]

وقال الثعالبي : " من احب الله احب رسوله ، ومن احب النبي العربي احب العرب ، ومن احب العرب احب اللغة العربية التي نزل بها افضل الكتب على افضل العجم والعرب ومن احب العربية عني بها وثابر عليها وصرف مهمته اليها " [3] ان فضل اللغة العربية انما يعود الى القران الكريم الذي نزل بها قال تعالى : { انا انزلناه قرأناً عربياً لعلكم تعقلون } [4]

ان من اهم العلماء المغاربة الذين قاموا بتدريس اللغة العربية حين نذكر منهم محمد بن ابراهيم بن ابي العباس بن عبد الله التونسي (ت 835هـ /1431م) ، تونسي الاصل ولد في مكة ، نشأ وتلقى تعليمه فيها ، فختم القران ، وتعلم اللغة العربية والنحو ولم يذكر السخاوي من العلماء الذين درس عليهم سوى الجلال المرشدي [5] يعد احد العلماء المغاربة الذي قام بتدريس اللغة العربية والنحو في مكة ، واستفاد

---

(1)الزبيدي ، ابو بكر محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، مصر ، 1954م ، ص13

(2)المصدر نفسه ، ص14

(3)الثعالبي ، ابو منصور عبد الله بن محمد (ت430هـ) ، مقدمة فقه اللغة واسرار العربية ، بيروت ، ب. ت ، ص2

(4)سورة يوسف ، اية 3

(5) السخاوي ، الضوء الامع ، ج6 ، ص244

منه طلبة العلم فيها ، الا ان المصادر لم تمدنا بمعلومات عن تلاميذه او مصنفاته[1] كذلك نجد يحيى بن احمد ابا زكريا المعروف بالعلمي (800 ــ 888 هـ/ 1397 ــ1483م) ، ولد في مدينة قسنطينة من بلاد المغرب ، نشأ بها وحفظ القران واخذ العلم من علمائها امثال عمر القلشاني قاضي الجماعة ، ثم سافر الى القاهرة اما العلماء الذين اخذ عنهم الهمام ، القاياتي ، الزين الزركشي ، ابن حجر العسقلاني ، ثم انتقل الى بلاد الحرمين وتعلم على مشاهير العلماء بها امثال ابي الفتح المراغي والجمال الكازروني [2] ويعد من مشاهير المغاربة الذين قصدوا مكة المكرمة للحج اكثر من مرة ، المرة الاولى عام 841هـ/ 1437م ، اما المرة الثانية عام 875هـ/1430م وجاور فيها حيث اشتغل بتدريس اللغة العربية وعلومها وتميز في علم الحديث وعلم الفقه وعلم المنطق وله العديد من المصنفات ، منها شرح على المدونة والمختصر والرسالة بخط يده [3] وايضاً يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الاصبحي (743- 809هـ/ 1343- 1406م) ، تعلم اللغة العربية والحديث في بلاد المغرب ، ومن العلماء الذين درس عليهم عبد الله بن مرزوق ، ابو الحسن البطراني وغيرهم [4] وهو من العلماء الذين وفدوا على مكة المكرمة لاداء فريضة الحج وجاور فيها ، واشتغل بتدريس اللغة العربية والشعر في مكة ، ولم تمدنا المصادر بمعلومات عن مصنفاته او تلاميذه [5]

---

(1)ابن حجر ، انباء الغمر ، ج2 ، ص378

(2)التنبكتي ، نيل الابتهاج ، 636-637

(3)السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ص217

(4)المقريزي ، درر العقود ، ج3 ، 522- 523

(5)ابن حجر ، انباء الغمر ، ج2 ، ص376

اما علم النحوا : هو علم تعرف به احوال التراكيب العربية من الاعراب والبناء وغيرها [1] لقد ظهر كعلم معمول به لغرض المحافظة على اللغة العربية وسلامتها من دخول المفردات الاعجمية اليها وتفشي اللحن فيها فوضعوا القواعد التي تمنع

اللحن فيها ، فعرفت هذه القواعد بعلم النحو وايضاً ان العامل الاساس في ظهوره هي المحافظة على لغة القران الكريم من التحريف واللحن اثناء قراءته [2]

يقول ابن خلدون : " وخشي اهل العلم منهم ان تفسد تلك المملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القران والحديث على المفهوم فأستنبطوا من مجاري الكلام قوانين لتلك المملكة مطروة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء ... ثم رأوا تفسير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فأصطلحوا على تسمية اعراباً وتسمية الواجب لذلك التغير عاملاً وامثال ذلك كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو " [3]

اما نشاط حلقات علوم اللغة العربية ، فقد اهتم معظم علماء الحجاز ومجاوريه حيث كانت علوم اللغة العربية تدرس ضمن حلقات العلم الاخرى ، كما كان بالحرم المكي والمسجد النبوي حلقات خصصت لتدريسها من لغة ونحو، وصرف ، وشعر ، بالإضافة الى المعاني والبيان ، ويكاد لا يخلو عالم أو فقيه من اهتمام بالنحو ، ونجد كثيراً من الفقهاء علماء في النحو ، وبلغ اهتمامهم بهذا المجال حفظ امهات

(1)الجرجاني ، التعريفات ، ص295
(2)القرطبي ، الجامع لاحكام القران ، ج1 ، ص63
(3)المقدمة ، ص546

الكتب ، ففي اللغة والنحو ، كان لمحمد بن فرحون بن محمد بن فرحون (ت 721 هـ /1321 م) ، حلقة بالنحو في المسجد النبوي[1].

كما كان هناك دروس في النحو يقوم بها عبد الواحد بن ابراهيم بن احمد المرشدي(ت 838 هـ / 1434 م) [2] ، بالمسجد الحرام ، حضر عنده واخذ عنه عمر بن ابي راجح القرشي العبدلي (ت 881 هـ / 1476 م) [3] ، كما قام بالتدريس في المسجد الحرام في علوم اللغة العربية ، محمد بن محمود الخوارزمي (ت 813 هـ / 1410م) وصهره محمد بن اسحاق الخوارزمي (ت 827 هـ /1423 م) ، وسمع عليهما كثير من الطلاب ومنهم العفيف المطري واليافعي[4] وممن اشتغل في الادب والشعر وكان لهم حلقات في الحرمين الشريفين ، اديب مصر ابراهيم بن محمد القيراطي (ت 781 هـ / 1379 م)، الذي اسمع كثيراً من نظمه بالمسجد الحرام ومنها ديوانه مطلع النيرين [5] وكانت هناك دروس في الاصول والمعاني والبيان والمنطق يقوم بها علماء اجلاء مثل حسام الدين الأبيوردي ، حضر عنده المحب بن ظهيرة وغيره من الطلبة ، وكذلك دروس الشيخ لطف الله السمرقندي ، حضر عنده واخذ عنه ابراهيم بن علي البيضاوي[6] اما الكتب التي تدرس في هذه الحلقات فهي الكافية الشافية وقصيدة البوصيري والمفصل وقطر الندى والبردة والتسهيل والمقدمة وغيرها من كتب اللغة العربية ومختصراتها وشروحاتها[7].

---

(1) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج3 ، ص710.
(2) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج3 ، ص558.
(3) النجم بن فهد ، الدرر الكمين ، ص160.
(4) السيوطي ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص240 ، 241.
(5) الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص217.
(6) النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص45.
(7) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ج2 ، ص125.

ثالثاً : الشعر :

نشط الشعر في الحجاز وطغى على غيره من فنون اللغة العربية ، وخاصة مكة التي استقر فيها عدد كبير من الشعراء، وامتلأت كتب التراجم بأشعارهم ، حتى ان امراءها من الاشراف كانوا يجيدون الشعر والتغني به ، فقد كان الشعر عمود المجالس ، وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين . وقد ساعد على نشاط الشعر في الحجاز، مناظرة علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج وكان منهم اساتذة كثيرون يعلمون الناس اللغة العربية في الحرمين المكي والمدني ، وكان منهم من يقوم بتعليم الصبية في الكتاتيب مما ادى الى تمكنهم في اللغة العربية [(1)].

والشعر يمثل الواناً مختلفة من المدح والهجاء والغزل والمدائح النبوية ، والاخير هو الذي انتشر في جميع انحاء العالم الاسلامي ، خاصة بلاد الحجاز ، وليس هذا غريباً ؛ لان ذلك ناشئاً من وجودهم في المشاعر المقدسة فلا يكاد عالم من علماء الحجاز ومجاوريه البارزين ، الا وله نظم ومدح في سيد المرسلين محمد (ﷺ) .والمدائح النبوية فن من فنون الشعر التي اذاعها التصوف ، فهي لون من الوان التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من ابواب الادب الرفيع ، وهذه المدائح النبوية نظمت في الرسول (ﷺ) ، و الشعر الذي يقال في ميت رثاء ولكنه في الرسول (ﷺ) مديح ؛ وكأن في استبدال كلمة مديح بكلمة رثاء اشارة الى النبي (ﷺ) كأنه موصول الحياة ، نظراً لان شريعته حية[(2)].

ومن اشهر من فتح باب المدائح النبوية هو محمد بن سعيد بن حماد البوصيري (ت694هـ/1294م) [(3)] وخاصة في قصيدته الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة .. ونالت هذه القصيدة شهرة كبيرة في جميع انحاء العالم الاسلامي؛

---

(1) الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص64

(2)امين ، بكري شيخ ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ط4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1986م ، ص261.

(3) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص 432.

ذلك ان هذه القصيدة بما رافقتها من اخبار وروايات ، اثرت في جمهور المسلمين ، فحفظها الناس ورووها ، وحفظوها ابناءهم واحفادهم وقراؤها في المناسبات ، واثرت في حركت التأليف ، فكثر شارحوها والمعلقون عليها ، وبهذه الشروح والتعليقات وجدت ملاحظات علمية ولغوية قيمة ؛ ما كانت لو لا وجود القصيدة ، واثرت في الدراسات التاريخية ، حيث اظهر المؤلفون ما تضمنته في اشارات تاريخية ودينية ، واثرت في الحركة الادبية ، فكثر تشطيرها وتخميسها وتسبيعها وتعشيرها ومعارضتها، واوجد فناً جديداً عرف باسم البديعيات(1).

لقد قدم اشهر شعراء الصوفية الى الحجاز واقاموا بها مدة متقطعة امثال ابن الفارض عمر بن علي (ت 633 هـ / 1235 م) الذي قدم مكة وفاضت قريحته الشعرية بها ، ونظم اكثر شعره في احد اوديتها التي اعتزل به ، ورجع الى بلده مصر بعد خمسة عشر عاماً (2). وكذلك ابن عربي محمد بن علي بن محمد الحاتمي (ت 638 هـ /1240م) الذي اقام بالحجاز مدة ، وله كثير من المؤلفات مثل الفتوحات المكية ، ومحاضرة الابرار ومسامرة الاخيار وفتح الذخائر والاعلاق في شرح ترجمان الاشواق وديوان الشعر وغير ذلك من المؤلفات(3) ، وذكر الفاسي ان له شعر كثير جيد من حيث الفصاحة(4).

ومن علماء الحجاز الذين كان لهم اهتمام بهذا اللون من الشعر محب الدين الطبري (ت 694 هـ / 1294م) ، وله القبس الاسنى في كشف غريب المعنى والدرة الثمينة في مدحه(ﷺ) وله ديوان شعر رآه الفاسي في مجلد وفيه قصيدة نحو مائة

---

(1) امين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ص226 ، 227.

(2) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج5 ، ص75 ، 79.

(3)الصفدي ، صلاح الدين (ت764هـ/ 1362م) ، الوافي بالوفيات ، ط2 ، 1394هـ/ 1974م ، ج4 ، ص173 ، 178.

(4)الفاسي ، العقد الثمين ، ص160.

وستين بيتاً ، ذكر فيها المنازل بين مكة والمدينة[1] وممن اشتهر بالشعر الصوفي والمديح النبوي عبد الله بن اسعد اليافعي (ت 768 هـ / 1366 م) نزيل مكة المكرمة وشيخ الحرم ، وله في الصوفية وتراجمهم ، كما مر بنا كتاب روض الرياحين وحكايات الصالحين ومن غزله الصوفي :

قفى حدثاني فالفؤاد عليـلُ　　　عسى الله يشفي بالحديث غليلُ

احاديث نجد تملانى بذكرها　　　فقلبي الـى نجد اراه يميلُ

ولا تذكرا لي العامرية انهـا　　　يوله عقلي ذكرها ويزيلُ [2]

وله بجانب هذا الغزل الصوفي مداح نبوية كثيرة منها قوله في احدى مدائحه :

نبي على فوق السماوات منصباً　　　بدا نوره من قبل نشأة ادم

به الدهر اضحى ضاحكاً مبتسماً　　　عبوساً على اعدائه غير باسم[3]

بالإضافة الى المدائح النبوية ، فقد كان مديح الامراء الاشراف سمة من سمات شعراء الحجاز ، واكثر شعرهم يتناول نسبهم العريق الى الرسول (ﷺ) ، وانهم الاحق بالخلافة ، وانهم العادلون ولا يعدل في الدنيا سواهم ، وانهم خير البرية .

كما شارك الامراء اما بتشجيع الشعر او المشاركة به ، واشتهرت اسرة ابن العليف بالأبداع في فنون الشعر من مدائح نبوية وغزل وهجاء وغير ذلك ، ومن اشهر شعراء الحجاز علي بن محمد الحنديدي موفق الدين (ت 707 هـ / 1307م) ، كان من الشعراء المشهورين الذين سكنوا مكة ، ومدح جماعة من امرائها ومنهم

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج3 ، ص68.

(2)المصدر نفسة ، ج5 ، ص111.

(3) ضيف ، تاريخ الادب العربي ، ج5 ، ص191.

ابي نمي ، وحميضة ، ورميثة ، وقد ساق التقي الفاسي امثلة كثيرة من شعره في الغزل والهجاء [1] .

ومن شعراء مكة المشهورين احمد بن غنائم المكي ، الشاعر المعروف بأبن غنائم(ت 741 هـ / 1340 م) ، الذي مدح امراء مكة ومنهم ثقبة الذي مدحه بقصيدة اغضبت بعض الاشراف بما فيها من تفضيل ثقبة عليهم ، كما مدح مبارك بن عطيفة بن ابي نمى [2].

ومن مشاهير شعراء الحجاز ، يحيى بن يوسف بن محمد المكي المعروف بالنشر(ت 782 هـ / 1380 م) ، الذي حضر دروس ابن عمه شيخ العربية ابي العباس النحوي ، ونال في الحديث اجازات مختلفة ، واهتم بالشعر والرسائل ، فكتب الانشاءلأمراء مكة في زمنه امثال عطيفة وابنيه مبارك ومحمد وابن عمهما عجلان بن رميثة، وكانت ملكته الشعرية خصبة ، ويقول مترجموه : " له شعر كثير سائر مدح وهجا به جماعة من الاعيان "[3].

اما الغزل فليس هناك شاعر من هؤلاء الشعراء السابق ذكرهم ، إلّا وله شعر في الغزل ، وقد اشتهر بشعر الغزل احمد بن ناصر بن يوسف الواسطي المكي (ت 772هـ / 1370 م) ، الذي كان شاعر الحجاز في وقته ، وقد اورد الفاسي شيئاً من الغزل[4] اضافة الى ذلك فقد قام كثير من شعراء الحجاز بمدح العلماء والقضاة والاعيان فعلى سبيل المثال ابراهيم بن احمد بن محمد الخجندي المدني (ت 851

---

(1)الفاسي ، العقد الثمين ، ج6 ، ص261 ، 266.

(2)المصدر نفسة ، ج3 ، ص115 ـ 116.

(3)المصدر نفسة ، ج7 ، ص452.

(4)المصدر نفسة ، ج3 ، ص191.

هـ / 1447م) الذي كان له كتاب الدر النفيس من اجناس التجنيس يشتمل على سبع قصائد يمدح بها قاضي القضاة البرهان ابراهيم بن جماعة[1].

(1) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج5 ، ص298.

المبحث الثاني :.

اولاً :. اسهامات العلماء في العلوم العقلية (المنطق والفلسفة)

من العلوم التي لاقت اهتمام كبير من قبل العلماء المغاربة وقاموا بتدريسها في بلاد الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ومنهم محمد بن يعقوب بن عبد الله الجمال بن الشرف (ت830هـ / 1436م) (1) وهو من العلماء المغاربة الذين استقروا في بلاد الحرميين ، واسهموا في ازدهار العلوم العقلية فيها ، فاشتغل بتدريس علم المنطق في المدينة ، ومن مؤلفاته مقدمة في علم المنطق كما اشتهر ايضاً في علم الفقه وله بعض المؤلفات فيه (2)

ومما سبق يتضح قلة عدد العلماء المغاربة الذين اشتهروا بتدريس علم الفلسفة ، وربما يرجع ذلك الى قلة اقبال المتعلمين على تعلم الفلسفة ، وانشغالهم بالعلوم الاخرى كالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها (3).

ولم تذكر المصادر وكتب التراجم حلقات خاصة لعلماء العلوم العقلية وانما ذكرت انهم درسوا بمكة والمدينة وكانت لهم دروس ، ولاشك ان هذه الدروس كانت بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، خاصة وان هؤلاء العلماء لم يعرف عنهم انهم درسوا بالدروس المخصصة او المدارس في الحرمين الشريفين ، لذا كانت هذه الحلقات اقل الحلقات اشتغالاً ونشاطاً ، وكانت تدرس ضمن حلقات العلوم الاخرى .

---

(1) محمد بن يعقوب مغربي الاصل ، ولد بالمدينة المنورة ، نشأ بها وتلقى العلم على علمائها ، امثال الوانوغى ، سافر الى القسطنطينية طلبا للعلم ، فدرس العلوم العقلية وتميز في علم المنطق . السخاوي ، الضوء الامع ، ج10 ، ص87.

(2)التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص558.

(3) اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، ص196

ومن اهم العلماء والمجاورين في الحجاز الذين اشتغلوا في هذه الحلقات بالعلوم دروس احمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري (878هـ/ 1473م) ، الذي درس بمكة والمدينة المنورة ، اللغة العربية والحساب والمنطق[1] وكذلك دروس حسين بن علي الزمزمي (ت821هـ/1418م) ، و حضر عنده المحب بن ظهيرة دروس الفرائض والحساب والفلك ، واخذ عنه اخوه ابراهيم بن علي الزمزمي (ت864هـ/ 1459م) ، الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والتحرير والميقات ، واستخراج التقاويم من الزيج والتواريخ[2].

ثانياً : اسهامات العلماء في علم التصوف

لم يكن في الحجاز اهتمام بعلم العقائد ، لذلك قل المشتغلون به والراغبون فيه ، اما التصوف فهو موجود عند كثيرين ممن ارادوا المجاورة بقصد العبادة فقط ، ومعظم هؤلاء كانوا يسكنون الاربطة المعدة للغرباء والمجاورين ، وممن كان له اثر في هذه العلوم خاتون بنت محمد بن علي الحطيني الاصبهاني ام محمد المكية (ت646هـ/ 1248م) الفت في التصوف كتاباً في خمسة مجلدات اسمته الرموز من الكنوز[3] ولقطب الدين القسطلاني (ت686هـ/1287م) في التصوف كتاب اقتداء الغافل باهتداء العاقل [4]

وايضاً اهتم العلماء المغاربة بعلم التصوف وقاموا بتدريسه في الحرمين الشريفين لكن كان عددهم قليلاً منهم عبد المعطي بن خطيب بن زائد بن جامع ابو المواهب [5] هو احد العلماء المغاربة البارزين في علم التصوف وطرق الارشاد والبيان

---

(1)السخاوي ، الضوء الامع ، ج2 ، ص252 ـ 253.

(2)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص45.

(3)الفاسي ، العقد الثمين ، ج8 ، ص202.

(4)الزركلي ، الاعلام ، ج5 ، ص323

(5) ولد ابو المواهب عام 829هـ في بادية تونس ، نشأ في تونس وتعلم فيها ، الفقه واللغة العربية ، ومن العلماء الذين درس عليهم ، عيسى الحصيبى ، وابي القسم المصمودي كما اخذ

للمريدين والمتصوفة ، دخل مكة سنة 860هـ / 1455م لأداء فريضة الحج ، توجه بعدها الى زيارة المدينة المنورة ، ثم عاد الى مكة حيث استقر فيها ، ودرس كتب النور الفاكهي[1] .

عنهم الزهد والتصوف ، ثم سافر الى القاهرة والتقى ببعض العلماء في الازهر الشريف ، ثم توجه الى مكة لأداء الحج ، واستمع الى العديد من علماء المدينة ومنهم ، الكازروني ، وابو الفرج المراغي . السخاوي ، الضوء الامع ، ج5 ، ص81،79.

(1)محمد بن علي بن محمد بن النور الفاكهي المكي ، ولد سنة 864هـ بمكة ونشأ وتعلم بها ، فحفظ القران والحديث ، وتعلم الفقه واللغة العربية واصولها ، ومن العلماء الذين درس عليهم ، التقى بن فهد ، الاميوطي ، وسمع من السخاوي اثناء وجوده في مكة ، والبرهاني بن ظهيرة وغيرهم . التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص557. ؛ اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، ص198

المبحث الثالث :

اولاً : اسهامات العلماء في علم التاريخ والانساب .

ان للدين الاسلامي اثر عظيم في تعميق النظرة التاريخية عن العرب المسلمين فضلاً عن العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث التي استهوت النهوض بالدراسات التاريخية [1] ففي القران الكريم اهتمام واضح باحوال الامم الماضية في السور المكية وذلك يدل بوجود معرفة بوقائع التاريخ عن اهل مكة ، لذلك حثهم القران الكريم على التفكير في هذه المعرفة من اجل التذكرة والموعضة كما في قوله تعالى : { فأقصص القصص لعلهم يتفكرون } [2] وان الدليل على معرفة اهل مكة المكرمة بعلم التاريخ كما في قوله تعالى : { وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين } [3] ان وجود المادة التاريخية في القران الكريم دفع المفسرين للبحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء به ، حيث اصبح الاهتمام بالمادة التاريخية احد فروع المعرفة التي نمت بالارتباط مع القران الكريم ولهذا فأن : " احسن ما يجب ان يعتنى به بعد الكتاب والسنة معرفة الاخبار وتقييد المناقب والاثار " [4]

---

(1)الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز زايد للتراث ، ابو ضبي ، 2000م ، ص32

(2)سورة الاعراف ، اية 176

(3)سورة الانعام ، اية 25

(4)السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار احياء التراث العربي ، دمشق ، 1935م ، ص49

حيث كانت السنة واجبة الاتباع لقوله تعالى : { لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة } [1] ومن خلال ذلك اصبح اهتمام المسلمين على دراسة السيرة الشريفة اذ كان على المرء المسلم الاحاطة بها وحفضها لان مفرداتها يستوجب الاقتداء بها [2] وان سكان المدينة المنورة هم اكثر معاينة لمفرادت السيرة من غيرهم ، فهم اعلم بها لانها كانت عندهم [3] ان السنوات التي كان فيها الرسول (ﷺ) بمكة المكرمة من المبعث الى الهجرة كانت سنوات نضال يصعب على اهل مكة تداول اخبارها ، لان المشركين في مكة حينذاك مثلوا الطرف الرئيسي المعادي للدعوة الاسلامية ، في حين كان دور المهاجرين والانصار وهم الطرف المقابل الذي تبنى حمل راية الدعوة والذود عنها وقد وردت هذه المواقف في كتب السيرة ومنها كتاب ابان بن عثمان [4]

---

(1)سورة الاحزاب ، اية 21

(2)السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص86

(3)ابن تيمية ، مقدمة في اصول التفسير ، ص60

(4)ابن حبان ، محمد بن احمد التميمي (ت 354هـ/ 965م) ، مشاهير علماء الامصار ، تحقيق : مجدي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م ، ص67

وان علم التاريخ من العلوم التي اهتم بها المغاربة وتميزوا فيها ، إلّا انّه من استقر منهم في بلاد الحرمين كانوا قلة ومنهم محمد بن احمد بن علي تقي الدين الفاسي (775- 832هـ / 1373- 1438م) (1) ، هو من المغاربة الذين استقروا في بلاد الحرمين ، وتميز في دراسة التاريخ والسير حيث كان واسع الحفظ ، اهتم بأخبار مكة ومعالمها واوضح خططها ومواقعها وتحدث عن مآثرها، وترجم لأعيانها ،ومن مؤلفاته الشهيرة كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ويقع في مجلدين ، جمع فيه ما ذكره الازرقي(2).

ومما سبق نجد قلة عدد العلماء المغاربة الذين تخصصوا في التاريخ والانساب واستقروا بالحرميين ، وقد ظهر منهم من تخصص في الحديث عن مكة واثارها مثل تقي الدين الفاسي ، وعبد القوى البجائي ، مما اسهم في اثراء الكتابة التاريخية وصارت مصدراً رئيسياً لمن كتب بعدهم في هذا المجال .

قد توافر لبلاد الحرمين المناخ المناسب لاستقبال اعداد كبيرة من العلماء المغاربة ، وانظم المغاربة لإخوانهم من العلماء المكيين والمدنيين وغيرهم القادمين من البلدان الاسلامية المختلفة ، حيث اسهم العلماء المغاربة في ازدهار الحياة العلمية والفكرية في العديد من العلوم الشرعية كتعليم القران وتدريس التفسير والحديث

---

(1)تقي الدين الفاسي ولد في مكة نشأ وتعلم في كل من مكة والمدينة وتلقى تعليمه فيهما فحفظ القران والحديث وتعلم اللغة العربية والفقه ، ومن العلماء الذين درس عليهم فاطمة ابنت الشهاب الحرازي ، الشهاب ابن الناصح ، القاضي نور الدين بن علي النويري ، ابن صديق ، وغببيرهم ومن علماء القاهرة الذين اخذ عنهم ابن الملقن ، التنوخي وغيرهم كما اخذ من علماء دمشق ومنهم ابو هريرة ابن الذهبي ، وابن ابي المجد وغيرهم وقد اجازه العديد من العلماء في التدريس والافتاء ومن هؤلاء البرهان الابناسي والشمس القليوبي . المقريزي ، درر العقود ، ج3 ، ص123- 124 ؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص518.

(2)محمد بن عبد الله بن احمد ابو الوليد الازرقي المكي ، مؤلف كتاب اخبار مكة المشرفة وما جاء فيها من الاثار ، كان حياً في خلافة المتوكل العباسي . الفاسي ، العقد الثمين ، ج2 ، ص49ـ50 ؛



والفقه وكذلك علم المواريث والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة ، كما كانت لهم اسهامات في مجال التصوف ، والكتابة التاريخية وعلم الانساب [1].

ويمتاز التاريخ عند المسلمين على سواه عند سائر الامم التي تحضرت قبلهم بكثرة ما كتبوه من التراجم وعنهم اخذ مؤرخو العالم تأليف المعاجم التاريخية ، فالمسلمون الفوا في التاريخ الكثير من الكتب التي تناولت التاريخ المحلي والاقليمي والعالمي ، وما من امة قبل العصر الحديث بلغت في هذا العالم ما بلغه المسلمون[2].

وكان لكثير من العلماء ومحبي التاريخ مشاركات فعالة في كتابة التاريخ المحلي والعالمي ، والتأليف في تراجم الرجال والعلماء وان اتسمت الكتابة التاريخية في هذه المدة بالموسوعية ، والنقل عن مؤرخي الاسلام في العصور السابقة ، وعلى كل حال فأن الكتابة التاريخية وكتابة التراجم تعنيان ان المسلمين ما زالوا مؤثرين وفاعلين في التاريخ ، كما ان ذلك يعني ثقة بالنفس ووعياً بالذات[3].

غير ان الحجاز تعرضت للإهمال التاريخي ولم يلق الاهتمام الكافي من المؤرخين ، فهناك فجوات وثغرات مجهولة في تاريخها العلمي والحضاري .

وقد شكا من هذا الاهمال مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي بقوله : " واني لأعجب من اهمال فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعته ، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القصطلاني لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن ، ولعمري لو جمع

---

(1)اسماء جلال صالح عامر ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، ص201

(2) زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج3 ، ص107 ـ 108.

(3)العمري ، ابن فضل الله (ت 749هـ/ 1348م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ، ط1 ، 1407هـ/ 1986م ، ج2 ، ص29 ـ 30.

ذلك لبلده لكان احسن ، فأن الحاجة اليه داعية ، وفي ذلك فوائد غير خافية " [1]، كما ان الفاسي استباح لنفسه العذر فيما كتبه من تاريخ مكة ، بسبب انه لم ير مؤلفاً في تاريخ مكة يستضيئ به [2].

إنَّ اقدم ما ذكرته المعاجم في تاريخ مكة هي مؤلفات محمد بن عمر الواقدي(ت 207 هـ / 822 م) [3] ، وعلي بن محمد المدائني (ت 225 هـ / 839 م) [4] وغيرهم ، ويمكن القول ان هذه المؤلفات سلسلة اعتمد لاحقها على سابقها ، دونت في زمن واحد وقد فقد اكثر هذه الكتب ، ولم يبقِ منها الا تراث نفيس .

ومنذ نهاية القرن الثالث الهجري ، حتى بداية القرن السادس الهجري ، لم يؤلف في تاريخ مكة سوى رزين بن معاوية العبدري الاندلسي (ت 525 هـ / 1130 م) ، امام المالكية بالمسجد الحرام في مؤلفه كتاب مكة[5]، وهو ملخص من كتاب الازرقي اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، ثم اتى من بعده المحب محمد بن محمود بن النجار البغدادي (ت 643 هـ / 1245 م) ، والف كتاب نزهة الورى في ذكر ام القرى [6].

---

(1)العقد الثمين ، ج1 ، ص10.

(2)المصدر نفسه ، ج1 ، ص11.

(3)محدث ، حافظ ، مؤرخ ، اديب ، فقيه ، ولد بالمدينة المنورة ، وانتقل الى بغداد واقام بها الى ان توفي ، وكانت له مكانة عند الخليفة المأمون ، ومن تصانيفه تاريخ الفقهاء ، والسنة والجماعة ، وتفسير القران ، واخبار مكة . ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت 385هـ/ 995م) ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ص144.

(4) مؤرخ ، رواية للشعر ، نشأ بالبصرة ، وسكن المدائن ، ثم انتقل الى بغداد ، من تصانيفه اخبار المنافقين و عهود النبي (ﷺ) وكتاب الردة و امهات النبي (ﷺ) . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج10 ، ص400

(5) الفاسي ، العقد الثمين ، ج1 ، ص10.

(6) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، عني بنشره القدسي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403هـ/ 1983م ، ص132.

ومما سبق قوله في مكة ، يمكن قوله في المدينة المنورة ، إذ إنَّها لاقت الفتور والاهمال ، وقد شكا من هذا الاهمال المؤرخ الشهير السخاوي الذي الف في تاريخ المدينة " وكان مما حداني على هذا الجمع ، الذي تقر به العين ، ويصغي اليه صحيح السمع ، انني لم اجد فيه مصنفاً يشفي الغليل ، وينفي الجهل بأتضاح المقال والتعليل مع مسيس الحاجة اليه ، والتنفيس به عن المكروب ، حيث لم يجد في ذلك ما يعتمد عليه ، هذا وقد افردوا اهل كثير من البلدان كبغداد والشام ، ومصر واصبهان الى غيره مما يطول بذكره هذا البيان ، مع كون هذه احق بالتنويه ، واصدق في الوجاهة والتوجيه " [1].

وقد حظي الحجاز من منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بوجود الكثير من المؤرخين والعلماء الذين ارخوا لهاتين المدينتين المقدستين ولعلمائها ومجاوريها واثارها ، اضافة الى مؤلفاتهم الاخرى في المدن او الاعلام وغير ذلك .

فقد الف احمد بن علي العبدري الميورقي (ت678هـ/1279م) ، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج [2] ، وارخ قطب الدين القسطلاني (ت686هـ/ 1287م) لحريق المسجد النبوي الذي وقع في زمانه في كتابه عروة التوثيق في النار والحريق وله في تاريخ اليمن كتاب فواصل الزمن في فضائل اليمن ومنهاج النبراس في فضائل العباس[3] ، وشارك المحب الطبري (ت 694هـ/ 1294م) في الاهتمام بعلم التاريخ ، فألف كتاباً عن فضل مكة ، بالإضافة الى مؤلفاته في العلوم الشرعية

(1) التحفة اللطيفة ، ج1 ، ص19.

(2) الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، ط8 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1409هـ / 1989م ، ج1 ، ص175.

(3) الزركلي ، الاعلام ، ج4 ، ص11.

التي هي مزيج بين الحديث والفقه والتاريخ[1] ومن مشاهير مؤرخي المدينة ، ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون(ت 799 هـ / 1396 م) الذي ألف الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، واحمد بن عبد الله الغزي (ت 822 هـ / 1419 م) ، الذي لخص الوفيات لابن خلكان [2].

وفي الانساب ألف احمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا المعروف بابن عمبه الحسني (ت 828 هـ / 1424 م) كتابين بحر الانساب وعدة الطالب في نسب آل طالب [3].

ومن مشاهير العلماء المؤرخين في مكة النجم عمر بن فهد (ت 885 هـ / 1480م)، الذي تلقى العلم على ايدي علماء متخصصين في الدراسات الدينية والادبية والتاريخية، وقد اهلته حصيلته العلمية الواسعة للتدريس والتأليف ، حيث ألف كثير من الكتب في علم التاريخ ، كما ان الرحلات التي قام بها النجم بن فهد ، ولقاءاته بالعلماء ، ادت الى اعطائه خبره واسعة بعلم التراجم ، وقد صنف مصنفات كثيرة في تاريخ مكة ، اصبحت مصدراً من المصادر الاولية للباحث في تاريخ الحجاز [4].

---

(1)السبكي ، عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ/ 1369م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو و محمود الطناحي ، ط1 ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1385هـ/ 1966م ، ج8 ، ص18 - 19.

(2) النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص33.

(3)العز بن فهد ، غاية المرام ، ج2 ، ص39.

(4)النجم بن فهد ، معجم الشيوخ ، ص38

ومن هذه الكتب الدرر الكمين بذيل العقد الثمين ، وهو تتمه لكتاب العقد الثمين ، وقد عالج النجم بن فهد فيه بعض مالم يتناوله صاحب العقد الثمين او ما استجد من احداث بعد وفاة مؤلفه [1].

ويعد هذا الكتاب ذا قيمة علمية كبيرة لما تضمن من معلومات دينية وتاريخية وادبية عوضاً عن تقصيه لمجموعة كبيرة من تراجم لرجال ونساء ينتسبون لعصور مختلفة ، وتبرز قيمة الكتاب العلمية في معالجته لتاريخ مكة المكرمة ، وفي ذلك المستوى العلمي للمنهجية الرائعة ، فقد تحرى النجم بن فهد في كتابه هذا الدقة والامانة العلمية في ذكر المصادر التي استقى ابن فهد منها اخباره والتي قد تكون كتباً او اخباراً شفوية او اجازات علمية ، مما يدل على تعدد المصادر، وقد اعتمد في كتابه على كتب المتقدمين، والسماع من المعاصرين خاصة مشايخه ، بالإضافة الى المعلومات الشخصية التي اكتسبها من نشاطاته العلمية .

اما كتب السيرة النبوية فقد كان لكتاب السيرة النبوية لابن هشام شهرة واسعة في انحاء العالم الاسلامي ، وكان له هذا النصيب في الحجاز ايضاً ، فقد حدث به كثير من العلماء في الحرمين الشريفين ، وقلما نجد عالم من العلماء لم يقرأ او يسمع هذا الكتاب.

وممن اهتم من علماء الحجاز بتأليف كتب السيرة، المحب الطبري (ت694هـ/1294م) الذي الف كتاب السيرة النبوية ، وله كذلك خلاصة سير سيد البشر [2].

(1) السخاوي ، الضوء الامع ، ج6 ، ص12.

(2)ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج1 ، ص348.

ثانياً : الجغرافيا

لاشك ان مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين ، دعت كثيراً من الرحالة المسلمين يقدمون الى هذين البلدين المقدسين ، وقاموا بتأليف كتبهم التي حوت تفاصيل كثيرة عن البلدان التي قاموا بزيارتها والمرور عليها اثناء قدومهم للحج والزيارة بالإضافة الى وصفهم للاماكن والاثار الاسلامية بالحجاز ومن هؤلاء ابن جبير ، وابن بطوطة ، وابن رشيد وغيرهم الذين استفاد منهم علماء الحجاز ومؤرخوه ، مثل الفاسي والسمهودي في كتبهم التي تضمنت كثيراً من التعريفات والاوصاف الجغرافية لمكة والمدينة [1].

كما كانت كتب الازرقي والفاكهي وياقوت من المصادر المهمة للمعلومات الجغرافية التي اوردها علماء الحجاز في تلك الفترة ضمن مؤلفاتهم التاريخية .

فكتاب المطري التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة ضمن وصفاً جغرافيا للمدينة المنورة واوديتها ومساجدها وحدود حرمها ، وهو من الكتب المهمة التي اعتمد عليها كثير من العلماء الذين كتبوا عن جغرافية المدينة بعد المطري[2].

وكتاب العقد الثمين الذي تضمن الباب الاول منه ، ذرع مكة ، وجبالها ، وفي الباب الثامن ذرع الكعبة ، وفي الباب الحادي والثاني والعشرون ، ذكر الاماكن المباركة التي ينبغي زيارتها وغير ذلك من التعريفات للاماكن والبلدان في ثنايا التراجم التي ارخ لها الفاسي[3].

كما تضمن الباب الاول من كتابه شفاء الغرام ، دراسة طبوغرافية عن مكة المكرمة في عهده فأورد وصفاً شاملاً لمكة ، كما تحدث بإسهاب عن الاسوار التي كانت تحيط مكة وحالات الاصلاح والدمار التي اصابتها من جراء الصراع الاسري

---

(2)الفاسي ، العقد الثمين ، ج4، ص68

(2)المطري ، محمد بن احمد (ت741هـ/ 1340م) ، التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، 1402هـ ، ص63 ، 70.

(3)الفاسي ، ج1 ، ص28 ، 104.

بين امراء مكة الاشراف ، كما اشار الى الامتداد العمراني الذي وقع لمكة منذ عهد الفاكهي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وحتى ايامه ، وتتضح لنا معاناة الفاسي في كتابه هذا الباب اذا علمنا انه قام بذرع مكة المكرمة من حدها الشمالي الى حدها الجنوبي والجنوبي الغربي(1).

كما تضمن كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي كثيراً من الوصف الجغرافي للمدينة المنورة ، واعتمد في كتاباته على الكتب التاريخية لابن زبالة وابن النجار ، ومثال ذلك الباب الرابع منه الذي يتحدث فيه عن اودية المدينة المنورة وحدودها وجبالها وجهاتها(2).

وكذلك احتوى كتاب وفاء الوفا للسمهودي ، في الفصل الثامن منه على بقاع المدينة المنورة واعراضها، واعمالها وقد رتب اسماءها على حروف المعجم(3).

ويعد العالم المشهور الفيروزابادي اشهر من كتب في جغرافية مدن الحجاز فقد ألف كتابه المغانم المطابة في معالم طابه (4) وهو كتاب في مجمله تاريخي يشتمل على ستة ابواب ، الاول منه في فضل الزيارة ، والثاني في تاريخ البلد المقدس ، وذكر من سكنه ، والثالث في اسماء المدينة ، والرابع في الفضائل المأثورة وبناء المسجد النبوي وذكر الدور التي حوله وظهور نار الحجاز ، اما الباب الخامس فيتحدث عن ذكر اماكن المدينة ومساكنها وقرائها ، ومساجدها ، وجبالها وهو اطول

---

(1) شفاء الغرام ، ج1 ، ص14.

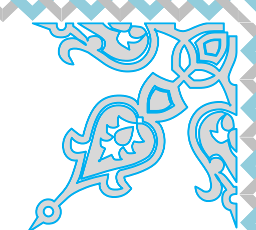
(2) المراغي ، زين الدين ابي بكر بن الحسين بن عمر (ت816هـ/ 1413م) ، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق : محمد عبد الجواد الاصمعي ، ط2 ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، 1401هـ/ 1981م ، ص181 ، 196.

(3) وفاء الوفا ، ج4 ، ص1116 ، 1332.

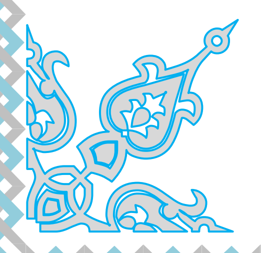
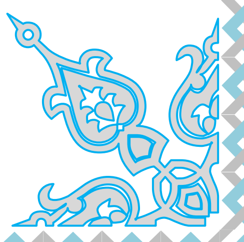
(4)مطبوع وقد حقق الجزء الخامس منه حمد الجاسر ، وتوجد منه نسخة كاملة مصورة بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى .

ابواب الكتاب واهمها ، وهو القسم المطبوع ، والباب السادس في تراجم من ادركهم في المدينة من شيوخ المدينة وغيرهم ، وقد اعتمد في كتابه هذا كثيراً على معجم البلدان لياقوت الحموي ، كما استفاد من مؤرخي المدينة السابق ذكرهم ، ورغم ان السمهودي نقل كثيراً عن الفيروز ابادي في كتابه وفاء الوفا إلّا انه انتقده في مواضع كثيرة بحجة ان الفيروز اباي ألف كتابه وهو غائب عن المدينة معتمداً على ما كتبه غيره عنها (1).

(1) وفاء الوفا ، ج3 ، ص808 ، 842.

الخاتمة

الخاتمة

لاشك ان البحث والدراسة في تاريخ العلوم والحركة العلمية في الاسلام ، من امتع الموضوعات التي يمكن تناولها في تاريخ الحضارة الاسلامية ، بل وفي التراث الاسلامي عامة ، انه الموضوع الذي يمثل الوجه المشرق في حضارات الامم .

1. تأتي تسمية المغرب في بعض المصادر البلدانية للدلالة على البلاد الواقعة ما بعد بلاد مصر وتشمل مصر في بعض الاحيان ، وبلاد الاندلس كذلك ، او انها تدل على المغرب الاقصى فقط ، فيجب الانتباه لما يقصد بها من قبل المؤلفين بالدقة المتناهية ، وعليه جاء الاختلاف في تحديد حدود بلاد المغرب من مؤلف الى اخر ، او من فترة الى اخرى ، اما تقسيمات بلاد المغرب خلال القرنين السادس والسابع الهجري الثاني عشر والثالث عشر الميلادي فقد كانت (افريقيا / المغرب الاقصى / السوس الاقصى) ، اما التقسيمات المتعارف عليها (المغرب الادنى / المغرب الاوسط / المغرب الاقصى) .
2. لبلاد الحجاز اهمية في نفوس العرب المسلمين وهي مركز استقطاب العالم الاسلامي بوصفها مهد الاسلام الاول فمنها شع نوره وفيها بيته الحرام وقبر نبيه الاعظم (ﷺ) ومنها عقدت رايات الفتح لتملأ الارض خيراً وعدلاً ، وبما ان الحجاز مركز استقطاب المسلمين على مدار التاريخ الاسلامي ، الى ان يرث الله الارض وما عليها ، فكل مسلم على استعداد لتحمل المشاق في سبيل الوصول الى المسجد الحرام ونتيجة لذلك ظهرت ما يسمى الرحلات الحجازية والتي تعد وسيلة من وسائل التواصل بين البلدان الاسلامية والمسلمين .

3. ان اهم الروابط التي كانت تربط بين الحجاز والمغرب الاسلامي هي ذكر عن الدين والنسب واللغة ، حيث ارتبط عدد من المغاربة بالمصاهرة مع اهل الحجاز وشملت المصاهرة جزء من الشعب الحجازي والمغربي ، وامتد الترابط الى حد الاستقرار بالحجاز وامتلاك الاراضي واستصلاحها .
4. ازدهرت مظاهر العمران والحضارة في عهد بني مرين ، بعد ان اصبحوا اقوى ملوك المغرب ، حيث انهم ورثوا تقاليد الحضارة والفن ونقلوها وطبقوها في مدنهم وقصورهم ، حيث امتاز الفن المريني باستعمال الحجر الغير منقوش والنقش على الخشب ، وترصيع المنارات بالزليج ، وترجع روعة العمران الى الذوق المغربي والحس الفني والدقة والتنوع .
5. كان لنشاط حركة المجاورة الاثر الكبير في زيادة الاهتمام بالمؤسسات العلمية في الحرميين الشريفين ، خاصة الربط التي ينزل بها هؤلاء المجاورين .
6. يجب الاشارة الى ان الرحلات اتخذت خلال الحقب الزمنية خطاً مغايراً ، اذ تميزت بكونها ذات طابع ادبي على وجه العموم فضلاً عن كونها ذات صفة اخبارية ، فقد اثر العامل الديني بشكل كبير على تشجيع المجتمع بصورة عامة والرحالة بصورة خاصة على السفر والتنقل والذي تم من خلال ذلك الالتقاء بعلماء الدين والزهاد ، وان الرحلة قد وفرت لديهم فرصة لزيارة العديد من مدن الاسلام مما انعكس على تأليف رحلاتهم ، وان الرحلات تستحق دراسة تاريخية مستقلة وذلك لما فيها من معلومات قيمة في شتى المجالات حيث اسهمت الرحلات في توثيق الصلات المعرفية حيث قامت بنقل الثقافة الاجتماعية والفكرية بين البلدان.
7. اهم العوامل التي اسهمت في رحلة علماء المغرب الاسلامي الى الحجاز هو العامل الديني الذي يعد محط اهتمام الرحالة وخاصة فيما يتعلق بمكة والمدينة لما تتمتع به هاتان المدينتان من مكانة روحية خاصة لدى المسلمين



كافة وان أداء فريضة الحج والرغبة العلمية ايضاً من العوامل الرئيسية حيث اصبحت الرحلة مطلباً للجميع كون الحج فريضة على كل مسلم ، وهناك ايضاً عوامل اخرى كالعامل الفكري والعامل الاجتماعي والعامل العلمي والمعرفي .

8. بعد ان استعرضنا النهضة العلمية والفكرية والاجتماعية لا بد من معرفة النشاط التعليمي في الحجاز والمغرب الاسلامي وتطرقنا الى المنشآة العامة للتعليم في الحجاز وهي المساجد، كالمسجد النبوي وغيرها من المساجد حيث كان يعقد فيها مجالس للدرس في الاختصاصات المختلفة في العلوم النقلية وكذلك الكتاتيب وايضاً بيوت العلماء ، وتعرفنا على اهم الطرق كطريقة الاسماع والكتابة والاملاء وغيرها من الطرق ووسائل التعليم وآدأب التعليم في الحجاز والمغرب الاسلامي .

9. اوضحت الدراسة أيضاً الاهتمام البالغ بالعلوم الشرعية واللغة العربية بوجه عام ، ولكن في الوجه الاخر بالنسبة للعلوم التطبيقية والعلوم الاخرى ، نلاحظ ان الدراسات كانت نادرة ولم تكن بالمستوى الذي وجدناه في علوم الشريعة والعربية على الرغم من اهمية هذا الفرع في تاريخ العلوم الاسلامية ، من الملاحظ ان اعداد العلماء في العلوم الشرعية كانت اكثر من المجالات الاخرى ، كذلك تميز العديد من العلماء المغاربة في العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والحساب ، ومن هؤلاء من اشتغل بتدريسها ومنهم من اهتم بدراسة التاريخ والانساب، وان كان بعدد اقل من علماء العلوم الاخرى .

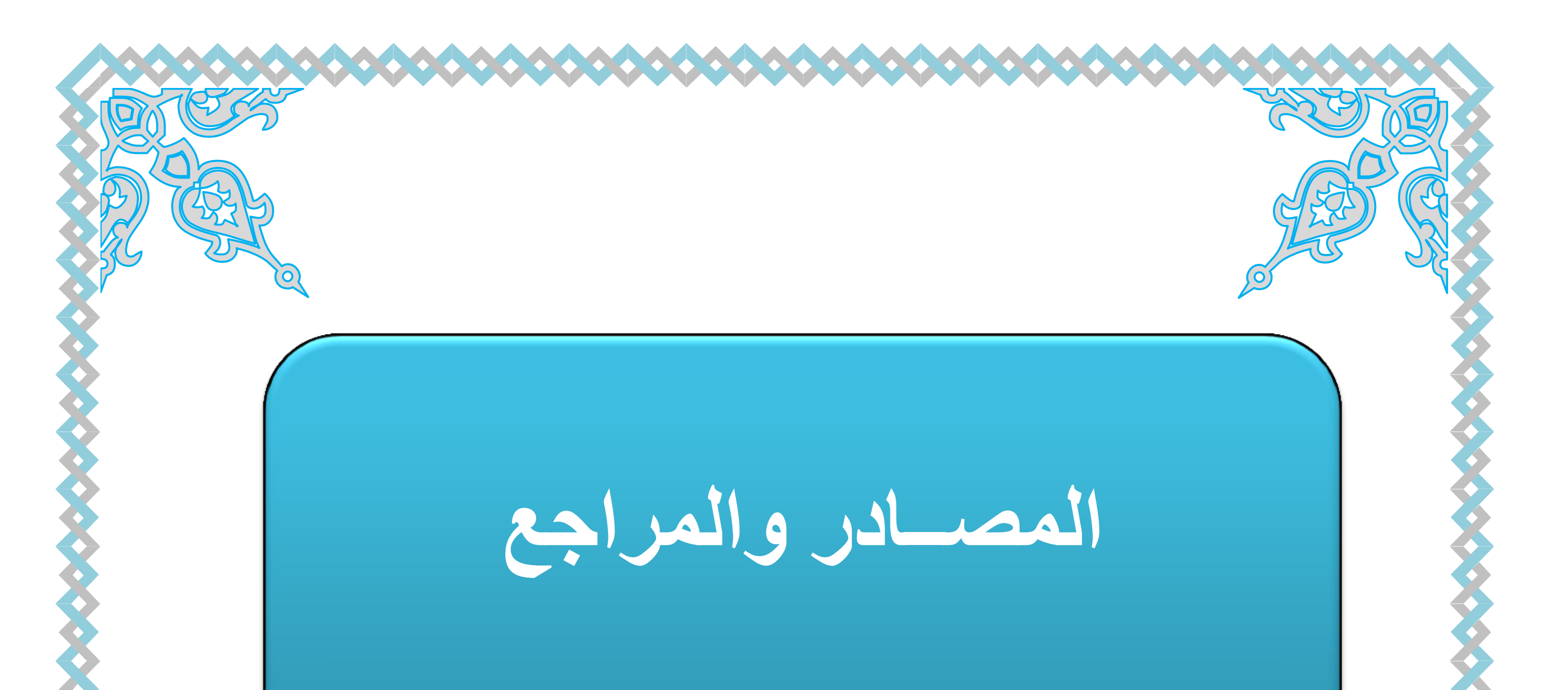
10. استمر التواصل العلمي بين علماء بلاد المغرب ، وتعدد مراكز العلم فيه ، ونشطت الرحلة في طلب العلم سواء بين بلدان المغرب الاسلامي وحواضره العلمية او الرحلة الى بلاد الحرمين لأداء فريضة الحج وطلب العلم او تدريسه وقد ساعد ذلك الاستقرار السياسي للبلاد ظهور شخصيات قوية من



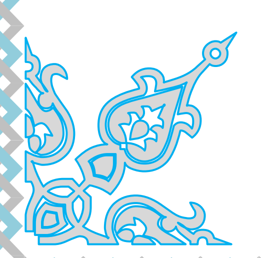
اشراف مكة الذين وجهوا اهتماماً كبيراً بالعلماء وطلاب العلم ، حيث توجه عدد كبير من علماء المغاربة الى الحجاز ومنهم من استقر في الحجاز ولم يرجع الى بلاد المغرب واندمجوا في المجتمع الجديد ، واشتغلوا بتدريس العلوم المختلفة منها العلوم الشرعية التي ازدهرت كالتفسير، والحديث ، والفقه وعلم المواريث والحساب وكذلك علوم اللغة العربية وآدابها .

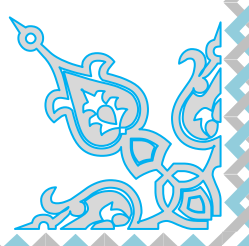
11. اظهرت الدراسة الدور الفعال الذي قامت به المدارس في الحرمين الشريفين ، فقد كان للفقه النصيب الاوفر في المواد الدراسية فيها ، بالإضافة الى علوم الحديث ، وبينت الدراسة المنهج العلمي والمواد والمفردات الدراسية ونظام التعليم الذي كان يتم في حلقات العلم بالحرمين الشريفين ، والمدارس وبعض الاماكن العلمية الاخرى .

لقد كان من اهم الامور التي كشفت عنها الدراسة ، هو تطور الدراسات التاريخية بشكل كبير في الحجاز ، ويتضح من القائمة الطويلة لأسماء كبار المؤرخين ، امثال الفاسي ، والنجم عمر بن فهد ، والعز بن فهد ، وابراهيم بن فرحون ، وغيرهم الذين تركوا لنا الكثير من المصنفات التي اصبح لهل اليوم الدور الكبير في كشف جوانب الحياة المختلفة للحجاز .



المصـــادر والمراجع





قائمة المصادر والمراجع :.

اولاً :. الكتب المقدسة (القران الكريم)

ثانياً :. المصادر العربية القديمة

1. ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ط1، المغرب ، دار المنصور، الرباط ، 1392هـ / 1972م .
2. ابن ابي زرع ، علي بن محمد بن احمد بن عمر الفاسي (ت 726 هـ / 1325م) ، الانيس المطرب وروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب واخبار مدينة فاس ، تعليق محمد الهاشمي، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972 م.
3. ابن الاثير ، ، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد (ت606هـ/ 1210م) ، جامع الاصول في احاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، مط : الملاح ، مكتبة لبنان ، بيروت .
4. ابن الاثير ، علي بن محمد بن محمد (ت 630هـ/ 1232م) ، الكامل في التاريخ ، مراجعة : محمد يوسف الدقاق ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1407هـ/1987م.
5. ابن الجوزي ، جمال الدين ابن الفرج عبد الرحمن (ت597هـ/ 1200م) ، تلبيس ابليس ، بيروت ، دار الفكر .
6. ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله السلماني (ت 776 هـ / 1374 م) ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975 م .
7. ابن الخطيب ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002م .

8. ابن العماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/ 1676م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، 1979م .

9. ابن الفقيه الهمذاني ، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت 365 هـ / 975 م) ، مختصر كتاب البلدان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1416 هـ / 1996 م .

10. ابن الفقيه الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، ط1 ، 1410هـ/1990م .

11. ابن القاضي ، احمد بن محمد المكناسي (ت 1025 هـ / 1613 م) ، درة الحجال في اسماء الرجال ، تحقيق : محمد الاحمدي ابو النور ، دار النصر ، القاهرة ، 1997 م .

12. ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت 385هـ/ 995م) ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر .

13. ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي (ت799هـ/1377م) ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (الرحلة) ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، ط1 ، بيروت 1407هـ /1987م .

14. ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، تحقيق : محمد امين ، 1985م .

15. ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874 هـ / 1469 م) ، الدليل الشافي ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مطبوعات مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، 1403 هـ / 1983 م .

16. ابن تيمية ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت 728هـ/ 1328م) ، مقدمة في اصول التفسير ، تحقيق : عدنان زرزور ، دار القلم ، بيروت ، 1991م .

17. ابن جبير ، محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت 614 هـ / 1217 م) ، رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام ، تحقيق : د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، مصر ، 1955م .

18. ابن جماعة ، بدر الدين محمد ابن ابراهيم (ت 733 هـ / 993 م) ، تذكرة السامع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

19. ابن حبان ، محمد بن احمد التميمي (ت 354هـ/ 965م) ، مشاهير علماء الامصار ، تحقيق : مجدي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م .

20. ابن حجر ، انباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ، المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، د.ت .

21. ابن حجر ، تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال ، تحقيق : سليمان اسحاق عطية ، القاهرة ، 1978م .

22. ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م) ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، يطلب من دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني ، د.ت .

23. ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، القاهرة ، دار الفكر .

24. ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ/ 1063م) ، الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : عبد الغفار سليمان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986م .

25. ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد البغدادي (ت 241 هـ / 855 م) ، مسند احمد بن حنبل ، دار الحديث ، القاهرة .

26. ابن حوقل ، ابي القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت 368 هـ / 978 م) ، صورة الارض ، نشر مكتبة دار الحياة ، بيروت ، 1979 م .

27. ابن خرداذبة ، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 912 م) ، المسالك والممالك ، ط لندن ، 1989 م .

28. ابن خلدون ، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ / 1405 م) ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ، 1981م .

29. ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، تعليق : محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م .

30. ابن خلدون ، يحيى بن ابي بكر بن محمد بن خلدون (ت778 هـ / 1386 م) ، بغية الرواد ، الجزائر ، 1221 هـ / 1903 م .

31. ابن سعيد المغربي ، ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المقري (ت683هـ/ 1286م)، الجغرافيا ، تحقيق : اسماعيل العربي ، بيروت ، 1970م .

32. ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله (986هـ/1578م) ، الجامع اللطيف ، ط5 ، بيروت ، المكتبة الشعبية ، 1399هـ/ 1979م .

33. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت413هـ / 1070م) ، جامع بيان العلم ، تحقيق : ابو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي . الدمام ، تحقيق : ابو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي . الدمام ، ط1.

34. ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت647هـ/1257م) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب . تاريخ افريقيا والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجري ، تحقيق : ج. س. كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت، د . ت.

35. ابن فارس ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ/ 1004م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : زهير عبد المحسن ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، 1986م .

36. ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (ت 799 هـ / 1396 م) ، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

37. ابن فرحون ،عبد الله بن محمد (ت769هـ/ 1367م) ، نصيحة المشاور وتسلية المجاور ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

38. ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمي واحياء التراث ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 1404هـ / 1984م.

39. ابن فهد ، النجم عمر بن محمد (ت885هـ/ 1480م) ، الدرر الكمين ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى .

40. ابن فهد ، معجم الشيوخ ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة .

41. ابن كثير ، اختصار علوم الحديث ، تحقيق : ماهر ياسين الفحل ، ط1 ، الميمان للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1434هـ / 2013م .

42. ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ .

43. ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت774هـ/ 1372م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1408م .

44. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري الانصاري (711هـ/1321م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ .

45. ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732 هـ / 1331 م) ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

46. ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي (ت 275 هـ / 888 م) ، سنن ابي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

47. ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل (ت665هـ /1266م) ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : محمد حلمي ، القاهرة ، 1956م .

48. الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (ت 560هـ / 1164م) ، وصف افريقيا ، دار العلم للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م .

49. الازرقي ، محمد بن عبد الله (ت223هـ/ 837م) ، اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، مدريد.

50. الاشبيلي ، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الاموي الاشبيلي(ت575هـ/ 1179م) ، فهرست ابن خير الاشبيلي ، تحقيق : بشار عواد معروف واخرون ، ط1 ، تونس ، 2009م .

51. الاصطخري ، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ / 957م) ، مسالك الممالك ، دار صادر ، بيروت ، ط ليدن ، 1927م .

52. الانصاري ، كعب بن مالك (ت50هـ/670م) ، ديوان كعب بن مالك الانصاري ، تحقيق: سامي بكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد 1966م .

53. البخاري ، التاريخ الكبير ، تحقيق : هاشم الندوي واخرون ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد .

54. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت256هـ/ 869م) ، صحيح البخاري، القاهرة ،1958م .

55. البكري ، ابي عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، الجزائر ، مطبعة الحكومة ، 1857م .

56. البكري ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، بيروت ، عالم الكتب .

57. التجيبي ، القاسم بن يوسف (ت 730 هـ / 1329 م) ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، برنامج التجيبي ، تحقيق: عبد الحفيظ منصور ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب .

58. الترمذي ، محمد بن يحيى بن سور (ت 279هـ/ 892م) ، سنن الترمذي ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1981م.

59. التنبكي ، ابو العباس احمد باب ابن عمر بن محمد التنبكي (ت963هـ/1055م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرمة ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، د.ت.

60. الجزنائي ، علي (ت 766 هـ / 1364 م) ، جني زهرة الاس في تاريخ مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1967 م .

61. حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت 1067 هـ / 1657 م) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بيروت ، د. ت .

62. الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228 م) ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

63. الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت722هـ/ 1322م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975م .

64. الخزرجي ، علي بن الحسن (ت812هـ/ 1409م) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : محمد بسيوني عسل ، مصر ، مطبعة الهلال ، 1329هـ/ 1911م

65. الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي (ت 463 هـ / 1070 م) ، الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق : نور الدين عتر ، دمشق ، ط1 ، 1395 هـ / 1975 م .

66. الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : احمد عمر هاشم ، ط1 ، مطبعة دار الكتاب العربي ، 1405هـ .

67. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ/ 2002م .

68. الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، تحقيق : سعد عبد الغفار علي ، دار الاستقامة .

69. الداري ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي (ت1005هـ/ 1596م) ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، ط1 ، الرياض ، دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، 1403هـ/ 1983م.

70. الداودي ، شمس الدين محمد بن علي (ت945هـ/ 1538م) ، طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م .

71. الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ / 1990م .

72. الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ /1348م) ، الامصار ذوات الاثار ، تحقيق : قاسم علي سعد ، ط1 ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م) .

73. الرازي ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666 هـ / 1267 م) ، مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، لبنان ، 1986 م .

74. الرامهرمزي ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (ت 360 هـ / 970 م) ، المحدث الفاصل بين الراوي والداعي تحقيق : محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، 1971 م .

75. السبكي ، عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ/ 1369م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو و محمود الطناحي ، ط1 ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1385هـ/ 1966م .

76. السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، عني بنشره القدسي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403هـ/ 1983م .

77. السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عني بطبعه ونشره اسعد طرابزوني الحسيني ، 1399هـ / 1979م .

78. السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1495 م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت .

79. السفلي ، بو عبد الرحمن احمد بن بكر (ت 870 هـ / 1387 م) ، ايضاح اسباب النزول ، دار السنة ، السعودية .

80. السمعاني ، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/ ، ادب الاملاء والاستملاء ، تحقيق : محمد عوامة ، بيروت ، 1976م .

81. السمهودي ، نور الدين علي بن احمد المصري (ت911هـ /1505م) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، 1955م .

82. السيوطي ، الاتقان في علوم القران ، تحقيق : فليب حتي ، بيروت ، المكتبة العلمية .

83. السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، 1384هـ/1964م .

84. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر (ت 911هـ/1505م) ، تدريب الراوي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1963م .

85. السيوطي ، نظم العقيان في اعيان الاعيان ، تحقيق : فليب حتي ، بيروت ، المكتبة العلمية .

86. الشاطبي ، ابراهيم بن موسى بن محمد (ت 790هـ/ 1388م) ، الموافقات في اصول الشريعة .

87. الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر (ت589هـ) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، ط2 ، بيروت ، دار الثقافة ، 1401هـ/ 1981م

88. الصفدي ، صلاح الدين (ت764هـ/ 1362م) ، الوافي بالوفيات ، ط2 ، 1394هـ/ 1974م .

89. الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت310هـ /922م) ، جامع البيان عن تأويل آيات القران ، تحقيق : بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني ، ط1 ، بيروت ، 1415هـ/ 1994م.

90. العبدري ، محمد العبدري البلنسي (ت 725هـ/1325م) ، رحلة العبدري ، تحقيق : سعد بوقلاية ، الجزائر ، ط1 ، 1428هـ/ 2007م .

91. العز بن فهد ، عبد العزيز بن عمر (ت922هـ/ 1516م) ، بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى .

92. العز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم شلتوت ، ط1 ، مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ، 1409هـ / 1988م .

93. العمري ، ابن فضل الله (ت 749هـ/ 1348م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ، ط1 ، 1407هـ/ 1986م .

94. العياشي ، ابو سالم عبد الله العياشي (ت 1090 هـ / 1699 م) ، الرحلة العياشية ، تحقيق : سعيد الفاضلي ، سليمان القرشي ، ط1 ، الامارات العربية ، 2006م .

95. الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ، (ت505هـ/ 1111م) ، احياء علوم الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1939م .

96. الفاسي ، تقي الدين محمد (ت 832هـ/ 1428م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق : فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، 1406هـ /1987م .

97. الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : لجنة من كبار العلماء والادباء ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

98. الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت 170هـ / 786م) ، كتاب العين ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .

99. الفهري ، محمد بن عمر بن رشيد (ت 721 هـ / 1321 م) ، ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى مكة وطيبة ، تحقيق : د. محمد الحبيب ابن الخواجة ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1982 م .

100. القاضي عياض ، الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق : احمد صقر ، القاهرة ، 1389م .

101. القاضي عياض ، الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق : عبده علي كوشك ، جائزة دبي الدولية للقران الكريم ، ط1 ، 1434هـ / 2013م .

102. القاضي عياض ، عياض بن موسى اليحصبي البستي (ت 544 هـ /1149 م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق : د. احمد بكر محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 م .

103. القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت 671 هـ / 1272 م) ، الجامع لأحكام القران ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1353هـ / 1935م .

104. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/ 1283م) ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

105. القلصادي ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي (ت 891هـ/ 1486م) ، رحلة القلصادي المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى اعلى المنازل والمناقب ، تحقيق : محمد ابو الاجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978م .

106. القلقشندي ، ابو العباس احمد (ت821هـ/1418م) ، صبح الاعشى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922م .

107. المجلسي ، محمد باقر (ت 1111هـ/ 1699م) ، بحار الانوار ، ط3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1983م

108. المراغي ، زين الدين ابي بكر بن الحسين بن عمر (ت816هـ/ 1413م) ، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق : محمد عبد الجواد الاصمعي ، ط2، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، 1401هـ/ 1981م .

109. المطري ، محمد بن احمد (ت741هـ/ 1340م) ، التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، 1402هـ .

110. المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن بكر (ت385هـ/ 995م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م

111. المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (1041هـ/1632م) ، ازهار الرياض ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1388م

112. المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

113. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ/ 1455م) ، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ / 2002م .

114. النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (1143هـ) ، الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم احمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ، 1986م .

115. النجم بن فهد ، عمر بن محمد بن فهد (ت812هـ/1409م) ، اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمي واحياء التراث ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 1404هـ/1984م .

116. النحاس ، ابو جعفر محمد بن احمد بن اسماعيل (ت328هـ/ 939م) ، الناسخ والمنسوخ ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1905م

117. النعيمي ، عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف النعيمي الدمشقي (ت978هـ / 1521م)، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، دمشق ،1410هـ / 1990م .

118. النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ/ 1277م) ، التقريب والتسير لمعرفة سبب البشير النذير ، تحقيق : عرفات العشا حسون ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م .

119. النيسابوري ، ابو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ/874م) ، المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت

120. الواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد (ت 468هـ/1075م) ، اسباب النزول ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، 1968م .

121. اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد (ت768هـ / 1366م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط2 ، بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1390هـ/ 1970م .

122. اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/ 904م) ، البلدان ، ط3 ، مط الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1377هـ/ 1957م .

ثالثاً:ـ المراجع الثانوية الحديثة :.

1. . الشاهدي ، حسن ، ادب الرحلة في العصر المريني ، منشورات عكاظ ، د.ت. ، 1925م .

7ـ الانصاري ، كعب بن مالك (ت50هـ /670م) ، ديوان كعب بن مالك الانصاري ، تحقيق : سامي بكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1966م

2.ابن الاخوة ، ضياء الدين محمد ، معالم القربة في احكام الحسبة ، نشر روين ليفي ، كمبردج ، 1938م .

3. ابن الجزري ، شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج برجستراسر ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1980م .

4. ابن تاويت ، محمد ، الوافي بالأدب العربي في المغرب الاقصى ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1983م .

5. ابن خياط ، اسامة بن عبد الله ، مختلف الحديث بين المحدثين والاصوليين الفقهاء ، ط1 ، الرياض ، 1421هـ/2001م .

6. ابن مرزوق ، محمد ، المسند الصحيح في مأثر ومحاسن مولانا ابي الحسن ، تحقيق : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981 .

7. ابن مليح ، ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح ، انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمارب سيد الاعاجم والأعراب ، تحقيق : محمد الفاسي ، فاس ، 1388هـ / 1968م .

8. ابو الطيب ، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، مراتب النحويين ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1954م

9. ابو زهرة ، محمد ، اصول الفقه ، دار الثقافة للطباعة ، د.ت .

10. ابو زهو ، محمد ، الحديث والمحدثون ، دمشق ، دار الفكر.

11. اقلانية ، المكي ، النظم التعليمية عند المحدثين ، ط1 ، قطر ، 1922م .

12. الالفي ، ابو صالح ، الفن الاسلامي ، لبنان ، دار المعارف ، د.ت .

13. امحزون ، محمد ، المدينة المنورة في رحلة العياشي ، ط1 ، الدار البيضاء ، مط : النجاح الجديدة ، 1408هـ/ 1988م .

14. امين ، بكري شيخ ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ط4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1986م .

15. الانصاري ، عبد الرحمن الانصاري ، تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما

16. باشا ، ابراهيم رفعت ، مرأة الحرمين ، مط : دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة

17. الباشا ، حسن ، المدخل الى الاثار الاسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1990م.

18. بالعربي ، خالد ، تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية ، دار الالمعية للنشر والتوزيع ، قسطنطينة ، ط1 ، 2011 م .
19. بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ط2 ، القاهرة ، دار المعارف .
20. البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، بيروت ، د.ت .
21. البغدادي ، اسماعيل باشا ، هدية العارفين بأسماء المؤلفين واثار المصنفين ، ط3 ، طهران ، المكتبة الاسلامية ، مط اسطنبول ، 1967م .
22. البيهقي ، ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوي ، تحقيق : محمد سويد ، ط1 ، بيروت ، دار احياء العلوم ، 1408هـ/ 1988م .
23. التهانوي ، كشاف اصلاحات الفنون ، بيروت ، دار صادر .
24. الحجي ، حياة ناصر ، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، تحقيق : وقف سريا قوس ، ط1 ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1403 هـ / 1983 م .
25. حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، 1985م .
26. حسن ، علي حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1965م
27. حسن ، محمد عبد الغني ، غرائب من الرحلات ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
28. الحسن الوزان ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1983 م .
29. حسن بن علي بن يحيى العجيمي ، اهداء اللطاف في اخبار الطائف ، تحقيق ، علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت

30. خصباك ، شاكر ، في الجغرافية العربية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، 1975م.

31. الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز زايد للتراث ، ابو ضبي ، 2000م

32. ذنون ، عبد الواحد ، الرحلات المتبادلة بين الغرب الاسلامي والمشرق ، ط1 ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2005م .

33. الذهبي ، محمد السيد حسين (ت 1398هـ) ، التفسير والمفسرون ، مكتبة

34. زادة ، طاش كبرى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1405 هـ / 1985م .

35. الزبيدي ، ابو بكر محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، مصر ، 1954م

36. الزحيلي ، محمد ، تعريف عام بالعلوم الشرعية ، دمشق ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1988م .

37. الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، ط8 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1409هـ / 1989م .

38. زكي ، محمد حسن ، فنون الاسلام ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1981م .

39. زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة : حسين مؤنس ، دار الهلال ، 1968م .

40. ساعاتي ، يحيى محمود ، الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الرياض ، ط2 ، 1996م .

41. سالم ، عبد العزيز ، تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، دار النهضة العربية ، 1997م

42. السامرائي ، ابراهيم ، دراسات في اللغة ، ط1 ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1961م.

43. السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ/ 1897م) ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م.

44. السملالي ، العباس بن ابراهيم ، الاعلام بن حل مراكش واغمات من الاعلام ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية ، د.ت .

45. الشريف ، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية ، ط2 ، دار الفكر العربي ، د.ت .

46. الشريف ، احمد ابراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنيين الاول والثاني للهجرة ، ط1 ، مط : الرسالة ، القاهرة ، 1968م .

47. الشنتاوي ، احمد ، دائرة المعارف الاسلامية ، دار الفكر ، بيروت ، 1933م.

48. الشوابكة ، نوال عبد الرحمن ، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، ط1 ، دار المأمون للنشر ، الاردن ، 1428هـ/2008م .

49. شيخو ، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (ت1364هـ/ 1733م) ، تاريخ الآداب العربية ، د.ت .

50. الصابوني ، محمد علي ، التبيان في علوم القران ، بيروت ، 1970م .

51. الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القران ، ط7 ، بيروت ، 1972م .

52. الصباغ ، محمد بن احمد بن سالم بن محمد (ت 1321هـ/ 1903م) ، تحصيل المرام في اخبار البيت الحرام والمشاعر الحرام ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة .

53. ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات ، الجزيرة العربية ، العراق ، ايران . مصر ، دار المعارف .

54. طرخان ، ابراهيم ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط ، القاهرة ، 1388 هـ / 1968 م.

55. طلس ، محمد اسعد ، التربية والتعليم في الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1956م.

56. عبد الباقي ، احمد ، من اعلام العلماء العرب ، ط1 ، بيروت ،1990م .

57. عبد الرحمن ، عبد الجبار ، ذخائر التراث العربي ، ط1 ، 1403هـ

58. عبد العزيز ، محمد الحسيني ، الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م .

59. عبد الله ، عبد الرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، جدة ، دار الشروق للتوزيع والطباعة ، 1403هـ /1983م .

60. العتر ، نور الدين ، القران الكريم والدراسات الادبية ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، 1406هـ/ 1986م.

61. العرباوي ، عمر ، حب التميز عند الطلبة ، مقاربة انثروبولوجية لطلبة الطب بتلمسان ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، 2005م

62. علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1972 م

63. علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1972م

64. علي بن احمد بن عراق الكناني ، نشر الطائف في قطر الطائف ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت

65. عنان ، محمد عبد الله ، نهاية الاندلس ، مط : مصر، القاهرة ، 1958م.

66. عيسى بك ، احمد ، البيمارستانات في الاسلام ، ط2 ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1981م .

67. غانم قدوري ، محاضرات في علوم القران ، دار الكتاب للطباعة ، بغداد 1981 م

68. الفضلي ، عبد الهادي ، القراءات القرانية ، دار العلم ، بيروت ، 1985م

69. فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة : فهمي ابو الفضل الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1979م

70. القادري ، التقاط الدرر و مستفاد المواعظ والعبر في اخبار واعيان المائة الحادية والثانية عشر ، تحق : العلوي القاسمي ، بيروت ، منشورات دار الافاق الجديدة ، ط1 ، 1403هـ/1983م .

71. القادري ، محمد بن الطيب ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق : محمد حجي واحمد التوفيق ، ، الرباط ، نشر وتوزيع مكتبة الطالب ، ط1 ، 1402هـ/1982م .

72. القسنطيني ، ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، بيروت ، المكتب البتاوي للطباعة والنشر ، 1971م .

73. الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن القطب (ت1333هـ/1914م) ، التراتيب الادارية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

74. كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مراجعة وتعليق : احمد علي ، ط2 ، مط : فجالة ، الطائف ، 1964م .

75. كردي ، علي ابراهيم ، الرحالة العبدري ، الموسوعة الشاملة .

76. لطفي عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، تحقيق : علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1954م

77. لعرج ، عبد العزيز محمود ، مدينة المنصورة بتلمسان دراسة تاريخيه واثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها ، مكتبة زهراء المشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2006م .

للمدنيين من الانساب ، تحق : محمد العروسي المطوي ، تونس ، المكتبة العتيقة ،1970م.

78. اللميم ، عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد في الاسلام ، ط1 ، 1407هـ/ 1987م .

79. مذكور ، محمد سلام ، المدخل للفقه الاسلامي ، ط2، المطبعة العالمية ، القاهرة ، 1963م.

80. مصطفى ، ابراهيم واخرون ، المعجم الوسيط ، مطبعة الشروق الدولية ، ط4 ، 2004م .

81. الملا ، احمد علي ، اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوربية ، دمشق ، ط2 ، 1401هـ/1981م

82. المنوني ، محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مطابع اطلي ، الرباط ، 1979م .

83. المنوني ، من حديث الركب المغربي ، تطوان ، مطبعة المخزن ، 1953م.

84. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة .

85. مؤنس، حسين ، فتح العرب للمغرب، د. ط ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

86. نادية حسني صقر ، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، ط1 ، دار الشروق ، السعودية ، 1981م

87. الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ/1897م) ، الاستقصاء في اخبار دول المغرب الاقصى ، تحق : جعفر الناصر ومحمد الناصر ، دار الفكر (الدار البيضاء) ، 1956م .

88. نجيب ، زينب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس ، دار الامير للثقافة ، بيروت ، 1995م .

89. النزاوي ، احمد ابراهيم ، زقاق الطبري بمكة ، مجلة المنهل ، م26 ، ج1965،1م .

90. الهيثمي ، ابن حجر ، تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال ، تحقيق : سليمان اسحاق عطية ، القاهرة ، 1978م .

91. الوزير الاسحاقي ، رحلة الاسحاقي ، مجلة العرب ، 1405هـ/1985م .

92. الوشلي ، عبد الله قاسم ، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ط1 ،بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1410هـ / 1990م .

وهبة ، القاهرة .

رابعاً :ـ الاطاريح والرسائل الجامعية :.

1.اسماء صالح جمال ، دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامش عشر الميلادي من خلال كتاب الضوء الامع للسخاوي ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة الازهر

2.الاعرجي ، نظال مؤيد مال الله عزيز ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685ـ 706هـ / 1286ــ 1306م دراسة سياسية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة الموصل ، 2004م

3.البدنة ، خلود عبد الباقي ابراهيم ، الاسر العلمية في مكة المكرمة واثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة ام القرى ، 1425هـ/ 2004م .

4.رزيوي ، زينب ، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الاوسط ما بين القرنيين 7هـ و9هـ/ 13م . 15م ، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي ، كلية العلومالانسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس ، 1437هـ / 2016 م .

5.زواري ، احمد عبد الرؤوف ، العلاقات العلمية بين المغرب الاوسط والحجاز خلال القرنين 7–9 هـ /13. 15م ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الشهيد ، 2021م .

6.زين عوض صالح احمد ، الدولة العربية الاسلامية الاولى في المدينة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الموصل ، 2006 م

7.السليمان ، علي بن حسين ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1393هـ/ 1973م .

8.سمير صالح حسن ، الحياة الفكرية في مكة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1996م

9. السوداني ، صلاح عباس ، الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الاسلام ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، 2002 .

10. شيماء مبدر ، العلوم الدينية وتطورها الفكري في العراق والحجاز ، اطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2003م

11. عبد العباس الجبوري ، الحركة الفكرية في مدينة فاس في عهد الدولة الموحدية ، اطروحة دكتورا غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الاداب ، 1986م

12. عز الدين ، محمد كمال الدين ، الحركة العلمية في مصر زمن المماليك ، اطروحة دكتوراه ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، 1409هـ / 1987م .

13. العمايرة ، محمد حسن ، الفكر التربوي في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، اطروحة دكتورا غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، 1990م.

14. مالكي ، سليمان عبد الغني ، مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1398هـ /1978م .

15. معروف ، ناجي ، اصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، 1975م

16. يعرب ياسين ابراهيم ، يعرب ياسين ابراهيم ، ابار الحجاز دراسة في اهميتها قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، 2009م

خامساً:ــ المجلات :.

1.ابن معمر ، محمد ، رحلات الحج من المغرب الاوسط الى مكة المكرمة ، مجلة الحضارة الاسلامية ، مج 18 ، ع 1 ، 1439هـ /2017م .

2.البوعبدلي ، المهدي ، اهم الاحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ بعض اعلامها ، مجلة الاصالة ، الجزائر ، السنة 4 ، ع 26 ، 1975م.

3.حامد ، عبد الستار ، الفقه الاسلامي وتطوره منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر ، مجلة دراسات عربية واسلامية ، ع1، جامعة بغداد ، مطبعة الاديب البغدادية ،1982م .

4.حركات ، العمارة وفن المرينيين ، مجلة دعوة الحق ، ع6 ، سنة 7 ، الرباط ، 1964م .

5.الزواوي ، رشيد ، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الاسلامي ، مجلة الحضارة الاسلامية ، ع 1 ، 1993م .

6.فيلالي ، عبد العزيز ، تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ، مجلة الوعي ، دار الوعي الجزائر ، العدد المزدوج (3،4) ، 2011م

7.الكتاني ، محمد عبد الحي ، الملاجئ الخيرية الاسلامية في الدولة الموحدية و المرينية بالديار المغربية ، المجلة الزيتونية ، المطبعة التونسية ، تونس ، ع 7 ، ج5 ، المجلد 3 ، 1939م .

8.كريم ، عبد الكريم ، تلمسان من خلال كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، مجلة عصور الجديدة ، ع 2 ، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران ، الجزائر .

9.كنون ، عبد الله ، بنو مرين ، اصلهم ومواطنهم ، مجلة الدارة ، ع4 ، سنة 9 ، الرياض ، 1984م .

Abstract :-

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of messengers, Muhammad, and his good and pure family.

The movement of the Islamic conquests absorbed many countries in the Islamic Maghreb and the Levant and became part of the one Islamic state. Scholars and students of knowledge throughout the Islamic cities, this is what is known as the trip, as it had lofty goals in Islam and its causes were numerous. Some of the scholars left in search of knowledge and those who wanted to perform the Hajj, and some of them were for trade or on official missions at the cost of their princes and scientific trips that took place. Scholars evacuated there in search of knowledge and knowledge, so they moved from one country to another and faced many difficulties and hardships, and they endured all of that, devoting themselves to knowledge.

Through this, there has been knowledge continuity and cultural exchange between the parts of the Islamic countries, and a gathering of many scholars of the Islamic Maghreb and its various cities came to the Hijaz, and they met with the famous sheikhs and their scholars and learned from them, and some of them settled in the Hijaz and some of them left to his country to spread what he gained of knowledge and knowledge there. Thanks to them, several books on mental and traditional sciences entered the country. Polarization centers in Hijaz also played an important role in attracting and embracing scholars, especially Makkah.

The extent of the cultural exchange between the Islamic Maghreb and the Hijaz was clearly evident to us, but we must emphasize that through research it becomes clear to us the extent of the Moroccans' interest and eagerness to go to the Hijaz, as the balance is much more profitable, and this is a natural and moderate matter, as this region (the Hijaz) in view of Its religious status, which had a great impact on the hearts of Muslims.

The balance of cultural exchange between the Islamic Maghreb and the Hejaz has remained on the side of the Hijaz throughout Islamic history, including the period of study. It is not commensurate with the numbers of Moroccan scholars who went to the Hijaz.

Despite the importance of this cultural period, talking about this period of time culturally does not go beyond being a general review of the eras

of culture in general, or that it comes as a continuation of a study that dealt with the political history of each of Morocco or the Hijaz and passes in passing and briefly with general culture.

The state's supervision and encouragement of religious institutes in the two areas of study was particularly important. This led to the strong association of cultural activity with governance and its approach.

The strength of friction between Muslim men of knowledge within the period of the study, in a remarkable way, was due to many things; Some of them, for example, are jurists and religious scholars to spread their knowledge and ideas, or to acquire knowledge through trips. Some of them also collected novels, texts of poetry and prose, and they spread to many countries to collect their material. Some of them had their cities invaded or occupied, so they moved to other cultural centers. Travelers also had a distinguished and prominent role in introducing people to their countries, glorifying the journey for them, and this helped in strengthening cultural communication between the countries of Islamic countries.

It is noted that the scholars who had the important role of cultural exchange within the subject of the study, that most of them had an impact on the adoption of different sciences in other parts of the Islamic world, but their trip to the Hijaz was one of the important centers in which it was very necessary to be present, in view of what it represents of Religious and scientific significance.

It was the Moroccan scholars who migrated to the Hijaz and other Islamic cities and then returned to their countries, and in the meantime they conveyed to their countries an image of the Levantine society and their culture. The scholar Ibn Saeed was at the forefront of the Moroccan scholars in the middle of the seventh century AH.

The study of cultural exchange in all its aspects for any environment or society in the world can clearly reflect the extent of the renaissance of this environment or this society in the era that is subject to study between other societies and urban areas, as well as the study of the intellectual and cultural life of a city that shows the extent of civilizational and cultural progress that took place from By studying the intellectual productions of its men in the human and scientific sciences, and that our current study

sheds light on the cultural exchange between the Islamic Maghreb and the Hijaz from 668-982 AH.

The thesis was divided into an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion. In the preamble, we talked about several axes. The first axis talked about the borders of the Islamic Maghreb and Hijaz from 668-982 AH. As for the other axis, it included the development of the cities of the Islamic Maghrib and Hijaz, as it mentioned some of the facilities of the cities of the study, which include Palaces and guesthouses.

The first chapter dealt with the factors that contributed to the journey of the scholars of the Maghreb countries to the Hijaz and vice versa. It was divided into four topics: the first topic mentioned the religious factor, the second topic includes the intellectual factor, the third topic includes the social factor, and the fourth topic is the search for knowledge and the pursuit of knowledge. .

The study was in the second chapter on the impact of the cultural exchange of the scholars of the Islamic Maghreb and Hijaz and their educational system and was divided into three sections. The third is the educational system of the scholars of the Islamic Maghreb and Hijaz, which includes the stages of education, the ethics of education, as well as the methods and methods of education.

The third chapter dealt with the impact of cultural exchange between the Islamic Maghreb and Hijaz on the sciences of the Holy Qur’an, the Prophet’s hadith, and jurisprudence. It was divided into three topics. The first topic dealt with the sciences of the Qur’an.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Karbala University

College of Education for Humanities

Department of History



Cultural exchange between the Islamic Maghreb and Hejaz From

668-982 AH

by:

Iman Mahdi gesture Kazem Al-Rajhi

To the Council of the College of Education for Human Sciences - University of Karbala - which is part of the requirements for .obtaining a doctorate degree in Islamic history

Supervised by

Prof. Dr. Maitham Mortada Nasrallah

2022 A.D. 1444 A.H